إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثالث

مكتبة الفرقان

سورة طـــه

٢٢٧- [سورة طه بسم ا لله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية واضح في أول السورة.

وأخرج المصنف في تفسير الأنبياء عن ابن مسعود أنه قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول، وهن من تلادي.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

- عدد آياتها خمس وثلاثون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ـ [**قال ابن جبير: بالنبطية ﴿طه﴾ يا رجل**].

ش: أخرجه ابن أبي شيبة في ما فسر بالنبطية، كتاب فضائل القرآن حدثنا وكيع عن سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير قال: طه بالنبطية أيطه يا رجل.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير من طريق القاسم ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال: (طه يا رجل بالسريانية).

وأخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن مثل ما حكاه المصنف وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير.

وأخرج عن ابن عباس أنه اسم من أسماء الله. وفي إسناده عبدالله بن صالح ومعاوية بن صالح وكلاهما ضعيف.

٢ـ [**قال مجاهد ﴿ألقى﴾ صنع**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري﴾**.

٣ـ [**يقال: كل ما لم ينطق بحرف أو فيه تمتمة أو فأفأة فهي عقدة**].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفأة.

والآية المشار إليها:**﴿واحلل عقدة من لساني﴾**.

٤ـ [**﴿أزري﴾ ظهري**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفيين، وكذا قال أبو عبيدة وزاد: معناه صار مثلي، وعاونني على من يكفله، ويقال قد أزرني، أي

كان لي ظهراً، وآزَرَني أي صار لي وزيراً.

والآية المشار إليها:﴿**أشدد به أزري**﴾.

٥- [﴿**فيُسحتَكم**﴾ **يهلِككم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والسدي وابن زيد وكذا قال أبو عبيدة وزاد: وفيه لغتان سحت الدهر، والجدب بني فلان، وقوم يقولون: أسحته بالألف، وقال الفرزدق:

وعض زمان يابن مروان لم يدع — من المال إلا مسحت أو مجلف

والمسحت المهلك، والمجلّف الذي قد بقي منه بقية، ولم يدع أي لم يبقى.

وقال سويد بن أبي كاهل:

أرق العين خيال لم يدع — من سليمي ففؤادى منتذع

لم يدع أي لم يستقر.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى**﴾.

٦- [﴿**المثلى**﴾ **تأنيث الأمثل، يقول بدينكم يقال خذ المثلى خذ الأمثل**].

ش: قال أبو عبيدة: تأنيث الأمثل، يقال خذ المثلى منهما، للأنثى وخذ الأمثل منهما إذا كان ذكراً.

واعلم أن أهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى قوله تعالى ﴿**ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أي يغلبوا سادتكم وأشرافكم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي.

وثانيها: بمعنى يغيروا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه وبه قال ابن زيد.

وثالثها: بمعنى يصرفوا وجوه الناس إليهما وبه قال علي بن أبي طالب ﷺ.

حكاها جميعها ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: ﴿**قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾.

٧- [﴿**ثم اءتوا صفا**﴾ **يقال هل أتيت الصف اليوم يعني المصلى الذي يصلى فيه**].

ش: قال أبو عبيدة: أي صفوفاً وله موضع آخر من قولهم هل أتيت الصف اليوم يعنى المصلي الذي يصلى فيه قال أبو العرب الكليبي: ما استطعت أن آتي الصف أمس يعني المصلى.

والآية المشار إليها: ﴿**فأجمعوا كيدكم ثم اءتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى**﴾.

٨- [﴿**فأوجس**﴾ **أضمر خوفاً فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء**].

ش: قال أبو عبيدة: أي أضمر وأحس منهم خيفة أي خوفاً فذهبت الواو وصارت ياء من أجل كسرة الخاء.

والآية المشار إليها: ﴿**فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾.

٩- [﴿**في جذوع**﴾ **أي على جذوع**].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

والآية المشار إليها: ﴿**فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى**﴾.

١٠- [﴿**خطبك**﴾ **بالك**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وشأنك وأمرك واحد قال رؤبه:

والعبد حيّان بن ذات القنب يا عجباً ما خطبه وخطبي

والآية المشار إليها: ﴿**قال فما خطبك يا سامري**﴾.

١١- [﴿مِساس﴾ مصدر ماسَّه مساساً].

ش: قال أبو عبيدة: إذا كسرت الميم دخلها النصب والجر والرفع بالتنوين في مواضعهن وهي ها هنا منفية فلذلك نصبتها بغير تنوين قال الجعدي:

فأصبح من ذاك كالسامري إذ قال موسى له لا مساسا

وقال القلاخ بن حزن المنقري:

ووتّر الأساور القياسا صفدية تنتزع الأنفاسا

حتى يقول الأزد لا مساسا

وهو المماسة والمخالطة، ومن فتح الميم جعله اسماً منه فلم يدخلها نصب ولا رفع وكسر آخرها بغير تنوين كقوله:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساس

جر بغير تنوين وهو في موضع نصب لأنه أجرى مجرى قطام وحذام ونزال إذا فتحوا أوله، وقال زهير:

ولنعم الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر

وإن كسروا أوله دخله الرفع والنصب والجر والتنوين في مواضعها وهو المنازلة.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**﴾.

١٢- [﴿**لننسفنه**﴾ **لنذرينه**].

ش: هو قول ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة: مجازه لنقذفنه ولنذرينه، وكل شيء وضعته في منسف ثم طيرت عنه غباره بيديك أو قشوره فقد نسفته أيضاً.

والآية المشار إليها:﴿**وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً**﴾.

١٣- [﴿قاعاً﴾ يعلوه الماء، والصفصف المستوى من الأرض].

ش: قال ابن جرير: قاعاً يعني أرضاً ملساء، صفصفاً يعني مستوياً، لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع. ثم أخرج المعنى عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد. ثم قال بعد ذلك: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع مستنقع الماء، والصفصف الذي لا نبات فيه.

قلت: وهذا نحو ما اختاره البخاري.

والآية المشار إليها: **﴿فيذرها قاعاً صفصفاً﴾**.

١٤- [وقال مجاهد: ﴿أوزاراً﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ وهي الحلي التي استعاروا من آل فرعون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثني عيسى وحدثني الحارث عن الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

١٥- [﴿فقذفناها﴾ فألقيناها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها: **﴿ قالوا ماأخلفْنا موعِدَك بمَلْكِنا ولكنا حُمِّلنا أوزاراً من زِينة القوم فقذفناها وكذلك ألقى السَّامري ﴾**

١٦- [﴿ألقى﴾ صنع].

ش: قلت: تقدم شرحه برقم اثنين وكذلك الآية المشار إليها.

١٧- [﴿ فنسي ﴾ موساهم، يقولونه أخطأ الرب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق ولفظه فنسي موسى قال: هم يقولونه أخطأ الرب العجل.

وأخرج عن قتادة قال السامري: موسى نسي ربه عندكم.

والآية المشار إليها: **﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾**.

١٨- [﴿لا يرجع إليهم قولاً﴾ العجل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق.وأخرجه أيضاً عن قتادة.

والآية المشار إليها:**﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾**.

١٩- [﴿همساً﴾ حِس الأقدام].

ش: أخرج ابن جرير عن مجاهد من طريق ابن علية عن ابن أبي نجيح قال: تهافتاً وقال: تخافت الكلام.ومن طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح قال: خفض الصوت.وكذا من طريق ابن جريج.وعن ابن عباس وعكرمة وابن زيد قالوا: وطء الأقدام. وعن ابن عباس في رواية والحسن قالا: همس الأقدام. وقال أبو عبيدة: أي صوتاً خفياً وهو مثل الذكر.

والآية المشار إليها: **﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾**.

٢٠- [﴿حشرتني أعمى﴾ عن حجتي].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ «لا حجة لي».

٢١- [﴿وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:**﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾**.

٢٢- [قال ابن عباس: ﴿بقبس﴾ ضلوا الطريق، وكانوا شاتين، فقال إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتكم بنار توقدون].

ش: وصله ابن عيينة من طريق عكرمة عنه وفي آخره «آتكم بنار توقدون» ووقع في رواية أبي ذر «تدفئون» حكاه في الفتح.

وأخرج ابن جرير عن وهب بن منبه قال: بقبس تصطلون.

والآية المشار إليها:﴿**إذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾.

٢٣- [**وقال ابن عيينة: ﴿أمثلهم﴾ أعدلهم طريقة**].

ش: عزاه الحافظ إلى تفسير ابن عيينة.وأخرجه ابن جرير عن شعبة بلفظ «أوفاهم عقلاً».

والآية المشار إليها:﴿**نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**﴾.

٢٤- [**وقال ابن عباس: ﴿هضماً﴾ لا يظلم فيهضم من حسناته**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج نحوه عن مجاهد وحبيب بن أبي ثابت وغيرهما.وقال أبو عبيدة: ولا نقيصه قال لبيد:

ومقسم يعطي العشيرة حقها ومغذمر[1] لحقوقها هضامها.

والآية المشار إليها:﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾.

٢٥- [**﴿عوجاً﴾ وادياً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد الذي قبله.

وقال أبو عبيدة: مجازه مصدر ما اعوج من المحاني والمسايل والأودية، والإرتفاع يميناً وشمالاً إذا كسرت أوله، وإن فتحته فهو في كل رمح وسن وحائط.اهـ

---

(١) المغذمر من الرجال: الذي يركب الأمور فيأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع لهذا من حقه ويكون ذلك في الكلام أيضاً إذا كان يخلط في كلامه. اهـ من اللسان، مادة: غذمر.

٢٦- [﴿أمتا﴾ رابية].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.

والآية المشار إليها:﴿**لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً**﴾.

٢٧- [﴿سيرتها﴾ حالتها الأولى].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.

وأخرج عن مجاهد وقتادة نحوه.وقال أبو عبيدة: أي خلقتها التي كانت عليها قبل ذلك.

قلت: وهذه العبارات الثلاث متفقة المعنى.

والآية المشار إليها:﴿**قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**﴾.

٢٨- [﴿النهى﴾ التقى].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة نحوه.وقال أبو عبيدة: مجازه لذوي الحجى واحدتها نهيه، أي أحلام وعقول وانتهى إلى عقول أمرهم ورأيهم.اهـ.

وهذه العبارات كلها صحيحة ولا منافاة بينها.

وقد وقعت الكلمة في هذه السورة مرتين إحداهما في الآية الرابعة والخمسين والأخرى في الآية الثامنة والعشرين بعد المائة.

٢٩- [﴿ضنكاً﴾ الشقاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

وأخرج عن مجاهد وقتادة قالا: ضيقة.وكذا قال أبو عبيدة وزاد: والضنك توصف به الأنثى، والمذكر بغير الهاء وكل عبس أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك.قال عنترة:

إن المنية لو تمثل مثلت   مثلي إذ نزلوا بضنك المنزل

والآية المشار إليها: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾.

٣٠- [**﴿هوى﴾ شقي**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: ﴿**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾.

٣١- [**﴿بالواد المقدس﴾ المبارك**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد ا لله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

٣٢- [**﴿طوى﴾ اسم الوادي**].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله، عن ابن عباس وبه قال مجاهد وابن زيد.وهو **أحد** أقوال خمسة حكاها في الآية.

وثانيها: أنه مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادي المقدس طوى به.قاله ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أنه وادٍ قدس مرتين وبه قال الحسن.

ورابعها: بمعنى «**على ثنى**» أي مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد، وبه قال قتادة.

وخامسها: أنه أمر من ا لله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة،وبه قال عكرمة وسعيد بن جبير وهو الرواية الثانية عن مجاهد.

والذي اختاره ابن جرير أنه اسم الوادي كما قال أصحاب القول الأول.

والآية المشار إليها: ﴿**إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾.

٣٣- [**﴿بملكنا﴾ بأمرنا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.وأخرجه أيضاً عن

مجاهد وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها.

ثانيها: بمعنى طاقتنا وهو قول قتادة والسدي.

وثالثها: أي بهوانا وبه قال ابن زيد.

والذي يبدو لي أن هذه الأقوال متقاربة كما قال ابن جرير.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري﴾**.

٣٤- [**﴿مكانا سوى﴾ مَنْصَفٌ بينهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وبنحوه قاله قتادة والسدي وابن زيد.

وقال أبو عبيدة: يضم أوله ويكسر وهو منقوص يجري مجرى عُدًى وعدى، والمعنى النصف، والوسط فيما بين القريتين وقال موسى بن جابر الحنفي:

وإن إيانا كان حــــل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

والفزر سعد بن زيد مناة.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فاجعل بيننا وبينـك موعـداً لا نخلفـه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾**.

٣٥- [**﴿يبساً﴾ يابساً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقال أبو عبيدة: متحرك الحروف بالفتحة والمعنى يابساً ويقال: شاة يَبَس بفتح الباء أي يابسة ليس لها لبن وبعضهم يسكن الباء.اهـ.

والآية المشار إليها :**﴿ ولقد أوحينا إلى موسىأن أسرِبعِبادي فاضرِب لهم طريقاً في البحر يبساً لاتخاف درَكاً ولاتخشى ﴾**

٣٦- [**﴿على قدر﴾ موعد**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها:**﴿فلبثت في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾**.

٣٧- [﴿**لا تنياً**﴾ **تضعُفا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري**﴾.

٢٢٨- [باب قوله ﴿واصطنعتك لنفسي﴾].

ش: «يقول تعالى ذكره: واصطنعتك لنفسي أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي.

والإصطناع في الأصل: إتخاذ الصنيعة وهي الخير تسديه إلى غيرك.

قال الشاعر:

وإذا اصطنعت صنيعة فاقصد بها وجه الذي يولي الصنائع أودع

قال ابن عباس: اصطنعتك لوحيي ورسالتي.

وقال الكلبي: اخترتك بالرسالة لنفسي، لكي تحبني وتقوم بأمري، وقيل: اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم». انتهى محل الغرض من كلام ابن القيم كما في بدائع التفسير (٣/١٥٤).

قلت: وفي الآية دليل على إثبات النفس لله تعالى وهي نفس حقيقية لائقة بجلاله.

٢٥٦- حدثنا الصلت بن محمد[١] حدثنا مهدي بن ميمون[٢] حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: آنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ قال له آدم: آنت الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب عليّ قبل أن يخلقني؟ قال نعم، فحج آدم موسى».

ش: سيأتي في الباب الثلاثين بعد المائتين.

---

(١) هو أبو همام الصلت بن محمد بن عبد الرحمن البصري الخاركي صدوق، من كبار العاشرة مات سنة بضع عشرة ومائتين. خ.م.

(٢) هو أبو يحيى مهدي بن ميمون الأزدي المعولي البصري، ثقة من صغار السادسة مات سنة اثنتين وسبعين [ومائة]. ع.

قوله [**اليم : البحر**]

ش: قال ابو عبيدة : ﴿ فاقذفيه في اليم ﴾ أي ارم به في البحر ، واليم معظم البحر ، قال العجّاج :

.... **كباذخ اليمِّ سقاه اليمُّ** .أهـ

٢٢٩- [باب قوله ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾].

ش: قوله ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**﴾ يقول تعالى ذكره ﴿**ولقد أوحينا إلى**﴾ نبينا ﴿**موسى**﴾ إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿**أن أسر**﴾ ليلاً ﴿**بعبادي**﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل ﴿**فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً**﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً. واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض. واليَبْس المخفف: يجمع يبوس.

وقوله ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾. يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعاً ﴿**وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾ يقول جل ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر با لله، وتكذيب رسله ﴿**وما هدى**﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول ا لله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

٢٥٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: «لما قدم رسول ا لله ﷺ المدينة، واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ: نحن أولى بموسى منهم، فصوموه».

ش: فيه خمس مسائل.

الأولى: قوله «**لما قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء**» في الصيام، باب صيام يوم عاشوراء من رواية عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء».

الثانية: قوله «**فسألهم**» في رواية عبد الله بن سعيد المذكورة «فقال: ما هذا» وعند مسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء «فسئلوا».

قلت: وهذا اختلاف تنوع في العبارة.

الثالثة: قوله «**هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون**» في الصيام «هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم» وعند مسلم من رواية عبد الله بن سعيد «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه».

الرابعة: قوله «**نحن أولى بموسى منهم**» وفي الصيام «فأنا أحق بموسى منكم» وعند مسلم «ونحن أحق وأولى بموسى منكم» وفي قوله «**أولى**» تعريض باليهود إذ لم يكونوا على شريعة موسى وكانوا قوماً كفار.

الخامسة: قوله «**فصوموه**» عند المصنف في الصيام ومسلم «فصامه وأمر بصيامه» وفيه دليل على جواز التعبد بالصيام شكراً لله.

وقد سبق في الباب السادس والعشرين بيان حكم صيام عاشوراء والجمع بين حديث الباب وحديث عائشة «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية» فراجعه إن شئت.

٢٣٠- [باب ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾.

قوله ﴿**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك**﴾ يعني حوّاء عليهما السلام، ﴿**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك ها هنا في عيش رغيد هنيء، لا كلفة ولا مشقة.

فائدة:

كيف شرك بينهما في الخروج، وخص آدم بالشقاء؟

فالجواب: لاشتغاله بالكسب والمعاش والمرأة في خدرها.

٢٥٨- حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى».

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**حاج موسى آدم**» في رواية همام ومالك «تحاج» وفي رواية أيوب بن النجار ويحيى بن كثير «حج آدم موسى».

قال الطيبي: معنى قوله حج آدم موسى: غلبه بالحجة، وفي رواية يزيد بن هرمز عند مسلم باب حجاج آدم موسى «عند ربهما» وفي رواية ابن سيرين «التقى آدم وموسى» وفي رواية عمار والشعبي «لقي آدم موسى» وفي حديث عمر عند أبي داود «لقي موسى آدم».وكذا عند أبي عوانة وعند أبي داود في

السنة باب القدر عن عمر «قال موسى يا رب أرني آدم».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات بيان مكان تخاصم هاذين النبيين عليهما الصلاة والسلام وأن الله جمع بينهما وأما وقتها فلم أجد حتى هذه الساعة من النصوص ما يحدده والله أعلم.

الثانية: قوله «**أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم**» وفي رواية طاوس «أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة» وفي رواية يحيى بن أبي كثير «أنت الناس» وفي رواية الشعبي «أنت آدم أبو البشر» وفي الأنبياء باب وفاة موسى من رواية حميد بن عبد الرحمن «أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة» وفي التوحيد باب قوله ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ «أخرجت ذريتك» وفي رواية مالك «أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة» وفي رواية ابن سيرين «أشقيت» بدل «أغويت» ومعنى أغويت كنت سبباً لغواية من غوى منهم. وعند أحمد من طريق أبي سلمة «أنت الذي أدخلت ذريتك النار».

قلت: فكل هذه الروايات مجتمعة على أن موسى ﷺ عاتب أباه آدم على ما اقترفه من خطيئته، وأنه بتلك الخطيئة كان السبب في إخراج ذريته من الجنة، ويجمع بين إختلاف هذه الروايات بأنها كلها محفوظة عند الأئمة وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر.

الثالثة: قوله «**يا موسى أنت الذي إصطفاك الله برسالته وبكلامه**» في باب تحاج آدم وموسى عند الله من القدر «يا موسى إصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده» وفي رواية الأعرج عند مسلم «أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته» وعند مسلم باب حجاج آدم موسى من رواية يزيد بن هرمز «وقربك نجيا وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء» وعند المصنف من رواية ابن سيرين «إصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة» وفي حديث عمر قال «أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم،

قال أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب و لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم».

قلت: والحاصل أن آدم عليه الصلاة والسلام إعترض على موسى ﷺ إذ إحتج عليه بما عرفه فيما آتاه الله من العلم لأن خطيئة آدم مقدّرة عليه وأنه لا ينبغي له لومه على ذلك.

الرابعة: قوله «**أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره عليّ قبل أن يخلقني**» في القدر «أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة».وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة «فكم تجد في التوراة أنه كتب عليّ العمل الذي عملته قبل أن أخلق؟ قال بأربعين سنة».وفي رواية الشعبي «أفليس تجد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجني منها قبل أن يدخلنيها؟ قال: بلى» وفي حديث عمر قال: «فلم تلومني على شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء».

قلت: فبان بهذا دفع آدم احتجاج موسى عليه، ويجمع بين الرواية المقيدة بأربعين سنة بحملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم.

الخامسة: قوله «**فحج آدم موسى**» في الأنبياء «فحج آدم موسى» مرتين وفي القدر «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثاً، وكذا عند مسلم من رواية ابن سيرين وكذا في حديث جندب عند أبي عوانة، وفي حديث عمر «فاحتجا إلى الله فحج آدم موسى قالها ثلاث مرات»، وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج «لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية الشعبي «فخصم آدم موسى، فخصم آدم موسى».

فائدة:

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد، فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله.

قال: وليس فيه حجة للجبرية».

قال مقيده: لقد إفترق الناس في فهم محاجة آدم و موسى صلى ا لله عليهما وسلم إلى خمس فرق، وقد ذكر هذا الإختلاف ابن القيم في شفاء العليل (ص٢٥) ورد على كل فرقة قولها.

فقال رحمه ا لله:«ثم إختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهتْ لآدمَ على موسى.

١ ـ فقالت فرقة: إنما حَجَّه لأن آدم أبوه، فحجّه كما يحجّ الرجل ابنَه وهذا الكلام لا محصَّل فيه البتة، فإنّ حجة ا لله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حجَّ الرجل أباه بحق وجب المصير إليه.

٢ ـ وقالت فرقة: إنما حجّه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة.وهذا من جنس ما قبله، إذ لا تأثير في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبلُ ا لله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم.

٣ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه.وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه: **أحدها**: أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى، و لم يقل أتلومني على ذنب قد تبت منه.الثاني: أن موسى أعرف با لله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن.الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ما علّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه.

٤ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه لامه في غير دار التكليف ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه، وهذا أيضاً فاسد من

وجهين.أحدهما: أن آدم لم يقل له لُمتني في غير دار التكليف وإنما قال أتلومني على أمر قُدرعليّ قبل أن أخلق، فلم يتعرض للدار وإنما احتج بالقدر السابق.والثاني: أن ا لله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة.

٥ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأن آدم شهد الحكمَ وجريانَه على الخليقة وتفرُّدَ الرب سبحانه بربوبيته وأنه لا تُحرَّك ذرة إلا بمشيئته وعلمه وأنه لا رادّ لقضائه وقدره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قالوا: ومشاهدة العبد الحكمَ لا يدع له استقباح سيئة لأنه شهد نفسه عدماً محضاً، والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لا حيلة له ولا قوة له، قالوا: ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم.وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث، وهو شرّ من مسلك القدرية في ردّه، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائليه، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم، وأخطأوا في رد حديث رسول ا لله ﷺ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جانٍ على جنايته ولا ظالم على ظلمه، ولا يُنكر منكر أبداً، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في إشاراته: العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر ا لله تعالى في القدر، وهذا كلامٌ منسلخ من الملل ومتابعة الرسل، وأعرف خلق ا لله به رسله وأنبياؤه، وهم أعظم الناس إنكار للمنكر، وإنما أُرسلوا لإنكار المنكر، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار، والقدر يعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وفي مقام ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ فنعبده بأمره وقدره ونتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف با لله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم.

ثم قال رحمه الله في صفحة إحدى وثلاثين بعد نقله ملخصاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسماءه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم أعرف بربه من أن يحتجّ بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المعصية والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له «أخرجتنا ونفسك من الجنة» وفي لفظ «خيبتنا» فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي أتلومني على مصيبة قدرت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة آدم ﷺ.

ثانيا: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالقدر.

آخر تفسير سورة طه والحمد لله.

سورة الأنبياء

٢٣١ ـ سورة الأنبياء بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: وسر تسميتها بهذا إشتمالها على ذكر كثير من الأنبياء وقد تقدم ما ورد في فضلها من حديث ابن مسعود المتقدم في سورة طه وسيأتي:

قلت: وهي من المئين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور، فعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول ا لله ﷺ: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل) أخرجه أبوداود الطيالسي وأحمد وابن جرير والبيهقي في الشعب وغيرهم.

قال القرطبي مكية في قول الجميع.

وعدد آياتها ثنتى عشرة ومائة آية.

٢٥٩- حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء**» فيه دليل على أن هذه السور معروفة بهذه الأسماء لدى أصحاب النبي ﷺ وهذا شاهد للقول بأن أسماء السور توقيفية.

الثانية: قوله «**هن من العتاق**» يعني هذه السور المذكورة في الخبر، وجاء بضمير الفصل للتأكيد، والعتاق: جمع عتيقة ومعناه بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة.

الثالثة: قوله «**الأول**» بتخفيف الواو جمع أولى مؤنث أول وهو تأكيد لسابقه على أول المعنيين.

الرابعة: قوله «**وهن من تلادي**» بكسر المثناة وتخفيف اللام أي مما حفظ قديماً، والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارق، ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم.

شرح جملة من الكلمات:

١- [قال قتادة: ﴿جذاذاً﴾ قطّعَهُن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله **﴿فجعلهم جذاذاً﴾** أي قطعاً.وأخرج عن ابن عباس قال «حطاماً».وأخرج عن مجاهد قال: كالصريم والعبارات الثلاث متقاربات المعنى.

والآية المشار إليها:**﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾**.

٢- [وقال الحسن: ﴿في فلك﴾ مثل فلكة المغزل].

ش: وصله ابن عيينة عن عمرو عن الحسن.ذكره الحافظ وحكاه ابن جرير

بقوله: «وذكر عن الحسن أنه يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل»اهـ. وبه قال قتادة وابن زيد. وهو **أحد** خمسة أقوال حكاها عن أهل التفسير.

وثانيها: أنه كهيئة حديدة الرحى وبه قال مجاهد وابن جريج وابن عباس.

وثالثها: أنه سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها وبه قال الضحاك.

ورابعها: أنه موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وخامسها: أنه القطب الذي تدور به النجوم. ولم يذكر قائلاً لهذين القولين.

والآية المشار إليها:**﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾**.

٣- [**﴿يسبحون﴾ يدورون**].

ش: وصله ابن المنذر من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿كل في فلك يسبحون﴾** يدورون حوله. حكاه الحافظ.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن زيد قالا: يجرون. وكلتا العبارتين بمعنى واحد.

٤- [**وقال ابن عباس: ﴿نفشت﴾ رعت ليلاً**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا. حكاه في الفتح.

وقال أبو عبيدة: النفش أن تدخل ليلاً فتأكله. وقالت: نفشت في جدّادي، الجداد من نسج الثوب تعني الغنم. اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾**.

٥- [﴿يصحبون﴾ يمنعون].

ش: وصله ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

وفي الآية ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير عن المفسرين:

أحدها: أنها لا تصحب من الله بخير وهو قول قتادة.

وثانيها: بمعنى لا ينصرون وبه قال مجاهد وابن عباس وهو بمعنى ما حكاه المصنف عنه.

وثالثها: بمعنى يجارون. وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

ثم قال بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن "هم" من قوله "ولا هم" من ذكر الكفار، وأن قوله «يصحبون» بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك. اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿أم هم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾**.

٦- [**﴿أمتكم أمة واحدة﴾ قال دينكم دين واحد**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

والآية المشار إليها: **﴿إن هذه أمتكمَ أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**.

٧- [**وقال عكرمة: ﴿حصب﴾ حطب بالحبشية**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق عبد الملك بن أبجر سمعت عكرمة بهذا. حكاه في الفتح (٦/٣٣٢).

وأخرج ابن جرير ثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن ابن أبجر عن عكرمة قوله **﴿حصب جهنم﴾** قال: حطب جهنم. وأخرجه أيضاً عن مجاهد

وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون ا لله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾.

٨- [**وقال غيره ﴿أحسوا﴾ توقعوا، من أحسست**].

ش: قال أبو عبيدة: أي لقوه ورأوه يقال: هل أحسست فلاناً، أي هل وجدته، ورأيته ولقيته، ويقال: هل أحسست مني ضعفاً، وهل أحسست من نفسك براً.اهـ.

قلت: وهذا أولى مما ذهب إليه المصنف رحمه ا لله لدلالة ظاهر الأية عليه.

والآية المشار إليها: ﴿**فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون**﴾.

٩- [﴿**خامدين**﴾ **هامدين**].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الخامد مجاز الهامد كما يقال للنار إذا أطفئت خمدت النار.وقال ابن جرير هالكين قد انطفئت شرارتهم، وسكنت حركتهم فصاروا هموداً.كما تخمد النار فتطفأ.ثم أخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿**فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين**﴾.

١٠- [﴿**حصيداً**﴾ **مستأصل، يقع على الواحد والاثنين والجمع**].

ش: قال أبو عبيدة: والحصيد مجازه مجاز المستأصل وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى سواء كأنه أُجري مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والاثنان والجميع منه على لفظه.اهـ.

١١- [﴿لا يستحسرون﴾ لا يَعْيُون ومنه ﴿حسير﴾ وحسرت بعيري].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا يفترون ولا يعيون ولا يملون ويقال حسرت البعير.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد لا يفترون ولا يسأمون.وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها: **﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾.**

١٢- [﴿عميق﴾ بعيد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقطعن بعد النازح العميق».

والآية المشار إليها هي الآية السابعة والعشرون من سورة الحج، ومناسبة ذكرها ها هنا لما وقع في هذه السورة فجاجاً وجاء في التي بعدها من كل فج عميق. كأنه استطرد من هذه لهذه أو كان في طرة فنقلها الناسخ إلى غير موضعها. كذا وجهه الحافظ.

١٣- [﴿نكسوا﴾ ردوا].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه قلبوا ويقال نكست فلاناً على رأسه إذا قهره وعلاه ونحو ذلك.

وحكى ابن جرير في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: غلبوا في الحجة وبه قال قتادة وابن إسحاق.

وثانيها: بمعنى نكسوا في الفتنة وهو قول السدي.

وثالثها: بمعنى ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم وبه قال بعض أهل العربية.

قلت: واختلاف هذه العبارات لفظي.

والآية المشار إليها: **﴿ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء**

ينطقون﴾.

١٤- [**﴿صنعة لبوس﴾ الدروع**].

ش: قال أبو عبيدة: «اللبوس السلاح كلها من درع إلى رمح وقال الهذلي:

ومعنى لبوس للبئيس كأنه روقة بجبهة ذي نعاج مجفل»

وقال ابن جرير: «وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع.ثم أخرج المعنى عن قتادة».

والآية المشار إليها: **﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾**.

١٥- [**﴿تقطعوا أمرهم﴾ اختلفوا**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه واختلفوا وتفرقوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد اختلفوا في الدين.

والآية المشار إليها: **﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾**.

١٦- [**الحَسيس والحس والجَرْس والهَمْس واحد،وهو من الصوت الخفي**].

ش: قال أبو عبيدة: أي صوتها والحسيس والحس واحد قال عبيد بن الأبرص:

فاستثال وارتاع من حسيسها وفعله يفعل المذؤوب

والآية المشار إليها: **﴿لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾**.

١٧- [**﴿أذناك﴾ أعلمناك**].

ش: الآية المشار إليها هي السابعة والأربعون من سورة فصلت حم السجدة.

وقد ذكره ها هنا استطراداً وتمهيدا لما بعدها.

١٨- [﴿آذنتكم﴾ إذا أعلمته فأنت وهو على سواء لم تغدر].

ش: قال أبو عبيدة: إذا أنذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر فقد آذنته على سواء.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾.**

١٩- [وقال مجاهد: ﴿لعلكم تسألون﴾ تفهمون].

ش: وصله الفريابي من طريقه.قاله في الفتح.

وأخرج ابن جرير: ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: تفقهون.

وهذا هو أحد القولين عنده في الآية.وثمة قول آخر وهو لعلكم تسئلون من دنياكم شيئاً على وجه السخرية والإستهزاء وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها: **﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون﴾.**

٢٠- [﴿ارتضى﴾ رضي].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.**

٢١- [﴿التماثيل﴾ الأصنام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: **﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾.**

٢٢- [﴿السجل﴾ الصحيفة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وأخرجه أيضاً عن ابن

عباس. وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه اسم ملك من الملائكة وبه قال ابن عمر والسدي.

وثالثها: أنه اسم رجل كان يكتب لرسول الله ﷺ وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير قول مجاهد ومن وافقه. قال: «لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه». اهـ.

قلت: ولا يجوز العدول عما هو معروف في لغة العرب عند الاطلاق في القرآن إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

والآية المشار إليها: **﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾**.

٢٣٢- [باب ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا**﴾].

ش: **قلت**: الآية: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾.

يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما قال تعالى ﴿**وما قدروا ا لله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾.

وقوله ﴿**كطي السجل للكتب**﴾ المراد بالسجل: الكتب كذا قرأه حفص وحمزة والكسائي وقرأ الباقون بالتوحيد.

وقوله ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾ يعني هذا كائن لا محالة، يوم يعيد ا لله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد ا لله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك ولهذا قال ﴿**إنا كنا فاعلين**﴾.

٢٦٠- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان شيخ من النخع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى ا لله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت - إلى قوله - شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

سبق شرحه في تفسير سورة المائدة ضمن الباب الحادي والعشرين بعد المائة.

آخر تفسير سورة الأنبياء و لله الحمد والمنة.

سورة الحـج

٢٣٣ـ سورة الحج بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية هو قوله تعالى **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عقبة بن عامر قال: «**قلت**: يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدها فلا يقرأها».

وأخرج أبو داود في المراسيل والبيهقي عن خالد بن مهران أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».

والسورة مختلطة منها مكي ومنها مدني حكاه القرطبي عن الجمهور.

قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور نزلت ليـ ؟ ونهاراً، سفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً.

وعدد آياتها ثمان وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾ المطمئنين**].

ش: هو كذلك في تفسير ابن عيينة.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال: المطمئنين.

وأخرجه عن قتادة قال: المتواضعين.

والآية المشار إليها: **﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾**.

٢- [**وقال ابن عباس: ﴿في أمنيته﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

واعلم أن أهل التفسير مختلفون في معنى قوله "تمنى" في هذا الموضع على قولين وكلاهما حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أن ذلك التمني من النبي ﷺ ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه، في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء وهذا هو قول محمد بن كعب القرضي ومحمد بن قيس وأبي العالية وسعيد بن جبير والضحاك.

وثانيهما: أنه بمعنى إذا قرأ وتلا أو حدّث وبه قال ابن عباس وقد قدمناه لك قبل قليل وهو قول مجاهد والضحاك في الرواية الثانية عنه.

٣- [**ويقال أمنيته قراءته**].

ش: **قلت:** هذا هو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه كما تقدم قبل قليل.

والآية المشار إليها: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾**.

٤- [**﴿إلا أماني﴾ يقرؤون ولا يكتبون**].

ش: قلت: أشار به إلى الآية الثامنة والسبعين من سورة البقرة

قال الفراء في تفسيرها: والأمنية في المعنى التلاوة كقول الله ﷻ: **﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** أي تلاوته، والأماني أيضاً أن يفتعل الرجل الأحاديث المفتعلة.اهـ محل الغرض.

٥- [**وقال مجاهد: ﴿مشيد﴾ بالقصة**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: معناه قصر رفيع طويل وهو قول قتادة والضحاك واختار ابن جرير أولهما ومعناه مشيد بالجص أو الكلس.

والآية المشار إليها:**﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾**.

٦- [**وقال غيره ﴿يسطون﴾ يفرطون من السطوة ويقال يسطون يبطشون**].

قلت: الأول هو قول أبي عبيدة وبالثاني قال ابن عباس ومجاهد فيما أخرجه ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾**.

٧- [**﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ ألهموا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأخرج عن ابن زيد «هدوا إلى الكلام الطيب لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله» وكلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما.

والآيـة المشـار إليهـا: ﴿**وهـدوا إلى الطيـب مـن القـول وهـدوا إلى صـراط الحميد**﴾.

٨- [قال ابن عباس ﴿بسبب﴾ بحبل إلى سقف البيت].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا أبن حميد ثنا حكام بن عنبسة عن أبـي إسـحاق الهمداني عن التميمي قال: «سألت ابن عباس...الأثر وفيه «والسبب الحبل والسماء سقف البيت».وأخرج نحوه عن قتادة ومجاهد والضحاك وعكرمة.

والآية المشار إليها:﴿**من كـان يظـن أن لـن ينصـره ا لله في الدنيـا والآخـرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع**﴾.

٩- [﴿وهدوا إلى الطيب﴾ ألهموا إلى القرآن].

ش: روى ابن المنذر من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله ﴿**إلى الطيب من القول**﴾ قال: القرآن.ذكره الحافظ.

١٠- [﴿تذهل﴾ تشغل].

ش: أخرجه البغوي عن ابن عباس وقال أبو عبيدة في الآية: أي تسلوا وتنسى قال كثيِّر عزه:

صحا قلبه يا عزا وكاد يذهل: أي يصحوا ويسلوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد: تترك ولدها للكرب الذي نزل.

والآية المشار إليها: ﴿**يوم ترونها تذهل كل مرضعـة عمـا أرضعـت وتضـع كل ذات حمل حملها**﴾.

٢٣٤- [باب ﴿**وترى الناس سكارى**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾.

قال تعالى: ﴿**يوم ترونها**﴾ هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له ﴿**تذهل كل مرضعة عما أرضعت**﴾ أي تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له، ولهذا قال ﴿**كل مرضعة** ﴾ ولم يقل كل مرضع وقال ﴿**عما أرضعت**﴾ أي عن رضيعها قبل فطامه.

وقوله ﴿**وتضع كل ذات حمل حملها**﴾ أي قبل تمامه لشدة الهول. ﴿**وترى الناس سكارى**﴾ وقرئ ﴿**سكرى**﴾ أي من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سكارى ﴿**وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾.اهـ من ابن كثير.

٢٦١- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ يوم القيامة يا آدم يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا».

قال أبو أسامة، عن الأعمش: «﴿ترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ وقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية ﴿سكرى وما هم بسكرى﴾.

ش: فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قال النبي ﷺ: قال الله ﷻ**» كذا في الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج وفي آخرها تعالى بدل عزوجل.وفي التوحيد باب قول الله تعالى **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** «قال النبي ﷺ يقول الله» بلا زيادة.وفي الرقاق «قال رسول الله ﷺ يقول الله» وعند مسلم في الإيمان باب قوله «يقول الله لآدم اخرج بعث النار» «قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ» وعند النسائي في تفسير السورة «قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى» فقد إتفقت هذه الروايات جميعها كما ترى على أن الحديث مرفوع.

الثانية: قوله «**لبيك ربنا وسعديك**» في الأنبياء والرقاق باب قوله عز وجل **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** وعند مسلم «فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك» وفي التوحيد «لبيك وسعديك» فقط.وفي الإقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضاً بتقدير الله كالخير.

قلت: وفي التنزيل الكريم **﴿وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾.**

الثالثة: قوله «**فينادى بصوت**» كذا في التوحيد وفي الأنبياء «يقول» وفي الرقاق وعند مسلم «قال يقول» وعند النسائي «يقول الله تبارك وتعالى لآدم يوم القيامة: يا آدم».

قلت: وفي هذا دليل على أن المنادي هو الله جل وعلا وأنه يخاطب عبده آدم ﷺ بلا واسطة بكلام يسمعه آدم وذلك الكلام هو حرف وصوت وهذا هو مذهب العقلاء.

قال **السجزي** ـ رحمه الله ـ في رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: «اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت له اللغات...ـ إلى أن قال ـ فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً» .اهـ

الرابعة: قوله «**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**» وكذا في التوحيد وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «أخرج بعث النار» وعند النسائي «قم فابعث من ذريتك بعث النار» وعند أحمد «نصيب» بدل «بعث» والبعث بمعنى المبعوث وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناه هنا ميّز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء فقد رآه النبي ﷺ ليلة الأسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة.

الخامسة: قوله «**يا رب وما بعث النار**» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي قال: «وما بعث النار» بدون «يا رب» وفي حديث أبي هريرة في باب كيف الحشر من الرقاق «فيقول كم أخرج» والواو عاطفة على شيء محذوف تقديره سمعت وأطعت وما بعث النار.

السادسة: قوله: «**من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين**» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» بالجزم.وفي حديث أبي هريرة المشار إليه قبل قليل «من كل مائة تسعة وتسعين».

قال الكرماني: «إن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد

الكافرين».

السابعة: قوله «**فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي «فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى...الخ ففي الحديث رد على القائلين إن زلزلة الساعة المذكورة في قوله تعالى ﴿**إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾ واقعة في الدنيا وهم علقمة والشعبي وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي. أخرجه عنهم ابن جرير في تفسير الآية.

الثامنة: قوله «**فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم**» في الأنبياء «قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد» وفي الرقاق وعند مسلم «فاشتد ذلك عليهم» وعند النسائي «فشق ذلك على الصحابة» وفي حديث ابن عباس «فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن» وعند الترمذي والنسائي في تفسير سورة الحج والحاكم في الإيمان وصححه من حديث عمران بن حصين «فأبلس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة».

التاسعة: قوله «**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد**» في الأنبياء «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً» وفي الرقاق وعند مسلم «فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» وعند النسائي «فدخل منزله ثم خرج عليهم فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد» وعند الترمذي من حديث عمران «فقال اعملوا وابشروا».

قال الحافظ: «وقد فتح الله تعالى بأجوبة أخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة». قاله في شرحه لهذا الحديث في الرقاق بعد نقله كلام الكرماني المتقدم في المسألة السادسة.

العاشرة: قوله «**ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور**

الأبيض» في الأنبياء «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود» وفي الرقاق «إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وعند مسلم «إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار» وعند النسائي «ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض» وفي باب كيف الحشر من الرقاق من حديث ابن مسعود قال: «وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» وفي حديث عمران عند الترمذي والنسائي «ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة».

قال مقيده: والذي يظهر لي من مجموع هذه الروايات إخباره ﷺ بأن أتباعه على دينه أقل الناس ويؤيده رواية ابن مسعود المتقدمة «ما أنتم في أهل الشرك».

الحادية عشرة: قوله «**فإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**» وكذا عند النسائي وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «إني لأطمع» وفي حديث ابن مسعود «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة».

قلت: واختلاف الروايات محمول على تعدد القصة ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود قال: «كنا مع النبي ﷺ في قبة» وفي حديث عمران بن حصين وهو عند الترمذي والنسائي قال: «كنا مع النبي ﷺ في مسير فتفاوت بين أصحابه في السير» فذكر نحو حديث أبي سعيد.

الثانية عشرة: قوله «**فكبرنا**» وكذا في الأنبياء وفي الرقاق وعند مسلم «فحمدنا الله وكبرنا» وعند النسائي «فكبروا وحمدوا الله».

الثالثة عشرة: قوله «**ثلث أهل الجنة فكبرنا**» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا

ثلث أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا».

الرابعة عشرة: قوله «**شطر أهل الجنة فكبرنا**» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو ا لله أن تكونوا نصف أهل الجنة».

وقوله «**قال أبو أسامة عن الأعمش: سكارى وما هم بسكارى**» يعني أنه وافق حفص بن غياث في رواية هذا الحديث عن الأعمش بإسناده ومتنه وقد أخرجه أحمد عن وكيع عن الأعمش كذلك.

وقوله «**وقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» تقدم في المسألة السادسة.

قوله «**وقال جرير وعيسى ويونس وأبو معاوية ﴿سكرى وما هم بسكرى﴾**» بمعنى أنهم رووه عن الأعمش بإسناده هذا ومتنه لكنهم خالفوا في هذه اللفظة.

قلت: وبهذه الأخيرة قرأ حمزة والكسائي وبالأولى قرأ الباقون كما في **الكشف**.

فأما رواية جرير فوصلها المصنف في الرقاق.

وأما رواية عيسى ويونس فوصلها إسحاق بن راهوية عنه كذلك.

وأما رواية أبي معاوية فاختلف عليه فيها، فرواها بلفظ «سكرى» أبو بكر بن أبي شيبة عنه، وقد أخرجها سعيد بن منصور عن أبي معاوية والنسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية فقالا في روايتهما «سكرى وما هم بسكارى» وكذا عند الإسماعيلي من طريق أخرى عن أبي معاوية، وأخرجها مسلم عن أبي كريب عنه مقرونة برواية وكيع وأحال بهما على رواية جرير.

وروى ابن مردويه من طريق محاضر، والطبري من طريق المسعودي كلاهما عن ابن مسعود «سكرى وما هم بسكرى» قال: وهو جيد في العربية.انتهى.

ونقله الإجماع عجب مع أن أصحابه الكوفيين يحيى بن وثاب وحمزة والأعمش والكسائي قرؤوا بمثل ما نقل عن ابن مسعود، ونقلها أبو عبيد أيضاً عن حذيفة وأبي زرعة بن عمرو واختارها أبو عبيد.انتهى قاله الحافظ في الفتح (٤٤٢/٨).

من فقه الحديث.

أولاً: فضيلة آدم ﷺ وشرفه

ثانياً: في نداء الله إياه إثبات صفة الكلام لله فإنه جل وعلا يكلم من شاء متى شاء وكيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ثالثاً: كثرة أهل النار.

رابعاً: كثرة يأجوج ومأجوج.

خامساً: إن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ وهذا دليل على أنها تفضل سائر الأمم.

٢٣٥- [باب ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرٌ اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ - إلى قوله - ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾].

ش: تمام السياق **﴿ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾.**

يعني جل ذكره بقوله **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾** أعراباً كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة و الدخول في الأسلام أقاموا على الأسلام و ألا ارتدوا على أعقابهم فقال الله**﴿ومن الناس من يعبد الله﴾** على شك **﴿فان أصابه خير اطمأن به﴾** وهو السعه من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالأسلام وثبت عليه **﴿وإن أصابته فتنة﴾** وهو الضيق في العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا **﴿انقلب على وجهه﴾** يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر با لله

وقوله **﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾** يقول تعالى ذكره وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، إرتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها **﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾** يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهاباً بعيداً.

[﴿أترفناهم﴾ وسعناهم].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وسعنا عليهم فأترفوا فيها وبغوا وبطروا فكفروا وأعجبوا قال العجاج:

وقد رآني بالديار مترفاً

قلت: وهذه الكلمة من الآية الثالثة والثلاثين من قد أفلح المومنون و لم تظهر

لنا المناسبة لذكرها ها هنا ولعله تصرف من الناسخ.

٢٦٢ـ حدثني إبراهيم بن الحارث[١] حدثنا يحيى بن أبي بكير[٢] حدثنا إسرائيل، عن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**كان الرجل يقدم المدينة**» وعند ابن أبي حاتم من رواية جعفر بن أبي المغيرة «كان الناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون» ساق إسنادها ابن كثير.

الثانية: قوله «**فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح**» وفي رواية جعفر المذكورة «فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به» وأخرج ابن المنذر من طريق الحسن «قال لنعم الدين هذا» حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «**وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء**» وفي رواية جعفر المتقدمة «فإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير».

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل البغدادي نزيل نيسابور، صدوق من الحادية عشرة مات سنة خمس وستين ومائتين.خ.كد.

(٢) هو يحيى بن أبي بكير واسمه نسر الكرماني كوفي الأصل، نزل بغداد ثقة من التاسعة، مات سنة ثمان أو تسع ومائتين.ع.

٢٣٦- [باب ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾].

ش: تمامها ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾.

قوله ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ أي هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر، ومحاربته إياه على دينه.

وقوله ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار**﴾ يقول تعالى ذكره فأما الكافر با لله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار.

وقوله ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾ يقول يصب على رؤوسهم ماء مغلي.

٢٦٣- حدثنا حجاج بن منهال حدثنا هشيم أخبرنا أبو هاشم[١] عن أبي مجلز[٢] عن قيس بن عباد[٣] عن أبي ذر[٤] رضي ا لله عنه «**أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر**».

رواه سفيان عن أبي هاشم وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله.

---

(١) هو يحيى بن دينار الرماني الواسطي وقيل ابن الأسود وقيل ابن نافع ثقة من السادسة مات سنة اثنتين وعشرين [ومائة] وقيل سنة خمس وأربعين. ع.

(٢) هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري مشهور بكنيته ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ست وقيل تسع ومائة وقيل قبل ذلك. ع.

(٣) هو أبو عبد ا لله قيس بن عباد البصري، ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عده في الصحابة. خ.م.د.س.ق.

(٤) هو جندب بن جنادة الغفاري الصحابي المشهور، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً ومناقبه كثيرة جداً مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. ع.

٢٦٤ـ حدثنا حجاج بن منهال حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة».

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**كان يقسم فيها**» وفي المغازي باب قتل أبي جهل وعند مسلم في التفسير «سمعت أبا ذر يقسم قسماً» وعند ابن جرير من رواية سفيان عن أبي هاشم «سمعت أبا ذر يقسم با لله قسماً»

الثانية: قوله «**إن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**» في المغازي «**﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**» وعند مسلم «إن **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾** إنها نزلت» وعنده أيضاً وعند المصنف في المغازي من طريق سفيان «لنزلت هؤلاء الآيات».

الثالثة: قوله «**في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه**» فسره في المغازي وعند مسلم «حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة.

الرابعة: قوله «**يوم برزوا في يوم بدر**» لم يقع في هذه الرواية تفصيل المبارزين وذكر ابن إسحاق أن عبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة كانا أسن القوم فبرز عبيدة لعتبة، وحمزة لشيبة، وعلي للوليد.

قال الحافظ: وعند موسى بن عقبة: برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء، ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله.

وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة، وعند

أبي الأسود عن عروة مثله، وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني أن شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعلياً للوليد ثم قال الليث إن عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة.اهـ

قال بعض من لقيناه: اتفقت الروايات على أن علياً للوليد وإنما اختلفت في عتبة وشيبة أيهما لعبيدة وحمزة، والأكثرون على أن شيبة لعبيدة.

قلت: وفي دعوى الإتفاق نظر، فقد أخرج أبو داود من طريق حارثة بن مضرب عن علي قال: «تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فانتدب له شباب من الأنصار فقال لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة.فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة».

قلت: وهذا أصح الروايات لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: «أعنت أنا وحمزة وعبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا».وهذا موافق لرواية أبي داود والله أعلم.اهـ من الفتح (٧/٢٩٤).

الخامسة: قوله «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» يجثو بالجيم والمثلثة أي يقعد على ركبتيه مخاصماً، والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام.اهـ من الفتح.

السادسة: قوله «**وفيهم نزلت**» في المغازي من رواية سليمان التيمي قال علي رضي الله عنه: «فينا نزلت هذه الآية».

قلت: وهذا تصريح بوصل الخبر عن علي رضي الله عنه ويجوز عندي أن قيساً ذكره مرة مرسلاً وذكره مرة عن علي.

السابعة: قوله «﴿**هذان خصمان**﴾ **الخ**».تقدم الكلام عليه في المسألة الثانية وما بعدها.

وفي الحديثين النص على أن المراد بالخصمين هم المؤمنون والكفار المتبارزون يوم بدر وهذا هو قول هلال بن يساف وعطاء وقيس بن عباد وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها ابن جرير.

وثانيها: أن الفريق الآخر أهل الكتاب وبه قال ابن عباس.

وثالثها: أن الفريق الآخر هم الكفار كلهم من أي ملة كانوا قاله الحسن بن علي وعاصم والكلبي ومجاهد.

ورابعها: أن الخصمين هما الجنة والنار وهو قول عكرمة.

وإن قلت أي هذه الأقوال ترى أنه يشمله عموم الآية **قلت:** نختار قول مجاهد ومن وافقه لأنه لا ينافي القولين قبله وظاهر الآية يؤيده.

آخر تفسير سورة الحج و لله الحمد والمنة.

سورة المؤمنون

سورة المؤمنين

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: وفي نسخة أخرى برواية الهروي المؤمنون، وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عبد ا لله بن السائب قال: «صلى النبي ﷺ بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع» أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وقال القرطبي: كلها مكية في قول الجميع، وآياتها تسع عشرة ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**قال ابن عيينة: ﴿سبع طرائق﴾ سبع سموات**].

ش: هو في تفسير ابن عيينة من رواية سعيد بن عبد الرحمن عنه، وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾**.

٢- [**﴿لها سابقون﴾ سبقت لهم السعادة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرج عن ابن زيد «فتلك الخيرات».

والآية المشار إليها: **﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾**

٣- [**﴿قلوبهم وجلة﴾ خائفين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ «يعملون خائفين».

والآية المشار إليها: **﴿والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾**.

٤- [قال ابن عباس: **﴿هيهات هيهات﴾ بعيد بعيد**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾**.

٥- [**﴿فاسأل العادّين﴾ الملائكة**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وهو **أحد** قولين في الآية.

وثانيهما: أنهم الحسّاب وهو قول قتادة وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

والآية المشار إليها: **﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾**.

٦- [**﴿لناكبون﴾ لعادلون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذا قال أبو عبيدة وزاد:: يقال نكب عنه ويقال نكب عن فلان أي عدل عنه ويقال نكب عن الطريق أي عدل عنه.

والآية المشار إليها: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾.

٧- [﴿كالحون﴾ عابسون].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾.

٨- [وقال غيره ﴿من سلالة﴾ الولد والنطفة السلالة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وقالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية:

وهل كنت إلا مهرة عربية   سلالة أفراس تجللها بغل

فإن نتجت مهرا كريما فبالحري   وإن يك إقراف فمن قبل الفحل

تقول لزوجها روح بن زنباع الجذامي.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

٩- [والجنة والجنون واحد].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين﴾.

١٠- [والغثاء الزبد وما ارتفع عن الماء وما لا ينتفع به].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: في شيء.

والآية المشار إليها: ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين﴾.

١١- [﴿يجأرون﴾ : يرفعون أصواتهم كما تجأر البقرة].

ش: قاله أبو عبيدة إلا أنه قال الثور بدل البقرة وزاد: قال عدي بن زيد:

إنني وا لله فاسمع حلفي   بأبيل كلما صلى جأر

والآية المشار إليها: ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجئرون**﴾.

١٢- [**﴿على أعقابكم﴾ رجع على عقبيه**].

ش: قال أبو عبيدة: يقال لمن رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبيه.

والآية المشار إليها: ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون**﴾.

١٣- [**﴿سامراً﴾ من السَّمَر، والجميع السُّمَّار والسامر ها هنا في موضع الجمع**].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من سمر الليل قال ابن أحمر:

من دونهم إن جئتهم سمراً عزف القيان ومجلس عمر

وسامر في موضع «سمّار» بمنزل طفل في موضع أطفال». اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**مستكبرين به سامراً تهجرون**﴾.

١٤- [**﴿تسحرون﴾ تعمون من السحر**].

ش: قال أبو عبيدة: أي فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه ونراه من قوله «سحرت أعيننا عنه فلم نبصره».

والآية المشار إليها : ﴿ **قل من بيده ملكوت كلِّ شيئ وهو يجير ولايُجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تُسحرون** ﴾

آخر تفسير سورة قد أفلح المؤمنون و لله الحمد والمنة.

سورة النور

٢٣٨- بسم ا لله الرحمن الرحيم سورة النور.

ش/ شاهد التسمية : قوله تعالى ﴿**ا لله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...**﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير قالا: أنزلت سورة النور بالمدينة.

وآياتها أربع وستون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [﴿من خلاله﴾ من بين أضعاف السحاب].

ش/ قال أبو عبيدة: أي من بين السحاب يقال: من خلاله ومن خلله قال زيد الخيل:

ضربن بغمرة فخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قرأها **﴿من خلله﴾** بفتح الخاء من غير ألف قال هارون ـ أحد رواته ـ فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم.

والآية المشار إليها:**﴿ألم تر أن ا لله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾**.

٢- [﴿سنا برقه﴾ الضياء].

ش/ قال أبو عبيدة: منقوص أي ضوء البرق و"سناء" الشرف ممدود.اهـ.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن زيد "ضوء" وقال قتادة "لمعان".

والآية المشار إليها:**﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾**.

٣- [﴿مذعنين﴾ يقال للمستخذي مذعن].

ش/ قال أبو عبيدة: أي مقرين مستخذين منقادين، يقال أذعن لي إنقاد لي.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: "سراعاً".

قلت: وليس بين العبارتين إختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها:**﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾**.

٤- [﴿أشتاتاً﴾ وشتى وشتات وشتٌ واحد].

ش/ قاله أبو عبيدة دون قوله شتٌ.

وقال في المصباح: شت شتاً من باب ضرب إذا تفرق والاسم الشتات،

وشتى شتيت وزان كريم متفرق وقوم شتى على فعل فعلى متفرقون وجاءوا أشتاتا كذلك.وشتان ما بينهما أي بعد.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً**﴾.

٥- [**وقال ابن عباس: ﴿سورة أنزلناها﴾ بيناها**].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

٦- [**وقال غيره: سمى القرآن لجماعة السور وسميت السورة لأنها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآناً**].

ش/ قال أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ وهي الآية الثالثة والعشرون من سورة البقرة أي من مثل القرآن، وإنما سميت سورة لأنها مقطوعة من الأخرى وسمي القرآن قرآناً لجماعة السور.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها أيات بينات لعلكم تذكرون**﴾.

٧- [**وقال سعد بن عياض الثمالي: المشكاة الكوة بلسان الحبشة**].

ش/ سعد بن عياض الثمالي بضم المثلثة وتخفيف الميم نسبة إلى ثمالة قبيلة من الأزد وهو كوفي تابعي، ذكر مسلم أن أبا إسحاق تفرد بالرواية عنه، وزعم بعضهم أن له صحبة و لم يثبت، وما له في البخاري إلا هذا الموضع، وله حديث عن ابن مسعود عند أبي داود والنسائي قال ابن سعد: كان قليل الحديث وقال البخاري: مات غازياً بأرض الروم وقوله «المشكاة الكوة بلسان الحبشة» وصله ابن شاهين من طريقه ووقع لنا بعلو في فوائد جعفر السراج.اهـ قاله في الفتح.

قلت: وفيه لأهل العلم بالتأويل ستة أقوال:

أولها: أنها كل كوة لا منفذ لها وبه قال كعب الأحبار وابن عباس وابن

جريج.

ثانيها: أنها صَدْرُ المؤمن وهو قول أبي بن كعب والرواية الثانية عن ابن عباس.

وثالثها: أنها جوف المؤمن قاله مجاهد وهو الرواية الثالثة عن ابن عباس.

ورابعها: أنها قلب المؤمن وبه قال الحسن وابن زيد.

وخامسها: أنها القنديل وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه.

وسادسها: أنها الحديد الذي يعلق به القنديل قاله مجاهد في الرواية الثالثة عنه.

أخرجها ابن جرير ثم قال: مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها.

والآية المشار إليها:﴿ **لله نور السموات والآرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح**﴾.

٨- [**وقوله تعالى ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ تأليف بعضه إلى بعض ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا جمعناه وألفناه فاتبع قرآنه أي ما جمع فيه فاعمل بما أمرك وانته عما نهاك الله ويقال: ليس لشِعْره قرآن أي تأليف، وسمي الفرقان لأنه يفرِّق بين الحق والباطل ويقال للمرأة ما قرأَتْ بِسَلاً قط، أي لم تجْمَع في بطنها ولداً**].

ش/ قال أبو عبيدة في الآية الثامنة عشرة من سورة القيامة: «اتبع جمعه فإذا قرأناه : جمعناه وهي من قول العرب ما قَرَأَتْ هذه المرأةُ سلى قط.قال عمرو بن كلثوم: لم تقرأ جنيناً».اهـ.

وهذا التفسير شاهد لما ذكره في الأثر السادس عند قوله "وقال غيره...الخ".وكان حقه أن يليه كما في النسخة التي اعتمدها الحافظ.

والآية المشار إليها هي الثامنة عشرة من سورة القيامة وسيأتي تفسيرها.

٩- [**وقال ﴿فَرّضْنَاها﴾ أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ ﴿فَرَضْناها﴾**

يقول فرضنا عليكم وعلى من بعدكم].

ش/ قال الفراء في تفسيره: ومن قال فرضناها يقول أنزلنا فيها فرائض مختلفة وإن شاء فرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة، والتشديد لهذين الوجهين حسن.

قلت: وكلتا القراءتين سبعية صحيحة فبالتشديد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالتخفيف قرأ بقية السبعة.حكاه مكي.

والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس .

١٠- [**قال مجاهد: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ لم يدروا، لِما بِهِم من الصِّغَر]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني محمد ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم».

والآية المشار إليها: **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾**.

١١- [**وقال الشعبي ﴿غير أولي الإربة﴾ من ليس له أَرب]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي قال: الذي لا أرب له في النساء.

١٢- [**وقال طاوس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء]**.

ش/ أخرجه ابن جرير ثنا الحسن أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: الأحمق الذي ليست له همة في النساء.

١٣- [**وقال مجاهد: لا يهمه إلا بطنه ولا يُخاف على النساء]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

وأخرج من طريق شريك عن منصور عن مجاهد قال الأبله.

وهذه الثلاثة الأقوال متقاربة.

٢٣٩- [باب قوله عزوجل ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله إنه لمن الصادقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: **﴿والذين يرمون﴾** من الرجال **﴿أزواجهم﴾** بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا، ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة.

ويعني بقوله **﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله﴾** فحلف أحدهم أربع أيمان با لله من قول القائل: أشهد با لله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة.اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر ا لله ﷻ وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات با لله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين.

٢٦٥- حدثنا إسحاق حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي حدثني الزهري عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصماً بن عديّ وكان سيد بني عجلان فقال: «كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول ا لله ﷺ عن ذلك.فأتى عاصمٌ النبيَ ﷺ فقال: يا رسول ا لله فكره رسول ا لله ﷺ المسائل، فسأله عويمر، فقال: إن رسول ا لله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: وا لله لا أنتهي حتى أسأل رسول ا لله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول ا لله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول ا لله ﷺ: قد أنزل ا لله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول ا لله ﷺ بالملاعنة بما سمى ا لله في كتابه فلاعنها ثم قال: يا رسول ا لله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين.ثم قال رسول ا لله ﷺ: انظروا، فإن جاءت به أسحم

أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر، كأنه وحرة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها».فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه».

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أن عويمر**» في رواية القعنبي عن مالك «عويمر بن أشقر» وكذا أخرجه أبو داود، وأبو عوانة من طريق عياض بن عبد الله الفهري عن الزهري، ووقع في "الإستيعاب" «عويمر بن أبيض» وعند الخطيب في "المبهمات" «عويمر بن الحارث»، وهذا هو المعتمد؛ فإن الطبري نسبه في "تهذيب الآثار" فقال: «هو عويمر بن الحارث بن زيد بن الجد بن عجلان،فلعل أباه كان يلقب أشقر، أو أبيض».اهـ من الفتح.

الثانية: قوله «**أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان**» أي ابن الجد بن العجلان العجلاني، وهو ابن عم والد عويمر.والجد بفتح الجيم وتشديد الدال، والعجلان بفتح المهملة وسكون الجيم، هو: ابن حارثة بن ضبيعة من بني بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكان العجلان حالف بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من الأنصار في الجاهلية وسكن المدينة فدخلوا في الأنصار؛ وقد ذكر ابن الكلبي أن امرأة عويمر هي بنت عاصم المذكور وأن اسمها خولة. وقال ابن مندة في كتابه "الصحابة": «خولة بنت عاصم التي قذفها زوجها فلاعن النبي ﷺ بينهما، لها ذكر ولا تعرف لها رواية» وتبعه أبو نعيم ولم يذكرا سلفهما في ذلك وكأنه ابن الكلبي.حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «**كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً**» عند مسلم في اللعان «أرأيت يا عاصم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وعند المصنف في الطلاق باب من جوز الطلاق لثلاث من رواية مالك «أرأيت رجلاً».وفي

المساجد باب القضاء واللعان في المسجد من رواية ابن جريج «أن رجلاً قال يا رسول الله أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وفي التلاعن في المسجد من الطلاق وعند مسلم من رواية ابن جريج «أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله» وفي حديث ابن مسعود عند مسلم في اللعان «قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذا جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، وإن سكت سكت على غيظ...الخ الحديث».

قلت: فلا تعارض لجواز تعدد القصة وإن كانت واحدة فيجوز أن صاحبها سأل رسول الله ﷺ وسأل غيره.

الرابعة: قوله «**أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع**» أي قصاصاً لتقدم علمه بحكم القصاص لعموم قوله تعالى: ﴿**النفس بالنفس**﴾ لكن قال ذلك لاحتمال أن يخص من ذلك ما يقع بالسبب الذي لا يقدر على الصبر عليه غالباً من الغيرة التي في طبع البشر، ولأجل هذا قال: «أم كيف يفعل»؟ وفي أول باب الغيرة استشكل سعد بن عبادة مثل ذلك وقال «لو رأيته لضربته بالسيف غير مصفح» وذلك قبل أن ينزل اللعان

الخامسة: قوله «**فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل**» في الطلاق «فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ».

السادسة: قوله «**فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ قال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها».

السابعة: قوله «**والله لا أنته حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك**» في

الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال عويمر: وا لله لا أنتهي حتى أسأله عنها».

الثامنة: قوله «**فجاء عويمر فقال: يا رسول ا لله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فأقبل عويمر حتى جاء رسول ا لله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول ا لله ..» الحديث.

التاسعة: قوله «**قد أنزل ا لله القرآن فيك وفي صاحبتك**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال رسول ا لله ﷺ قد أُنزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها» وفي الإعتصام «فأنزل ا لله القرآن خلف عاصم» وفي رواية ابن جريج في الطلاق «فأنزل ا لله في شأنه ما ذكر في القرآن من أمر الملاعنة» وفي رواية إبراهيم بن سعد «فأتاه فوجده قد أنزل ا لله عليه» ويمكن الجمع بأن نزول القرآن في عويمر وزوجه فور انصراف عاصم من عند النبي ﷺ وأن عويمراً لم يعلم بذلك حتى أتى رسول ا لله ﷺ فأعلمه.

العاشرة: قوله «**فأمرهما رسول ا لله ﷺ بالملاعنة بما سمى ا لله في كتابه فلاعنها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول ا لله ﷺ» وعند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن جريج «فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد» ولم يذكر هاهنا ولا في غيره من الطرق كيفية ملاعنة عويمر وزوجه؛ لكن في حديث ابن عمر عند مسلم «فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات با لله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات با لله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين» الحديث.

قلت: فهذا بيان صريح في كيفية تلك الملاعنة وهو من بيان السنة بالسنة.

الحادية عشرة: قوله «**يا رسول ا لله إن حبستها فقد ظلمتها، فطلقها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال عويمر: كذبت عليها يا رسول ا لله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول ا لله ﷺ» وفي حديث ابن عمر عند

المصنف في الطلاق «ففرق بينهما» والجمع بينهما أن عويمر طلق زوجه بعد الملاعنة ثم فرق بينهما ﷺ تفريقاً أبدياً بعدها، ويؤيده قوله بعد «لا مال لك، إن كنت صادقاً فقد دخلت بها، وإن كنت كاذباً فهو أبعد منك».

الثانية عشرة: قوله «**فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان قال ابن شهاب: «فكانت سنة المتلاعنين».زاد أبو داود عن القعنبي عن مالك «فكانت تلك» وهي إشارة إلى الفرقة.

الثالثة عشرة: قوله «**انظروا فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها**» وعند المصنف في الطلاق «إن جاءت به أحمر قصيراً كأنه وحرة فلا أراها إلا قد صدقت وكذب عليها، وإن جاءت به أسود أعين ذا إليتين فلا أراه إلا قد صدق عليها» ومعنى قوله «أسحم» أي شديد السواد وقوله «أدعج» أي أكحل أو شديد سواد العينين وقوله «خدلج الساقين» أي ممتلئان باللحم.

الرابعة عشرة: قوله «**فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ**» عند المصنف في الطلاق «فجاءت به على المكروه من ذلك».

الخامسة عشرة: قوله «**فكان بعد ينسب إلى أمه**» عند مسلم في اللعان وعند المصنف في الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

من فقه الحديث:

أخرج الحديث الإمام أبو عمر ابن عبد البر في باب ابن شهاب عن سهل بن سعد من كتابه التمهيد (٦/١٨٨) واستنبط منه أكثر من عشرين فائدة ونحن ننقل بعضها مع تصرف واختصار. ـ قال ـ في هذا الحديث من الفقه:

١ـ السؤال عن الإشكال

٢ـ وفيه أن الاستفهام بـ "أرأيت" عن المسائل كان قديماً في عصر رسول الله ﷺ.

٣ـ وفيه أن يتولى السؤال عن مسألتك غيرك وإن كانت مهمة.

٤ـ وفيه قبول خبر الواحد؛ لأنه لو لم يجب قبول خبره عنده ما أرسله يسأل له.

٥ـ وفيه كراهية سماع الكلام إذا فيه تعريض بقبيح.

٦ـ فيه أن طباع البشر أن تكون الغيرة تحمل على سفك الدماء إلا أن يعصم الله عن ذلك بالعلم والتثبت والتقى.

٧ـ وفيه أن العالم إذا كره السؤال له أن يعيبه وينجه[١].صاحبه.

٨ـ وفيه أن من لقي شيئاً من المكروه بسبب غيره كان له أن يؤنب ذلك الذي لقي المكروه بسببه ويعاتبه، لقول عاصم لعويمر: لم تأتني بخير.

٩ـ وفيه أن المحتاج إلى المسألة من مسائل العلم لا يردعه عن تفهمها غضب العالم وكراهيته لها حتى يقف على الثلج منها.

١٠ـ وفيه أن السؤال عما يلزم علمه من أمر الدين واجب في المحافل وغير المحافل، وأنه لا حياء يلزم فيه؛ ألا ترى إلى قوله: فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ ـ وهو وسط الناس ـ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟.

١١ـ وفيه أن الملاعنة لا تكون إلا عند السلطان وأنها ليست كالطلاق الذي للرجل أن يوقعه حيث أحب وهذا ما لا خلاف فيه.

---

(١) نجه صاحبه ينجهه كمنع: زجره وانتهره.انظر اللسان والتاج (مادة نجه).

٢٤٠- [باب ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾].

ش/ يقول: والشهادة الخامسة **﴿أن لعنة الله عليه﴾** يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حاله إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين.

٢٦٦- حدثني سليمان بن داود أبو الربيع[1]: حدثنا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً رأى مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله ﷺ: «قد قضى الله فيك وفي امرأتك» قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملاً فأنكر حملها وكان ابنها يدعى إليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها».

ش: سبق شرحه في الباب قبله وفيه هنا ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**وكانت حاملاً فأنكر حملها**» فيه التصريح بأن اللعان وقع والمرأة حاملاً ويؤيده ما في رواية العباس بن سهل بن سعد عن أبيه عند أبي داود «فقال النبي ﷺ لعاصم بن عدي: أمسك المرأة عندك حتى تلد».

الثانية: قوله «**وكان ابنها يدعى إليها**» عند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن عمر: «وألحق الولد بالمرأة».

قلت: فيه دليل على أن ولد الملاعنة ينسب إليها لا إلى زوجها الذي لاعنها.

الثالثة: قوله «**ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها**» هذه الأقوال كلها أقوال ابن شهاب وهو موصول إليه بالسند المبدأ به وقد وصله سويد بن سعيد عن مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد.

---

(١) هو سليمان بن داود العتكي، الزهراني البصري، نزيل بغداد، ثقة لم يتكلم فيه أحد بحجة، من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين [ومائتين].خ.م.د.س.

قال الدارقطني في (غرائب مالك) : «لا أعلم أحداً رواه عن مالك غيره».قاله الحافظ في الفتح (٤٥٣/٩).

فائدة في كيفية إرث ولد اللعان:

قال الخرقي (١٢٢/٧): «وابن الملاعنة ترثه أمه وعصبتها، فإن خلف أماً وخالاً، فلأمه الثلث، وما بقي فللخال».

قال الشارح: «وجملته أن الرجل إذا لاعن امرأته ونفى ولدها، وفرق الحاكم بينهما انتفى ولدها عنه، وانقطع تعصيبه من جهة الملاعن فلم يرثه هو ولا أحد من عصباته، وترث أمه وذووا الفروض منه فروضهم وينقطع التوارث بين الزوجين، ولا نعلم بين أهل العلم في هذه الجملة خلافاً».

٢٤١- [باب ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين﴾].

ش/ يعني جل ذكره بقوله ﴿**ويدرأ عنها العذاب**﴾ وهو الحد أن تحلف با لله أربع أيمان أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا.

٢٦٧- حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس: أنّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌّ في ظهرك».فقال: يا رسول ا لله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حدٌّ في ظهرك».فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلَينزلنَّ ا لله ما يبرّئ ظهري من الحدّ، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم - فقرأ حتى بلغ - إن كان من الصادقين﴾.فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها.فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن ا لله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب».ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقّفوها وقالوا: إنها موجبة.قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت، حتى ظننّا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلّج الساقين، فهو لشريك بن سحماء».فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب ا لله، لكان لي ولها شأن».

ش : فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ**» هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس الواقفي الأنصاري شهد بدراً وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، وتيب عليهم.

الثانية: قوله «**شريك بن سحماء**» **قلت:** سحماء هي أمه وأبوه عبدة بن معتب بن الجد بن العجلان بن حارثة البلوي من حلفاء الأنصار قيل شهد أحد مع أبيه وهو أخو البراء بن مالك لأمه. حكاه في أسد الغابة.

الثالثة: قوله «**البينة أو حد في ظهرك**» قال ابن مالك: «ضبطوا البينة بالنصب على تقدير عامل أي: أحضر البينة».وقال غيره: «روي بالرفع والتقدير: إما البينة، وإما حد».وقوله في الرواية المشهورة «أو حد في ظهرك» قال ابن مالك: «حذف منه فاء الجواب وفعل الشرط بعد إلا والتقدير: وإلا تحضرها فجزاؤك حد في ظهرك».

قلت: ومراده أن يحضر أربعة شهود على ما ادعى به أو أن يجلد ثمانين جلدة كما قال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾.

الرابعة: قوله «**إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة**» **قلت:** وهذا سؤال استغراب ومعناه كيف للرجل في هذه الحال طلب البينة وأين يجدها.

الخامسة: قوله «**فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد**». كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سهل الماضي أنها نزلت في عويمر ولفظه: «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك».فأمرهما بالملاعنة» وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد.

ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود

والطبري من طريق عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله «لما نزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ الآية قال سعد بن عبادة: لو رأيت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته، قال فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية».والقائل في قصة عويمر، عاصم بن عدي كما في حديث سهل ابن سعد في الباب الذي قبله.وأخرج الطبراني من طريق الشعبي مرسلاً قال: «لما نزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ الآية قال عاصم بن عدي إن أنا رأيت فتكلمت جلدت، وإن سكت سكت على غيظ» الحديث.ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول.قاله الحافظ.

قلت: وهذا جمع حسن ونظائره أكثر من أن تحصى ويشهد لتعدد القصة ما رواه مسلم عن ابن عمر: «أن هلال بن أمية قذف امرأته» الحديث وفيه «وكان أول رجل لاعن في الإسلام».

السادسة: قوله «**فنزل جبريل ـ إلى قوله ـ ﴿كان من الصادقين﴾**».وعند أبي داود في اللعان من كتاب الطلاق عن الحسن بن علي «فنزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم**﴾ الآيتين كلتيهما فسرى عن رسول الله ﷺ فقال: «أبشر يا هلال، قد جعل الله عز وجل لك فرجاً ومخرجاً».

السابعة: قوله «**فأرسل إليها**» في حديث الحسن المذكور «فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها» فجاءت».

الثامنة: قوله «**فجاء هلال فشهد**» أي فشهد على نفسه أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين.

التاسعة: قوله «**والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب**» عند أبي داود من حديث الحسن «فتلاها عليهما رسول الله ﷺ وذكرهما وأخبرهما إن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا» ويجمع بينهما

بأن الوعظ كان قبل بدء الملاعنة وهذه العبارة أثناءها.

العاشرة: قوله «**ثم قامت فشهدت**» في حديث الحسن المذكور «ثم قيل لها: اشهدي، فشهدت أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين».

الحادية عشرة: قوله «**فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها الموجبة**» عند أبي داود «فلما كانت الخامسة قيل لها: اتق ا لله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب».

الثانية عشرة: قوله «**فتلكأت، ونكصت حتى ظننا أنها ترجع** - إلى قوله - **فمضت**».وعند أبي داود من رواية عباد بن منصور «فتلكأت ساعة، ثم قالت: وا لله لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين».

الثالثة عشرة: قوله «**أبصروها** - إلى قوله - **فهو لشريك بن سحماء**».عند أبي داود «إن جاءت به أصيهب أريصح أثيبج حمش الساقين، فهو لهلال، وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رميت به».

الرابعة عشرة: قوله «**فجاءت به كذلك**».في رواية عباد عند أبي داود «فجاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين».

الخامسة عشرة: قوله «**لولا ما مضى من كتاب ا لله لكان لي ولها شأن**».عند أبي داود «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن».

قلت: ومراده بالأيمان: ما شهد به كل منهما على نفسه.والمعنى أنه لولا ما مضى من أيمانهما لرجم المرأة لأنها جاءت بالولد على النعت المكروه.

من فقه الحديث:

أولاً: فيه دليل أن آيات اللعان مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾.

ثانياً: البدء في اللعان بالرجل ثم التثنية بالمرأة.

ثالثاً: تذكير المتلاعنين ووعظهما أثناء اللعان.

رابعاً: في مجيء الولد على النعت المكروه علم من أعلام نبوته ﷺ.

٢٤٢ـ [باب قوله ﴿والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين﴾].

ش/ قوله ﴿**والخامسة أن غضب ا لله عليها ...**﴾ الآية.يقول: والشهادة الخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين.

٢٦٨ـ حدثنا مقدم بن محمد بن يحيى[1]: حدثنا عمي القاسم بن يحيى[2] عن عبيد ا لله، وقد سمع منه، عن نافع، عن ابن عمر رضي ا لله عنهما: «أن رجلاً رمى امرأته، فانتفى من ولدها، في زمان رسول ا لله ﷺ فأمر بهما رسول ا لله ﷺ فتلاعنا كما قال ا لله، ثم قضى بالولد للمرأة، وفرّق بين المتلاعنين».

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**أن رجلاً**».في الطلاق من رواية جويرية «أن رجلا من الأنصار».وفيه من رواية عبيد ا لله «لاعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار».

الثانية: قوله «**رمى امرأته**».في الطلاق من رواية جويرية المذكورة «قذف امرأته».

قلت: والمعنى على كلتا الروايتين أنه ادعى على امرأته عند رسول ا لله ﷺ بفعل فاحشة الزنا.

الثالثة: قوله «**فانتفى من ولدها في زمان رسول ا لله ﷺ**».في الحديث السادس والستين بعد المائتين برواية سهل بن سعد «وكانت حاملاً، فأنكر حملها».

قلت: والحاصل أنه تبرأ من هذا الولد، وكره أن يلحق به في النسب فأقره

(١) هو مقدم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم الهلالي المقدمي، الواسطي، صدوق ربما وهم من العاشرة.خ.

(٢)هو أبو محمد القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم بن مطيع الهلالي المقدمي، الواسطي، ثقة من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة.خ.

النبي ﷺ على ذلك، وهي السنة في ولد الملاعنة، كما تقدم بيانه في حديث سهل.

الرابعة: قوله «**فتلاعنا كما قال ا لله**».

قلت: وبيانه ﴿**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين.ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين.والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين**﴾.

الخامسة: قوله «**ثم قضى بالولد للمرأة**».عند مسلم في اللعان والمصنف في الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

السادسة: قوله «**وفرق بين المتلاعنين**».في الطلاق «وفرق النبي ﷺ بين أخوي عجلان».وعند أبي داود من حديث سهل: قال حضرت هذا عند رسول ا لله ﷺ فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبداً».

قلت: فتحصل من هذا أمران:

أحدهما: أن المتلاعنين: عويمر العجلاني، وزوجه.

وثانيهما: أن الفرقة باللعان أبدية.

فائدة:

ونرى من المناسب ختم الكلام على هذه الأحاديث الثلاثة، وهي في اللعان كما رأيت بعدة مباحث.

الأول: في تعريف اللعان: فهو مصدر: لاعن يلاعن لعاناً، وملاعنة، مشتق من اللعن؛ لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة.

الثاني: في صفته، أن يبدأ الزوج قائلاً أربع مرات: أشهد با لله لقد زنت زوجتي هذه ويشير إليها إن كانت حاضرة، ويسميها، وينسبها إن كانت غائبة، ويزيد في الخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين.ثم تقول هي أربع مرات: أشهد با لله لقد كذب فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة: وإن

غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

الثالث: الحكمة من مشروعيته، أن الرجل إذا رأى الفاحشة في زوجه فلا يتمكن من السكوت كما لو رآه من الأجنبية؛ لأن هذا عار عليه، وفضيحة له، وانتهاك لحرمته. ولا يقدم على قذف زوجته إلا من تحقق؛ لأنه لن يقدم على هذا إلا بدافع من الغيرة الشديدة إذ أن العار واقع عليهما فيكون هذا مقوياً لصحة دعواه.

الرابع: وقد اختلف العلماء فيمن وجد مع امرأته رجلا فتحقق الأمر فقتله هل يقتل به؟ فمنع الجمهور الاقدام وقالوا يقتص منه إلا أن يأتي ببينة الزنى أو على المقتول بالاعتراف أو يعترف به ورثته، فلا يقتل القاتل به بشرط أن يكون المقتول محصناً وقيل بل يقتل به لأنه ليس له أن يقيم الحد بغير إذن الإمام، وقال بعض السلف بل لا يقتل أصلاً ويعزر في ما فعله إذا ظهرت أمارات صدقه وشرط أحمد وإسحاق ومن تبعهما أن يأتي بشاهدين أنه قتله بسبب ذلك، ووافقهم ابن القاسم وابن حبيب من المالكية لكن زاد أن يكون المقتول قد أحصن.قال القرطبي: ظاهر تقرير عويمر على ما قال يؤيد قولهم كذا قال والله أعلم.

٢٤٣ـ [باب قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره: إن الذين جاؤوا بالكذب والبهتان **﴿عصبة منكم﴾** يقول: جماعة منكم أيها الناس.**﴿لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾** يقول: لا تظنوا ما جاؤوا به من الإفك شراً لكم عند الله، وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمدعى به، ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً.

وقوله **﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾** يقول: لكل امرئ من الذين جاؤوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم، بمجيئه بما جاء به.

وقوله **﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾** يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه، له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.

[أفّاك: كذاب].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: بهّات.

والكلمة وقعت في الآية الثانية والعشرين بعد المائتين من الشعراء، وفي الآية السابعة من الجاثية، وأظن الشيخ ذكرها ها هنا لمناسبة الإفك.

٢٦٩ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿والذي تولى كبره﴾ قالت: عبد الله بن أبي بن سلول.

ش : فيه مسألتان:

الأولى: قوله « **﴿والذي تولى كبره﴾** تقدم شرحه في الآية.

الثانية: قوله «**عبد الله بن أبي بن سلول**» وبه قال ابن عباس، وهشام بن

عروة، ومجاهد، وابن زيد.وهو أحد قولين لأهل العلم في الآية.

والقول الآخر: أنه حسان بن ثابت وهو الرواية الثانية عن عائشة.

أخرجهما ابن جرير، واختار أنه عبد الله بن أبي فقال: وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر.

قلت: ويؤيده أيضاً أنه قول من سمينا من أهل العلم مع احدى الروايتين عن عائشة وهي صاحبة القصة.

٢٤٤ـ [باب قوله ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾].

ش: هذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة، ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيراً. يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيراً، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال ﴿**بأنفسهم**﴾؛ لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة؛ لأنهم أهل ملة واحدة.

وقوله ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

وقوله ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء...**﴾ الآية. أي هلا جاءوا عليه، أي على ما قالوا بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاءوا به ﴿**فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾ أي في حكم الله كاذبون فاجرون.

٢٧٠ـ حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا ـ وكلٌّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدِّقُ بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض ـ الذي حدثني عروةُ عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة:

فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول ا لله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه.فسرنا حتى إذا فرغ رسول ا لله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقدٌ لي من جَزْع ظِفَار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه.وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما تأكلُ العُلْقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب.فأممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ.فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السّلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، وا لله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتُها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد ا لله بن أبيّ بن سلول؛ فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول ا لله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول ا لله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معي أمُّ مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا

وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.فانطلقت أنا وأمُّ مسطح ـ وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة ـ فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل، بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أمُّ مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح.فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتسُبِّين رجلاً شهد بدراً؟.قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟.قالت قلت: وما قال؟.فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ ـ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ـ قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبويّ، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟.قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كَثرّن عليها.قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟.قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.قالت: فأما أسامة ابن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال: أهلك يا رسول الله، وما نعلم إلا خيراً.وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.قالت: فدعا رسول الله بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟.قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد

ا لله بن أبي بن سلول، فقالت: فقال رسول ا لله ﷺ وهو على المنبر: يـا معشـر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟.فـوا لله مـا علمـت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجـلاً مـا علمـت عليـه إلا خـيراً.ومـا كـان يدخل على أهلي إلا معي.فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يـا رسـول ا لله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربـت عنقـه، وإن كـان مـن إخواننـا مـن الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.قالت: فقام سعد بن عبـادة ـ وهـو سـيد الخـزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية ـ فقال لسعد: كذبت لعمر ا لله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير ـ وهو ابن عـم سـعد ـ فقـال لسـعد بـن عبـادة: كذبـت لعمـر ا لله لنقتلنـه، فإنك منـافق تجـادل عـن المنافقين.فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلـوا ورسـول ا لله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول ا لله ﷺ يُخفضهـم حتى سكتوا وسكت.قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقـأ لي دمـع ولا أكتحـل بنـوم.قـالت: فـأصبح أبـواي عندي وقد بكيـت ليلتـين ويومـا لا أكتحـل بنـوم ولا يرقـأ لي دمـع يظنـان أن البكاء فالق كبدي، قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاسـتأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار فأذِنت لها، فجلست تبكي معي .قالت: فبينا نحـن علـى ذلك دخل علينا رسول ا لله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عنـدي منـذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني.قالت: فتشهد رسـول ا لله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكـذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك ا لله، وإن كنت ألممت بذنب فاسـتغفري ا لله وتوبـي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تـاب إلى ا لله تـاب ا لله عليـه.قـالت: فلمـا قضى رسول ا لله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول ا لله ﷺ فيما قال.قال: وا لله ما أدري مـا أقـول لرسـول ا لله ﷺ.فقلـت لأمي: أجيبي رسول ا لله ﷺ.قالت: ما أدري ما أقـول لرسـول ا لله ﷺ.قـالت:

فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ـ:إني وا لله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ وا لله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر ـ وا لله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقُنّي.وا لله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال ﴿فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون﴾.قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن ا لله مبرئي ببراءتي، ولكن وا لله ما كنت أظن أن ا لله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا لله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول ا لله ﷺ في النوم رؤيا يبرؤني ا لله بها.قالت: فوا لله ما رام رسول ا لله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه.قالت: فلما سرّي عن رسول ا لله ﷺ سرّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما ا لله عزوجل فقد برأك.فقالت أمي: قومي إليه.قالت: فقلت: وا لله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا ا لله عز وجل.وأنزل ا لله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه...﴾ العشر الآيات كلها.فلما أنزل ا لله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: وا لله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال.فأنزل ا لله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا لله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم﴾.قال أبو بكر: بلى وا لله، إني أحب أن يغفر ا لله لي.فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: وا لله لا أنزعها منه أبداً.قالت عائشة: وكان رسول ا لله يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: يا زينب، ماذا علمت أو

رأيت؟.فقالت: يا رسول ا لله، أحمي سمعي وبصري.ما علمت إلا خيراً.قالت ــ وهي الـتي كـانت تسـاميني مـن أزواج رسـول ا لله ﷺ فعصمهـا ا لله بـالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك».

ش : فيه إحدى وستون ومائة مسألة:

الأولى: قوله «**كان رسول ا لله ﷺ إذا أراد أن يخرج**» زاد معمر « سـفراً» أي إلى السفر، فهو منصوب بنزع الخافض أو ضمن يخـرج معنـى ينشـئ فيكـون سفراً نصباً على المفعوليـة، وفي روايـة فليـح وصـالح بـن كيسـان « كـان إذا أراد سفراً».

الثانية: قوله «**قرع بين أزواجه**» القرعة: السهمة، والمقارعة المساهمة، وقـد اقترع القوم وتقارعوا وقارع بينهم، وأقرع أعلى وأقرعت بين الشـركاء في شـيء يقتسمونه، وقارعه فقرعه يقرعه أي أصابته القرعة دونه.

قلت: هذا في اللغة وفي الاصطلاح: ما ثبت فيه الحـق لاثنـين فـأكثر وتقـع المشاحاة فيه، فيقرع لفصل النزاع.

والقرعة مما اختلف في مشـروعيته، والجمهـور علـى القـول بهـا في الجملـة، وأنكرها بعض الحنفية.وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة القول بها.

الثالثة: قوله «**فأيتهن خـرج سـهمها خـرج بهـا رسـول ا لله ﷺ**».وقـع في رواية الأصيلي من طريق فليح « فأيهن» بغير مثناة والأولى أولى.

قلت: والمعنى أن من أصابتها القرعة كان حقاً عليها مصاحبـة النبي ﷺ في سفره ولها حق الاستئثار به في ذلك السفر.

الرابعة: قوله «**في غزوة غزاها**» هــي غـزوة بـني المصطلـق، وصـرح بذلـك محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلـح بـن عبـد ا لله عنـد الطـبراني، وعنـده في رواية أبي أويس « فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعـة».وعنـد البزار من حديث أبي هريرة « فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق».

الخامسة: قوله «**فخرج سهمي**» هـذا يشعر بأنهـا كـانت في تلـك الغـزوة وحدها، لكن عند الواقدي من طريق عباد بن عبد ا لله عنها أنها خرجت معـه في تلك الغزوة أيضاً أم سلمة، وكذا في حديث ابن عمر، وهو ضعيف، و لم يقـع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر.ويدل على انفرادها أنه في رواية ابن إسحاق في السيرة قالت: « فخرج سهمي عليهن، فخرج بي معه».

السادسة: قوله «**بعد ما نزل الحجاب**».أي بعد مـا نـزل الأمـر بالحجـاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالتـه كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميلـه وهي ليست فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النسـاء حينئـذ كـن يركـبن ظهور الرواحل بغير هودج، أو يركبن الهوادج غير مستترات، فمـا كـان يقـع لهـا الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

السابعة: قوله «**فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه**».في رواية ابـن إسـحاق في السيرة « فكنت إذا رحلوا بعيري جلست في هودجي ثم يأخذون بأسفل الهـودج فيضعونه على ظهر البعير.والهودج بفتح الهـاء والدال بينهمـا واو سـاكنة وآخـره جيم: محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون أستر لهن.

الثامنة : قوله : « **فسرنا حتى إذا فرغ**» كـذا اقتصـرت القصـة، لأن مـراد سياق الإفك خاصة وإنما ذكرت ما ذكرت ذلك كالتوطئة لمـا أرادت اقتصاصـه، ويحتمل أن تكون ذكرت جميع ذلك فاختصره الراوي للغـرض المذكـور، ويؤيـده أنه قد جاء عنها في قصة غزوة بني المصطلق أحاديث غير هذا، ويؤيد الأول أن في رواية الواقدي عن عباد « قلت لعائشة: يا أمتاه حدثينا عن قصـة الإفـك، قـالت: نعم».وعنده « فخرجنا فغنمه ا لله أموالهم وأنفسهم ورجعنا».

التاسعة: قوله «**وقفل**» بقاف وفاء أي: رجع من غزوته، وفي السيرة « فلما

فرغ رسول ا لله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلا».

العاشرة: قوله «**ودنونا من المدينة قافلين**» أي: راجعين، أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة كما عند ابن إسحاق «حتى إذا كنا قريبا من المدينة».

الحادية عشرة: قوله «**آذن**» بالمد والتخفيف، وبغير مد والتشديد، والمعنى اعلم بالرحيل، وفي رواية ابن إسحاق «فنزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم آذن بالرحيل».

الثانية عشرة : قوله : «**بالرحيل**» في رواية بعضهم «الرحيل» بغير موحدة وبالنصب وكأنه حكاية قولهم بالنصب على الإغراء.

الثالثة عشرة: قوله «**فمشيت حتى جاوزت الجيش**» وعند ابن إسحاق «وخرجت لبعض حاجتي» والمعنى لتقضي حاجتها منفردة.

الرابعة عشرة : قوله «**فلما قضيت شأني**» أي الذي توجهت بسببه، ووقع في حديث ابن عمر خلاف ما في الصحيح، وأن سبب توجهها لقضاء حاجتها أن رحل أم سلمة مال فأناخوا بعيرها ليصلحوا رحلها قالت عائشة: «فقلت إلى أن يصلحوا رحلها قضيت حاجتي، فتوجهت ولم يعلموا بي فقضيت حاجتي، فانقطعت قلادتي فأقمت في جمعها ونظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا ولم يعلموا بنزولي. حكاه الحافظ، وقال هذا شاذ منكر.

الخامسة عشرة: قوله «**فإذا عقد**» بكسر العين قلادة تعلقها النساء في العنق للتزين بها.

السادسة عشرة: قوله «**من جزع أظفار**» بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها مهملة: خرز معروف في سواده بياض كالعروق، قال ابن القطاع: هو واحد لا جمع له، وقال ابن سيده: هو جمع واحده جزعة وهو بالفتح، قال التيفاشي: يوجد في معادن العقيق ومنه ما يؤتى به من الصين، قال: وليس في الحجارة

أصلب جسما منه، ويزداد حسنه إذا طبخ بالزيت.وقوله « أظفار» كذا في هذه الرواية بزيادة ألف، وكذا في رواية فليح، ولكن في رواية الكشميهني من طريقه « ظفار» وكذا في رواية معمر وصالح، وقال ابن بطال: الرواية « أظفار» بألف، وأهل اللغة لا يعرفونه بألف ويقولون ظفار.قال ابن قتيبة: جزع ظفاري.وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم « أظفار» وهي خطأ.قال الحافظ: لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري، حتى أن رواية صالح بن أبي الأخضر عند الطبراني « جزع الأظافير».

السابعة عشرة: قوله «**ولما قضيت شأني**» أي فرغت من قضاء حاجتي كما عند ابن إسحاق « فلما فرغت».

الثامنة عشرة : قوله « **أقبلت إلى رحلي**» أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

التاسعة عشرة: قوله «**فإذا عقد لي**» في رواية فليح « فلمست صدري فإذا عقدي».

العشرون : قوله « قد انقطع» في رواية ابن إسحاق « قد انسل من عنقي وأنا لا أدري».

قلت: فتحصل من هذا أن انقطاع عقدها بغير علمها.

الحادية والعشرون : قوله «**فالتمست عقدي**» في رواية فليح « فرجعت فالتمست وحبسني ابتغاؤه» أي طلبه، في رواية ابن إسحاق « فرجعت عودي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه».وفي رواية الواقدي « وكنت أظن أن القوم لو لبثوا شهرا لم يبعثوا بعيري حتى أكون في هودجي.

الثانية والعشرون: قوله «**وأقبل الرهط**» هو عدد من ثلاثة إلى عشرة وقيل غير ذلك.ولم أقف على تسمية أحد منهم لكن قال الحافظ:إلا أن في رواية الواقدي أن أحدهم أبو موهوية مولى رسول الله ﷺ.

الثالثة والعشرون : قوله «**يرحلون لي**» بفتح أوله والتخفيف، رحلت البعير إذا شددت عليه الرحل.ووقع في رواية أبي ذر بالتشديد في هذا وفي « فرحلوه».وقوله « لي» في رواية معمر « بي» وحكى النووي عن أكثر نسخ صحيح مسلم « يرحلون لي».قال وهو أجود، وقال غيره بالباء أجود لأن المراد وضعها وهي في الهودج فشبهت الهودج الذي هي فيه بالرحل الذي يوضع على البعير.

الرابعة والعشرون: قوله «**فرحلوه**» أي وضعوه، وفيه تجوز وإنما الرحل هو الذي يوضع على ظهر البعير ثم يوضع الهودج فوقه.

الخامسة والعشرون: قوله «**وكان النساء إذ ذاك خفافا**» قالت هذا كالتفسير لقولها « وهم يحسبون أني فيه».

السادسة والعشرون : قوله «**لم يثقلهن اللحم**» في رواية فليح « لم يثقلهن ولم يغشهن اللحم».وعند مسلم « لم يهبلن ولم يغشهن اللحم».وعند ابن إسحاق « إنما يأكلن العلق» وهو البلغة من الطعام.

قال ابن أبي جمرة: ليس هذا تكراراً؛ لأن كل سمين ثقيل من غير عكس، لأن الهزيل قد يمتلئ بطنه طعاما فيثقل بدنه، فأشارت إلى أن المعنيين لم يكن في نساء ذلك الزمان.

وقال الخطابي: معنى قولها: «لم يغشهن» أي لم يكثر عليهن فيركب بعضه بعضاً.

وقوله «**يهبلهن**» قال النووي: يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله، وأصبح فلان مهبلاً أي كثير اللحم، أو وارم الوجه.

السابعة والعشرون: قوله «**فلم يستنكر القوم خفة الهودج**» وقع في رواية فليح ومعمر «ثقل الهودج» والأول أوضح؛ لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول: لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون

هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت ذلك بقولها: «وكنت جارية حديثة السن»، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها.

وقد وجهت الرواية الأخرى بأن المراد لم يستنكروا الثقل الذي اعتادوه؛ لأن ثقله في الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه خشب وحبال وستور وغير ذلك، وأما هي فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة ثقل، والحاصل أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه.

الثامنة والعشرون: قوله «**وكنت جارية حديثة السن**» هو كما قالت؛ لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين، وأكثر ما قيل في المريسيع كما عند ابن إسحاق كانت في شعبان سنة ست فتكون لم تكمل خمس عشرة، فإن كانت المريسيع قبل ذلك فتكون أصغر من ذلك، ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك وذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور.

التاسعة والعشرون: قوله «**فبعثوا الجمل**» أي أثاروه.

الثلاثون: قوله «**بعد ما استمر الجيش**» أي ذهب ماضياً، وهو استفعل من مر.

الحادية والثلاثون: قوله «**فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب**» في رواية فليح «وليس فيها أحد» فإن قيل: لِمَ لَمْ تستصحب عائشة معها غيرها فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟.والجواب أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله

حديثة سن؛ لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما ذكر في قصتها مع أم مسطح.

الثانية والثلاثون : قوله «**فأممت منزلي**» بالتخفيف أي قصدت، وفي رواية أبي ذر هنا بتشديد الميم الأولى، قال الداودي: ومنه قوله تعالى:﴿**ولا آمين البيت الحرام**﴾.وفي رواية صالح بن كيسان « فتيممت».

الثالثة والثلاثون: قوله «**وظننت أنهم سيفقدوني**» في رواية فليح، وعند مسلم «سيفقدوني» بنون واحدة، وعند ابن إسحاق «وعرفت أن لو افتقدت لرجع إلي».

الرابعة والثلاثون : قوله «**فيرجعون إلي**» وقع في رواية معمر «فيرجعوا» بغير نون وكأنه على لغة من يحذفها مطلقاً، قال عياض: الظن هنا العلم.وأرادت بمن يفقدها من هو منها بسبب كزوجها أو أبيها.

الخامسة والثلاثون : قوله «**فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت**» وعند ابن إسحاق «فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني». يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم ـ وهو وقوع ما يكره ـ غلبة النوم، بخلاف الهم ـ وهو توقع ما يكره ـ فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها مع رطوبة بدنها وصغر سنها.أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

السادسة والثلاثون: قوله «**وكان صفوان بن معطّل**» بفتح الطاء المهملة المشددة «السلمي ثم الذكواني» منسوب إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ــ بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثلثة ـ ابن سليم، وذكوان بطن من بني سليم، وكان صحابياً فاضلاً أول مشاهده عند الواقدي الخندق وعند ابن الكلبي المريسيع، قتل شهيدا في سبيل الله وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض

الروم في خلافة معاوية.

السابعة والثلاثون : قوله «**من وراء الجيش**» في رواية معمر « قد عرس من وراء الجيش» وعرس بمهملات مشدداً أي نزل، قال أبو زيد: التعريس: النزول في السفر في أي وقت كان، وقال غيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة.

الثامنة والثلاثون: قوله «**فأدلج فأصبح عند منزلي**».

قال ابن الأثير: هو سير الليل.يقال إذا أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وادّلج بالتشديد إذا سار من آخره، والاسم منهما الدلجة، والدلجة: بالضم والفتح.اهـ.

وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل.

وفي رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة في قصة الإفك قالت: «فبلغ الأمر ذلك الرجل فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط»، أي ما جامعتها، والكنف بفتحتين الثوب الساتر، ومنه قولهم أنت في كنف الله أي في ستره.

والجمع بينه وبين حديث أبي سعيد على ما ذكره القرطبي أن مراده بقوله ما كشفت كنف أنثى قط أي بزنا.**قلت:** وفيه نظر؛ لأن في رواية سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة في قصة الإفك «أن الرجل الذي قيل فيه ما قيل لما بلغه الحديث قال: والله ما أصبت امرأة قط حلالاً ولا حراماً» وفي حديث ابن عباس عند الطبراني «وكان لا يقرب النساء» فالذي يظهر أن مراده بالنفي المذكور ما قبل هذه القصة ولا مانع أن يتزوج بعد ذلك.

قلت: وهذا جمع حسن وبه يجتمع شمل هذه الأخبار فلله در الحافظ.

التاسعة والثلاثون: قوله «**فرأى سواد إنسان نائم**» وعند ابن إسحاق

«فرأى سوادي»».

قلت: السواد ضد البياض يطلق على الشخص أي شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

الأربعون : قوله «**فعرفني حين رآني**» هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت؛ لأنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.

الحادية والأربعون : قوله «**وكان يراني قبل الحجاب**» عند مسلم « قبل أن يضرب الحجاب» أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذي القعدة سنة ثلاث، وعند آخرين فيها سنة أربع وصححه الدمياطي.

الثانية والأربعون : قوله «**فاستيقضت باسترجاعه حين عرفني**» عند ابن إسحاق «فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون».وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإقاظ، وفيه دليل على فطنة صفوان وحسن أدبه.

الثالثة والأربعون : قوله «**فخمرت**» أي غطيت «**وجهي بجلبابي**» أي الثوب الذي كان عليها.وفي هذا دليل على أنه متقرر عندهم ستر المرأة وجهها عن الأجانب.

الرابعة والأربعون : قوله «**وا لله ما كلمني كلمة**» عبرت بهذه الصيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة، وأنما اقتصر على الاسترجاع.

الخامسة والأربعون : قوله «**ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته**» في رواية الكشميهني «حين أناخ راحلته» ووقع في رواية فليح « حتى».وللأصيلي والباقين وكذا عند مسلم عن معمر.وعلىالتقديرين فليس فيه

نفي أنه كلمها بغير استرجاع؛ لأن النفي على رواية «حين» مقيد بحال إناخه الراحلة فلا يمنع ما قبل الإناخة ولا ما بعدها، وعلى رواية «حتى» معناه بجميع حالاته إلى أن أناخ ولا يمنع ما بعد الإناخة.ويؤيده ما في رواية ابن إسحاق أنه قال لها: « ما خلفك»؟ وأنه قال لها: «اركبي» واستأخر.وفي رواية أبي أويس «فاسترجع وأعظم مكاني - أي حين رآني وحدي - وقد كان يعرفني قبل أن يضرب الحجاب، فسألني عن أمري فسترت وجهي عنه بجلبابي وأخبرته بأمري فقرب بعيره فوطئ على ذراعه فولاني قفاه فركبت».

قلت: ليس المراد من العبارة الأولى نفي المكالمة البتة بل نفي الاسترسال والتمادي في الكلام وفيه دليل على أنه سلك مع أم المؤمنين غاية الحياء والأدب والحفاوة والتكريم.

السادسة والأربعون : قوله «**حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها**» أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها.

السابعةوالأربعون : قوله «**فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش**» هكذا وقع في جميع الروايات قاله الحافظ.

وعند ابن إسحاق « فأخذ برأس البعير فانطلق سريعا».

الثامنة والأربعون: قوله «**بعدما نزلوا موغرين**» بضم الميم وكسر الغين المعجمة والراء المهملة أي: نازلين في وقت الوَغْرة بفتح الواو وسكون الغين وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.

وقد وقع عند مسلم عن عبد بن حميد قال: « قلت لعبد الرزاق: ما قوله موغرين؟.قال: الوغرة: شدة الحر. والتغوير النزول وقت القائلة، ووقع في رواية فليح « معَرّسين» بفتح العين المهملة وتشديد الراء ثم سين مهملة، والتعريس نزول المسافر في آخر الليل، وقد استعمل في النزول مطلقاً كما تقدم وهو المراد هنا.

التاسعة والأربعون : قوله «**في نحر الظهيرة**» تأكيد لقوله موغرين، فإن نحر الظهيرة أولها وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله كأن الشمس لما بلغت غايتها في الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر، ووقع في رواية ابن إسحاق « فوا لله ما أدركنا الناس ولا افتقدت حتى نزلوا واطمأنوا طلع الرجل يقودني.

الخمسون: قوله «**فهلك من هلك**» زاد صالح في روايته « في شأني» وفي رواية أبي أويس « فهنالك قال فيّ وفيه أهل الإفك ما قالوا» وفي رواية ابن إسحاق « فقال أهل الإفك ما قالوا» فأبهمت القائل وما قال.وأشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك.

وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحة: عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.وقد وقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري قال: قال عروة لم يسم من أهل الإفك أيضاً غير عبد الله بن أبي إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى.انتهى.

الحادية والخمسون : قوله «**وكان الذي تولى كبره**» أي تصدى لذلك وتقلده، وكبره أي كبر الإفك، وكبر الشيء معظمه وهو قراءة الجمهور بكسر الكاف، وقرأ حميد الأعرج بضمها.

قال الفراء: وهي قراءة جيدة في العربية، وقيل المعنى الذي تولى إثمه.

ووقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان وفي رواية ابن إسحاق «وكان الذي تولى كبر ذلك عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش».

الثانية والخمسون : قوله «فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك» وفي رواية

ابن إسحاق «وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ولا يذكرون لي شيئاً من ذلك» وفيها أنها مرضت بضعاً وعشرين ليلة.

وقوله «**والناس يفيضون**» بضم أوله أي يخوضون، من أفاض في قولٍ إذا أكثر منه.

الثالثة والخمسون : قوله «**وهو يريبني في وجعي**» بفتح أوله من الريب ويجوز الضم من الرباعي يقال: رابه وأرابه.

الرابعة والخمسون : قوله «**اللطف**» بضم أوله وسكون ثانيه وبفتحهما لغتان، والمراد الرفق.وفي رواية ابن إسحاق « أنكرت بعض لطفه».

الخامسة والخمسون : قوله «**الذي كنت أرى منه حين أشتكي**» أي حين أمرض، والمعنى أنها اشتكت في هذه الشكوى معاملة النبي ﷺ لها.

السادسة والخمسون : قوله «**إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم**» وفي رواية ابن إسحاق «فكان إذا دخل قال لأمي وهي تمرضني كيف تيكم» بالمثناة المكسورة وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

قلت: وفي الخلاصة:

بذا لمفرد مذكر أشر بذي وذه تي تا على الأنثى اقتصر

واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب، لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته.ويدل له ما في رواية أبي أويس: «إلا أنه يقول وهو مار كيف تيكم ولا يدخل عندي ولا يعودني ويسأل عن أهل البيت» وفي حديث ابن عمر «وكنت أرى منه جفوة ولا أدري».

السابعة والخمسون : قوله «**نقهت**» بفتح القاف وقد تكسر، والأول أشهر، والناقه بكسر القاف الذي أفاق من مرضه و لم تتكامل صحته.وقد أطلق الجوهري وغيره أنه بفتح القاف وكسرها لغتان في برأ من المرض وهو قريب

العهد لم يرجع إليه كمال الصحة.

الثامنة والخمسون: قوله «**فخرجت مع أم مسطح**» في روايةأبي أويس « فقلت يا أم مسطح خذي الإداوة فاملئيها ماء فاذهبي بنا إلى المناصع».

التاسعة والخمسون : قوله «**قبل المناصع**» أي جهتها والمناصع صعيد أفيح خارج المدينة.

الستون : قوله «**متبرزنا**» بفتح الراء قبل الزاي موضع التبرز وهو الخروج إلى البراز وهو الفضاء، وكله كناية عن الخروج إلى قضاء الحاجة.

وقوله : «**والكنف**» بضمتين جمع كنيف وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة يوضحه رواية ابن إسحاق الكنف التي يتخذها الأعاجم.

الحادية والستون : قوله «**وأمرنا أمر العرب الأول**» بضم الهمزة وتخفيف الواو صفة العرب، وبفتح الهمزة وتشديد الواو صفة الأمر.

قال النووي: كلاهما صحيح تريد أنهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم.

الثانية والستون : قوله «**في التبرز قبل الغائط**» في رواية فليح « في البرية» بفتح الموحدة وتشديد الراء ثم التحتانية « أو في التنزه» بمثناة ثم نون ثم زاي ثقيلة هكذا على الشك، والتنزه: طلب النزاهة، والمراد البعد عن البيوت.

الثالثة والستون : قوله «**فانطلقت أنا وأم مسطح**» بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات.اسمها سلمى وهي بنت أبي رهم بضم الراء وسكون الهاء ابن عبد مناف كذا هنا و لم ينسبه فليح، وفي رواية صالح «بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف» وهو الصواب.واسم أبي رهم أنيس.قاله الحافظ.

الرابعة والستون : قوله «**وأمها بنت صخر بن عامر**» أي ابن كعب بن سعد بن تيم من رهط أبي بكر.« خالة أبي بكر الصديق» اسمها رائطة حكاه أبو نعيم.

الخامسة والستون : قوله «وابنها مسطح بن أثاثة» بضم الهمزة ومثلثتين الأولى خفيفة بينهما ألف، ابن عباد بن المطلب فهو المطلبي من أبيه وأمه، والمسطح عود من أعواد الخباء، وهو لقب واسمه عوف وقيل عامر والأول هو المعتمد.

وقد أخرج الحاكم من حديث ابن عباس قال: « قال أبو بكر يعاتب مسطحاً في قصة عائشة:

يا عوف ويحك هل لا قلت عارفة — من الكلام ولم تبتغ به طمعا

وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وكان أبوه مات وهو صغير فكفله أبو بكر لقرابة أم مسطح منه، وكانت وفاة مسطح سنة أربع وثلاثين وقيل سنة سبع وثلاثين بعد أن شهد صفين مع علي. حكاه في الفتح.

السادسة والستون : قوله «فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت» بالمهملة والمثلثة، « أم مسطح في مرطها» بكسر الميم، وفي رواية مقسم عن عائشة أنها وطئت على عظم أو شوكة، وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن في رواية هشام بن عروة الآتية قريباً أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة حاجتها، وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كأن الذي خرجت له لا تجد منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكذا وقع في رواية ابن إسحاق قالت: «فوا لله ما قدرت أن أقضي حاجتي» وفي رواية أبي أويس «فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، ورجعت عودي على بدئي».

ويجمع بينها بأن معنى قولها «وقد فرغنا من شأننا» أي من شأن المسير، لا قضاء الحاجة.

السابعة والستون : قوله «فقالت تعس مسطح» بفتح المثناة وكسر العين المهملة وبفتحها أيضاً بعدها سين مهملة أي كب لوجهه أو هلك ولزمه الشر أو بعد.

الثامنة والستون : قوله «**فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً**» في رواية هشام بن عروة أنها عثرت ثلاث مرات كل ذلك تقول: « تعس مسطح» وأن عائشة تقول لها: «أي أم أتسبين ابنك» وأنها انتهرتها في الثالثة فقالت: « وا لله ما أسبه إلا فيك» وعند الطبراني « فقلت: أتسبين ابنك وهو من المهاجرين الأولين» وفي رواية ابن حاطب عن علقمة بن وقاص « فقلت: أتقولين هذا لابنك وهو صاحب رسول ا لله ﷺ؟. ففعلت مرتين فأعدت عليها فحدثتني بالخبر فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيئاً».

قال أبو محمد بن أبي جمرة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه ا لله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قلت: وهذا توجيه حسن يتم به التوفيق ويزول به التعارض.

التاسعة والستون : قوله «**قالت أي هنتاه**» أي حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد، والنكتة فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد، وقوله «وهنتاه» بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخرها ساكنة وقد تضم أي هذه وقيل امرأة وقيل «بلهى»، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس.وهذه اللفظة تختص بالنداء وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر قيل يا هنة، وقد تشبع النون فيقال يا هناه، وحكى بعضهم تشديد النون فيه ه الأزهري.

السبعون : قوله «**قالت: قلت وما قال**» في رواية أبي أويس «فقالت لها إنك لغافلة عما يقول الناس» وفيها «أن مسطحا وفلانا وفلانا يجتمعون في بيت عبد ا لله بن أبي يتحدثون عنك وعن صفوان يرمونك به» وفي رواية مقسم عن عائشة «أشهد أنك من الغافلات المؤمنات» وفي رواية هشام بن عروة الآتية

«فنقرت لي الحديث» وهي بنون وقاف ثقيلة أي شرحته، ولبعضهم بموحدة وقاف خفيفة أي أعلمتنيه.

الحادسة والسبعون : قوله «**فازددت مرضاً على مرضي**» عند سعيد بن منصور من مرسل أبي صالح «فقالت: وما تدرين ما قال؟.قالت: لا وا لله، فأخبرتها بما خاض فيه الناس، فأخذتها الحمى» وعند الطبراني عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليباً فأطرح نفسي فيه.صححه الحافظ.

وأخرجه أبو عوانة أيضاً.

قلت: وفي رواية ابن إسحاق «فوا لله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي»».

الثانية والسبعون : قوله «**فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول ا لله** ﷺ» وفي رواية معمر « فدخل» قيل الفاء زائدة والأولى أن في الكلام حذفا تقديره: فلما دخلت بيتي استقريت فيه فدخل.

الثالثة والسبعون : قوله «**فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي**» في رواية هشام بن عروة المعلقة «فقلت أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام».

قال الحافظ: «ولم أقف على اسم هذا الغلام».

الرابعة والسبعون : قوله «**فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك**» عند ابن إسحاق « قلت لأبي يغفر ا لله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكر لي من ذلك شيئاً» وفي رواية هشام بن عروة: « فقالت يا بنية خففي عليك الشأن».

ويجمع بينها أنها سألت أباها مرة، وأمها مرة.

الخامسة والسبعون : قوله «**فوا لله لقلما كانت امرأة قط وضيئة...الخ**» عند ابن إسحاق «فوا لله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا

كثرنا وكثر الناس عليها.

و«**وضيئة**» بوزن عظيمة من الوضاءة أي حسنة جميلة وعند مسلم من رواية ابن ماهان «حظية» بمهملة ثم معجمة من الحظوة أي رفيعة المنزل.

السادسة والسبعون : قوله «**ضرائر**» جمع ضرة وقيل للزوجات ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لهاالضرر من الأخرى بالغيرة.

السابعة والسبعون : قوله «**أكثرن عليها**» في رواية الكشميهني «كثرن» بالتشديد أي القول في عيبها، وفي رواية ابن حاطب «لقلما أحب رجل امرأته إلا قالوا لها نحو ذلك» وفي رواية هشام «إلا حسدنها وقيل فيها» وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأتيها في تربيتها ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا أن الاستثناء في قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها بل ذكرت شأن الضرائر.

وأما ضرائرها هي فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة؛ لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر؛ لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة.

الثامنة والسبعون : قوله «**فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا**» زاد ابن جرير من طريق معمر عن الزهري «وبلغ رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم». وفي رواية هشام «فقلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: ورسول الله ﷺ». وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «ورجعت إلى أبوي

فقلت: أما اتقيتما الله فيّ، وما وصلتما رحمي، يتحدث الناس بهذا ولم تعلماني» وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت».وفي رواية معمر عند الطبراني «فقالت أمي: لم تكن علمت ما قيل لها فأكبّت تبكي ساعة ثم قال: اسكتي يا بنية». ومعنى قولها : «فقلت : سبحان الله»: استغاثت بالله تعجباً من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها .

التاسعة والسبعون : قوله «**فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع**» بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع.

الثمانون : «**ولا أكتحل بنوم**» كناية عن السهر. ووقع في باب حديث الإفك من المغازي من رواية مسروق عن أم رومان «فخرت مغشيا عليها، فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها».وفي رواية الأسود عن عائشة «فألقت علي أمي كل ثوب في البيت.

قال الحافظ: تنبيه: طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح، لكن وقع في حديث أم رومان ما يخالف ذلك ولفظه «بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقلت وما ذاك؟ قالت: ابني ومن حدث الحديث، قالت وما ذاك؟ قالت كذا وكذا».هذا لفظ المصنف في المغازي، ولفظه في قصة يوسف «قالت: إنه نمى الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر؟ قالت: نعم.قالت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. فخرت مغشيا عليها».

وطريق الجمع بينهما أنها سمعت ذلك أولا من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملا كما مضى من قولها هوني عليك وما أشبه ذلك، ثم دخلت عليها الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة

أمها فقوى عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجيا منها أن لا يكونا سمعا ذلك ليكون أسهل عليها، فلما قالت لها إنهما سمعاه غشي عليها.ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها.اهـ

قلت: وهذا جمع جيد يزول به الإشكال وينتفي فيه التعارض في الظاهر.

الحادية والثمانون : قوله «**فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي**».

قلت: واختصهما بالدعوة لمكانتهما منه فعلي ابن عمه وصهره، وأسامة هو حبه وابن حبه. هذا ظاهر بالقصة لأنها عقبت بكاءها تلك الليلة بهذا ثم عقبت هذا بالخطبة. وفي أول رواية هشام عن أبيه عن عائشة «لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله ﷺ خطيباً».فذكر قصة الخطبة الآتية.

والجمع كما قال الحافظ بأن "الفاء" في قوله «فدعا» عاطفة على شيء محذوف تقديره: وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل فدعا علي».

وقوله «**حين استلبث الوحي**» بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزوله.

الثانية والثمانون : قوله «**يستأمرهما في فراق أهله**» أي يستشيرهما في فراقها وظاهره أن الاستشارة وقعت بعد ما علمت بالقصة لأنها عدلت عن قولها في فراقي إلى قولها فراق أهله لكراهتها التصريح بإضافة الفراق إليها.

الثالثة والثمانون : قوله «**أهلك ولا نعلم إلا خيرا**» بالرفع كما صرح به في رواية معمر «هم أهلك» ويجوز النصب أي أمسك ومعناه هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئا من المشورة ووكل الأمر إلى رأي النبي ﷺ، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيراً» وإطلاق الأهل على الزوجة شائع، قال ابن التين: أطلق عليها أهلا وذكرها بصيغة الجمع حيث قال «هم أهلك» إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف

المذكور.انتهى. ويحتمل أن يكون جمع لإرادة تعظيمها.

الرابعة والثمانون : قوله «**وأما على بن أبي طالب فقال: يا رسول ا لله لم يضيق ا لله عليك، والنساء سواها كثير**» كذا للجميع بصيغة التذكير كأنه أراد الجنس مع أن لفظ فعيل يشترك فيه المذكر والمؤنث إفرادا وجمعاً.والمعنى كما قال النووي: رأى على أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله «وسل الجارية تصدقك» ففوض الأمر إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة.

الخامسة والثمانون : قوله «**وسل الجارية تصدقك**» في رواية مقسم عن عائشة «أرسل إلى بريرة خادمها فسلها، فعسى أن تكون قد اطلعت على شيء من أمرها».

السادسة والثمانون : قوله «**فدعا رسول ا لله ﷺ بريرة**» بفتح الموحدة وكسر الراء.وفي رواية مقسم «فأرسل إلى بريرة فقال لها أتشهدين أني رسول ا لله؟ قالت: نعم.قال: فإني سائلك عن شيء فلا تكتمينه.قالت: نعم.قال: هل رأيت من عائشة ما تكرهينه؟ قالت: لا».

السابعة والثمانون : قوله «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك**» في رواية هشام بن عروة «فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول ا لله» وفي رواية أبي أويس «إن النبي ﷺ قال لعلي: شأنك بالجارية، فسألها علي وتوعدها فلم تخبره إلا بخير، ثم ضربها وسألها فقالت: وا لله ما علمت على عائشة سوء» وفي رواية ابن إسحاق «فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً يقول: اصدقي رسول ا لله ﷺ».ووقع في رواية هشام «حتى أسقطوا لها به».يقال أسقط الرجل

في القول إذا أتى بكلام ساقط، والضمير في قوله "به" للحديث أو الرجل الذي اتهموها به.وفي رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عند الطبراني «فقال: لست عن هذا أسألك.قالت: فعمه؟ فلما فطنت قالت: سبحان ا لله.ووقع في رواية ابن جرير من طريق أبي أسامة «قال عروة: فعيب ذلك على من قاله».

وقال ابن بطال: يحتمل أن يكون من قولهم: سقط إلى الخبر إذا علمته، قال الشاعر:

إذا هن ساقطن الحديث وقلن لي

قال: فمعناه ذكروا لها الحديث وشرحوه.

الثامنة والثمانون : قوله «**إن رأيت عليها أمراً**» أي ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها.

التاسعة والثمانون : قوله «**أغمصه**» بغين معجمة وصاد مهملة أي أعيبه.

التسعون : قوله «سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها» في رواية ابن إسحاق «ما كنت أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني وآمرها أن تحفظه فتنام عنه».وفي رواية مقسم «ما رأيت مذ كنت عندها إلا أنني عجنت عجينا لي فقلت: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً لأخبزها، فغفلت فجاءت الشاة فأكلتها» وهو يفسر المراد بقوله في رواية الباب «حتى تأتي الداجن» وهي بدال مهملة ثم جيم: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيرا.وفي رواية هشام بن عروة «ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر» أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب.وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «فقالت الجارية الحبشية: وا لله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك ا لله.قالت: فعجب الناس من فقهها».

الحادية والتسعون : قوله «**فقام رسول الله ﷺ**» في رواية أبي أويس «ثم خرج حين سمع من بريرة ما قالت» وفي رواية هشام بن عروة «قام فينا خطيباً فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد» وفي رواية ابن إسحاق «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي».

الثانية والتسعون : قوله «**فاستعذر من عبد الله بن أبيّ**» أي طلب من يعذره منه، أي ينصفه.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى به أهلي من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما يصدر منه؟ ورجح النووي هذا الثاني. فقال: «ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني».

الثالثة والتسعون : قوله «**بلغني أذاه في أهل بيتي**» في رواية هشام بن عروة «أشيروا عليّ في أناس أبنوا أهلي» وهو بفتح للموحدة الخفيفة والنون المضمومة.

وحكى عياض أن في رواية الأصيلي بتشديد الموحدة وهي لغة، ومعناه عابوا أهلي أو اتهموا أهلي، وهو المعتمد؛ لأن الأبن بفتحتين التهمة.

وقال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

الرابعة والتسعون : قوله «**ولقد ذكروا رجلاً**» زاد ابن جرير في روايته «صالحاً» وفي رواية ابن إسحاق «ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً».

الخامسة والتسعون : قوله «**فقام سعد بن معاذ الأنصاري**» كذا هنا وفي رواية معمر وأكثر أصحاب الزهري، ووقع في رواية صالح بن كيسان «فقام سعد أخو بني عبد الأشهل» وفي رواية فليح «فقام سعد» ولم ينسبه، وقد تعين أنه سعد بن معاذ لما وقع في رواية الباب وغيره.وترجمته: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي، شهد بدراً باتفاق رمي

بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريضة وأحسن دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات.

تنبيه:

اتفق الشيخان على أن المتكلم أولاً في هذه الحادثة هو سعد بن معاذ ويشكل عليه أن غزوة بني المصطلق والإفك سنة ست، وكان موت سعد بعد الخندق وهي سنة أربع باتفاق أهل السير.

قال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق.

قال القاضي: فيحتمل أن غزوة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق.

وذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس.قال: وكانت الخندق وقريضة بعدها. انتهى ملخصاً من الفتح.

وقال ابن القيم: «وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم فإن سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقيب حكمه في بني قريضة عقيب الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه وهي المريسيع والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست فاختلفت طرق الناس عن هذه الإشكال . . . إلى أن قال بعد حكايته الخلاف المتقدم: وفي حديث الإفك ما يدل على خلاف ذلك أيضاً، لأن عائشة قالت إن القضية كانت بعد ما أنزل الحجاب وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش وزينب إذ ذاك كانت تحته فإنه ﷺ سألها عن عائشة فقالت : أحمي سمعي وبصري. قال عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ وقد ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس وعلى هذا فلا يصح قول موسى بن عقبة . وقال محمد بن إسحاق إن غزوة بني المصطلق كانت

في سنة ست بعد الخندق وذكر فيها حديث الإفك إلا أنه قال عن الزهـري عـن عبيد ا لله بن عبدا لله بن عتبة عن عائشة . . .فذكر الحديث : فقال : فقام أسـيد بن الحضير فقال : أنا أعذرك منه . فرد عليه سعد بن عبـادة ولم يذكـر سـعد بـن معاذ . قال أبو محمد بن حزم وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه وذكر سعد بن معاذ وهم لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك ، وكانت في آخـر ذي القعدة من السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد وكـانت المقاولـة بـين الرجلـين المذكوريـن بعـد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة» انتهى محل الغرض مـن زاد المعاد (٣/٢٦٥).

السادسة والتسعون : قولـه «**أنـا أعـذرك منـه**» في روايـة فليـح «أنـا وا لله أعذرك منه».ووقع في رواية معمر «أعذرك منه» بحذف المبتدأ.

السابعة والتسعون : قوله «**إن كان من الأوس ضربتُ عنقـه**» يعـني قبيلـة أُسيد ابن الحضير. في رواية صالح بـن كيسـان «ضربـت» بضـم المثنـاة.وإنمـا قـال ذلك؛ لأنه كان سيدهم فجزم بأن حكمه فيهم نافذ.

الثامنة والتسعون : قولـه «**وإن كـان مـن إخواننـا مـن الخـزرج**»، "مـن" الأولى تبعيضية والأخرى بيانية.

التاسعة والتسعون : قوله «**أمرتنا ففعلنا أمرك**» في رواية ابن جريج «أتينـاك به ففعلنا فيه أمرك».

المائة : قوله: «**فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج**» في رواية صـالح بـن كيسان «فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه مـن فخـذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج».انتهى.

الحادية ومائة : قوله «**وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً**» في رواية ابن إسـحاق «وكان قبـل ذلـك يـرى رجـلاً صالحـا» أي كـامل الصـلاح، في روايـة الواقـدي

«وكان صالحاً لكن الغضب بلغ منه ومع ذلك لم يغمص عليه في دينه».

الثانية بعد المائة : قوله «**لكن احتملته الحمية**» كذا للأكثر «احتملته» بمهملة ومثناة ثم ميم أي أغضبته، وفي رواية معمر عند مسلم وكذا يحيى بن سعيد عند الطبراني «اجتهلته» بجيم ثم مثناة ثم هاء.وصوبها الوقشي، أي حملته على الجهل.

الثالثة بعد المائة : قوله «**فقال لسعد**» أي ابن معاذ «كذبت لعمر الله لا تقتله» العمر بفتح العين المهملة هو البقاء، وهو العمر بضمها.لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح.

الرابعة بعد المائة : قوله «**ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل**» فسر قوله لا تقتله بقوله «ولا تقدر على قتله» إشارة إلى أن قومه يمنعونه من قتله.

وأما قوله «**ولو كان من رهطك**» فهو من تفسير قوله «كذبت» أي في قولك «إن كان من الأوس ضربت عنقه» فنسبه إلى الكذب في هذه الدعوى وأنه جزم أن يقتله إن كان من رهطه مطلقاً، وأنه إن كان من غير رهطه إن أمر بقتله قتله وإلا فلا، فكأنه قال له: بل الذي نعتقده على العكس مما نطقت به، وأنه لو إن كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، ولكنه من غير رهطك فأنت تحب أن يقتل.وهذا بحسب ما ظهر له في تلك الحالة.

قال الحافظ: ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى قوله كذبت لا تقتله أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك فلذلك لا تقدر على قتله، وهو حمل جيد، وقد بينت الروايات الأخرى السبب الحامل لسعد بن عبادة على ما قال، ففي رواية ابن إسحاق «فقال سعد بن عبادة: يا ابن معاذ والله ما بك نصرة رسول الله ﷺ، ولكنها قد كانت بيننا ضغائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا صدوركم، فقال ابن معاذ: الله أعلم بما أردت».

قال ابن التين: قول ابن معاذ «إن كان من الأوس ضربت عنقه» إنما قال ذلك؛ لأن الأوس قومه وهم بنو النجار، ولم يقل ذلك في الخزرج لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة، ونفى أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو من الأوس.قال: ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة «وكان قبل ذلك رجلا صالحاً» أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين، وهو كما قال.

الخامسة بعد المائة : قوله «**فقام أسيد بن حضير**» بالتصغير فيه وفي أبيه، وأبوه بمهملة ثم معجمة وهو ابن عم سعد بن معاذ أي من رهطه، ولم يكن ابن عمه لحا؛ لأنه سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس، إنما يجتمعان في امرئ القيس وهما في التعدد إليه سواء.

السادسة بعد المائة : قوله «**فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه**» أي ولو كان من الخزرج إذا أمر رسول الله ﷺ بذلك، وليست لكم قدرة على منعنا من ذلك.

السابعة ومائة : قوله «**فإنك منافق تجادل عن المنافقين**» أطلق أسيد ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله.

قال الحافظ: وقال المازَري: إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه.

الثامنة ومائة : قوله «**فتثاور الحيان**» بمثناة ثم مثلثة: تفاعل من الثورة، والحيان بمهملة ثم تحتانية تثنية حي والحي كالقبيلة، أي نهض بعضهم إلى بعض

من الغضب.وعند ابن إسحاق «تساور الحيان من الأوس والخزرج».

التاسعة ومائة : قوله «**حتى هموا أن يقتتلوا**» زاد ابن جريج في روايته في قصة الإفك هنا «قال: قال ابن عباس: فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة» أي خارج المدينة لتتقاتلوا هناك.

العاشرة ومائة : قوله «**فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا**» وفي رواية ابن حاطب «فلم يزل يومىء بيده إلى الناس ههنا حتى هدأ الصوت» وفي رواية فليح «فنزل فخفضهم حتى سكتوا».ويحمل على أنه سكتهم وهو على المنبر ثم نزل إليهم أيضاً ليكمل تسكيتهم.ووقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فحجز بينهم».

الحادية عشرة ومائة : قوله «**فمكثت يومي ذلك**» في رواية الكشميهني «فبكيت» وهي في رواية فليح وصالح وغيرهما.

الثانية عشرة ومائة : قوله «**فأصبح أبواي عندي**» أي أنهما جاءا إلى المكان الذي هي به من بيتهما، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها.ووقع في رواية محمد بن ثور عن معمر عند ابن جرير «وأنا في بيت أبوي».

الثالثة عشرة ومائة : قوله «**وقد بكيت ليلتين ويوما**» أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس والليلة التي تليه.ووقع في رواية فليح «وقد بكيت ليليّ ويوما» وكأن الياء مشددة ونسبتهما إلى نفسها لما وقع لها فيهما.

الرابعة عشرة ومائة : قوله «**فبينا هما**» وفي رواية الكشميهني «فبينما هما».

الخامسة عشرة ومائة : قوله «**يظنان أن البكاء فالق كبدي**» في رواية فليح «حتى أظن».

ويجمع بأن الجميع كانوا يظنون ذلك.

السادسة عشرة ومائة : قوله «**فاستأذنت**» كذا فيه وفي الكلام حذف تقديره جاءت امرأة فاستأذنت، وفي رواية فليح «إذ استأذنت».

السابعة عشرة ومائة : قوله «**امرأة من الأنصار**» لم يعرف اسمها.

الثامنة عشرة ومائة : قوله «**فبينا نحن على ذلك**» في رواية الكشميهني «فبينا نحن كذلك» وهي رواية فليح، والأول رواية صالح.

التاسعة عشرة وما ئة : قوله «**دخل علينا رسول ا لله ﷺ**» في رواية هشام بن عروة بلفظ «فأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول ا لله ﷺ وقد صلى العصر،وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي» وفي رواية ابن حاطب «وقد جاء رسول ا لله ﷺ حتى جلس على سرير وجاهي» وفي حديث أم رومان «أن عائشة في تلك الحالة كانت بها الحمى النافض، وأن النبي ﷺ لما دخل فوجدها كذلك قال: ما شأن هذه؟ قالت: أخذتها الحمى بنافض، قال: فلعله في حديث محدث؟ قالت: نعم.فقعدت عائشة».

العشرون بعد المائة : قوله «**ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني**» حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعاً وثلاثين يوماً فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد.

ويجمع بأن المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر.قاله الحافظ.

الحادية والعشرون ومائة : قوله «**فتشهد**» في رواية هشام بن عروة «فحمد ا لله وأثنى عليه».

الثانية والعشرون ومائة : قوله «**أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا**» هو كناية عما رميت به من الإفك، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ، ووقع

في رواية ابن إسحاق «فقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتق الله، وإن كنت قارفت سوء فتوبي».

الثالثة والعشرون ومائة : قوله «**فإن كنت بريئة فسيبرئك الله**» أي بوحي ينزله بذلك قرآناً أو غيره.

الرابعة والعشرون ومائة : قوله : «**وإن كنت ألممت بذنب**» أي وقع منك ذنب على خلاف العادة، وهذا حقيقة الإلمام ، ومنه «ألمت بنا والليل مرخ ستوره».

الخامسة والعشرون ومائة : قوله «**فاستغفري الله وتوبي إليه**» في رواية معمر «ثم توبي إليه» وفي رواية أبي أويس «إنما أنت من بنات آدم إن كنت أخطأت فتوبي».

السادسة والعشرون ومائة : قوله «**فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**».

قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه؛ لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس فإنهن ندبن إلى الستر.

السابعة والعشرون ومائة : قوله «**قلص دمعي حتى ما أحس**» بفتح القاف واللام ثم مهملة أي استمسك نزوله فانقطع ومنه قلص الظل وتقلص إذا شمر.

قال القرطبي: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

وقوله «**حتى ما أحس**» بضم الهمزة وكسر المهملة أي أجد.

الثامنة والعشرون ومائة : قوله «**فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول**» قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن

السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى؛ ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده. وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري. ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فقال: ماذا أقول». وفي رواية أبي أويس «فقلت لأبي أجب فقال: لا أفعل، هو رسول الله والوحي يأتيه».

التاسعة والعشرون ومائة : قوله «قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن» قالت هذا توطئة لعذرها؛ لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي، ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد» وفي رواية ابن إسحاق «فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب مما ذكروا أبداً».

الثلاثون بعد المائة : قوله «لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به» في رواية فليح «وقر» بالتخفيف أي ثبت وزنا ومعنى.

الحادية والثلاثون بعد المائة : قوله «وصدقتم به» في رواية هشام بن عروة «لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم» قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم، أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم

تغليباً.

الثانية والثلاثون بعد المائة : قوله «**ولا تصدقوني بذلك**» أي لا تقطعون بصدقي.وفي رواية هشام بن عروة «ما ذاك بنافعي عندكم» وقالت في الشق الآخر «لتصدقني» وهو بتشديد النون والأصل تصدقونني فأدغمت إحدى النونين في الأخرى، وإنما قالت ذلك؛ لأن المرء مؤاخذ بإقراره.ووقع في حديث أم رومان «لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني».

الثالثة والثلاثون بعد المائة : قوله «**وا لله ما أجد لكم مثلاً**» في رواية صالح وفليح ومعمر «ما أجد لك ولي مثلا».

الرابعة والثلاثون بعد المائة : قوله «**إلا قول أبي يوسف**» زاد ابن جريج في روايته «واختلس مني اسمه» وفي رواية هشام بن عروة «والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه» وفي رواية ابن إسحاق «فلم أذكره» وفي رواية أبي أويس «نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف» ووقع في حديث أم رومان «مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه» وهي بالمعنى للتصريح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه.

الخامسة والثلاثون بعد المائة: قوله «ثم تحولت فاضطجعت على فراشي» زاد ابن جريج «ووليت وجهي نحو الجدر».

السادسة والثلاثون بعد المائة : قوله «**وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن ا لله مبرئي ببراءتي**» والمعنى أن ا لله سبحانه وتعالى سينزل في ما يبرئني به من وحيه.

السابعة والثلاثون بعد المائة: قوله «**ولكن وا لله ما كنت أظن أن ا لله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا لله فيّ بأمر**» في رواية فليح «من أن يتكلم بالقرآن في أمري» وفي رواية ابن إسحاق «يقرأ به في المساجد ويصلى به» والمعنى أنها كانت تتوقع شيئاً غير القرآن ويفسره رواية ابن إسحاق «ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول ا لله ﷺ في

نومه شيئاً يكذب به ا لله عني».

الثامنة والثلاثون بعد المائة: قوله «**فوا لله ما رام رسول ا لله ﷺ**» أي فارق، ومصدره الريم بالتحتانية، بخلاف رام بمعنى طلب فمصدره الروم، ويفترقان في المضارع: يقال رام يروم روما، ورام يريم ريما. وفي رواية صالح وفليح ومعمر وغيرهم «بمجلسه» وهي مفسرة لما حذف من الأولى أي ما فارق مجلسه.وفي رواية ابن إسحاق «ما برح» والمعنى واحد.

التاسعة والثلاثون بعد المائة : قوله «**ولا خرج أحد من أهل البيت**» أي الذين كانوا حينئذ حضوراً.ووقع في رواية أبي أسامة «وأنزل ا لله على رسول ا لله ﷺ من ساعته».

الأربعون بعد المائة: قوله «**فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء**». بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهمّ إذا بلغ مني غايته.ووقع في رواية إسحاق بن راشد «وهو العرق» وبه جزم الداودي، وهو تفسير باللازم غالباً؛ لأن البرحاء شدة الكرب ويكون عنده العرق غالباً، وفي رواية ابن حاطب «وشخص بصره إلى السقف» وفي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه، عن عائشة عند الحاكم «فأتاه الوحي، وكان إذا أتاه الوحي أخذه السبل» وفي رواية ابن إسحاق «فسجى بثوب ووضعت تحت رأسه وسادة من أدم».

الحادية والأربعون بعد المائة: قوله «**حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي ينزل عليه**» الجُمان بضم الجيم وتخفيف الميم اللؤلؤ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ.

وقال الداودي: خرز أبيض، والأول أولى، فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابهتها في الصفاء والحسن.وزاد ابن جريج في روايته «قال أبو بكر: فجعلت أنظر إلى رسول ا لله ﷺ أخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظر

إلى وجه عائشة فإذا هو منبق، فيطمعني ذلك فيها» وفي رواية ابن إسحاق «فأما أنا فوا لله ما فزعت قد عرفت أني بريئة، وأن ا لله غير ظالمي.وأما أبواي فما سري عن رسول ا لله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من ا لله تحقيق ما يقول الناس».

الثانية والأربعون بعد المائة: قوله «**فلما سُرِّي**» بضم المهملة وتشديد الراء المكسورة أي كشف.

الثالثة والأربعون بعد المائة : قوله «**وهو يضحك**» في رواية هشام بن عروة «فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه يمسح جبينه» وفي رواية ابن حاطب «فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى أني لأنظر إلى نواجذه سروراً، ثم مسح وجهه».

الرابعة والأربعون بعد المائة: قوله «**فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما ا لله عز وجل فقد برأك**» في رواية صالح بن كيسان «قال يا عائشة» وفي رواية فليح «أن قال لي: يا عائشة احمدي ا لله، فقد برأك».أي بما أنزل من القرآن.

الخامسة والأربعون بعد المائة: قوله «**فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا ا لله**» وفي رواية صالح «فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد إلا ا لله الذي أنزل براءتي» وعند ابن جرير من هذا الوجه «أحمد ا لله لا إياكما» وفي رواية أبي أويس «نحمد ا لله ولا أحمدكم» وفي رواية أم رومان وكذا في حديث أبي هريرة «فقالت نحمد ا لله لا نحمدك» ومثله في رواية عمر بن أبي سلمة، وكذا عند الواقدي، وفي رواية ابن حاطب «وا لله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وفي رواية مقسم والأسود وكذا في حديث ابن عباس «ولا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وزاد في رواية الأسود عن عائشة «وأخذ رسول ا لله ﷺ بيدي فانتزعت يدي منه، فنهرني أبو

بكر» وعذرها في إطلاق ذلـك مـا ذكرتـه مـن الـذي خامرهـا مـن الغضـب مـن كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها.

قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه.وقيل أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها «فهو الذي أنزل براءتي» فناسب إفراده بالحمد في الحال.ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك.ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها «احمدي الله» ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك.وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب.

قال ابن القيم : «ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها قومي إلى رسول الله ﷺ فقالت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له ، وثقتها بمحبة رسول الله ﷺ لها قالت ما قالت إدلالاً للحبيب على حبيه ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعته موضعه ولله ما كان أحبها إليه حين قالت : لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي ، ولله ذلك الثبات والرزان منها وهو أحب شئ إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شهراً ثم صادفت الرضى منه والإقبال فلم تبادر إلى القيام إليه والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا غاية الثبات والقوة». انتهى من الزاد (٣/٢٦٤) .

السادسة والأربعون بعد المائة: قوله «**فأنزل الله تعالى:﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات كلها**».

قلت: آخر العشر قوله تعالى:**﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** لكن وقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فأنزل الله تعالى:**﴿إن الذين جاءوا ــ إلى قوله ـ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾**.وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث

عشرة آية، فلعل في قولها العشر الآيات بطريق إلغاء الكسر. وفي رواية الحكم بن عتبة مرسلاً عند ابن جرير «لما خاض الناس في أمر عائشة ـ فذكر الحديث مختصراً وفي آخره ـ فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ ـ الخبيثات للخبيثين».وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضع ست عشرة.وفي مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في "الإكليل" فنزلت ثماني عشرة آية متوالية كذبت من قذف عائشة ﴿**إن الذين جاءوا** ـ إلى قوله ـ **رزق كريم**﴾ وفيه ما فيه أيضاً.وتحرير العدة سبع عشرة.

قلت: فعلى هذا فنهاية الآيات ﴿**ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**﴾.

قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها، لاشتمالها على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة، كل واحد منها كاف في بابه، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل.وعند أبي داود من طريق حميد الأعرج، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة «جلس رسول الله ﷺ وكشف الثوب عن وجهه ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم**﴾ وفي رواية ابن إسحاق: « ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم».ويجمع بأنه قرأ هذه الآيات مرتين أولاهما عند عائشة وأبويها، والثانية على الناس في المسجد.

السابعة والأربعون بعد المائة: قوله «**فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئاً**» يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه.

الثامنة والأربعون بعد المائة : قوله «**لقرابته منه**» تقدم بيانه في المسألة

الخمسين والحادية والخمسين.

التاسعة والأربعون بعد المائة : قوله «**وفقره**» علة أخرى للإنفاق عليه.

الخمسون بعد المائة : قوله «**بعد الذي قال لعائشة**» أي عن عائشة، وفي رواية هشام بن عروة «فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً».

الحادية والخمسون بعد المائة : قوله «**ولا يأتل**» سيأتي شرحها في الباب الخمسين بعد المائتين.

الثانية والخمسون بعد المائة : قوله «**وليعفوا وليصفحوا**» قال مسلم حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال: «هذه أرجى آية في كتاب الله»انتهى، وإلى ذلك أشار القائل:

فإن قدر الذنب من مسطح يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

الثالثة والخمسون بعد المائة: قوله «**قال أبو بكر: بلى وا لله، إني أحب أن يغفر ا لله لي**».في رواية هشام بن عروة «بلى وا لله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا».

الرابعة والخمسون بعد المائة : قوله «**فرجع إلى مسطح النفقة**» أي ردها إليه، وفي رواية فليح «فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه» وفي رواية هشام بن عروة «وعاد له بما كان يصنع» ووقع عند الطبراني أنه صار يعطيه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك.حكاه الحافظ.

الخامسة والخمسون بعد المائة : قوله «**يسأل زينب بنت جحش**» أي أم المؤمنين.

السادسة والخمسون بعد المائة : قوله «**أحمي سمعي وبصري**» أي من الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع ولا أبصر.

السابعة والخمسون بعد المائة: قوله «**وهي التي كانت تساميني**» أي

تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

الثامنة والخمسون بعد المائة : قوله «**فعصمها الله**» أي حفظها ومنعها «**بالورع**» أي بالمحافظة على دينها ومجانبه ما تخشى سوء عاقبته.وفي هذا ثناء من عائشة على ضرتها زينب رضي الله عنهما.

التاسعة والخمسون بعد المائة : قوله «**وطفقت أختها حمنة**» بكسر الفاء وحكي فتحها أي جعلت أو شرعت، وحمنة بفتح المهملة وسكون الميم بنت جحش الأسدية كانت تحت مصعب بن عمير ثم طلحة، وكانت تستحاض ولها صحبة.

الستون بعد المائة : قوله «**تحارب لها**» أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب.

الحادية والستون بعد المائة: قوله «**فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك**» أي حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من أثم، زاد صالح بن كيسان وفليح ومعمر وغيرهم «قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغنا من حديث هؤلاء الرهط» زاد صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عروة «قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله، والذي نفسي بيده ما كشفت كنف أنثى قط».قالت عائشة «ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله».وعند أصحاب السنن من طريق محمد ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة «أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك» لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي، وكذا في حديث أبي هريرة عند البزار، وبنى على ذلك صاحب "الهدي" فأبدى الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي، وفاته أنه ذكر أيضاً فيمن أقيم عليه الحد، ووقع ذلك في رواية أبي اويس، وعن حسن بن زيد، عن عبد الله بن أبي بكر أخرجه الحاكم في "الإكليل" وفيه رد على

الماوردي حيث صحح أنه لم يحدهم مستنداً إلى أن الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار، ثم قال: وقيل أنه حدهم.وما ضعفه هو الصحيح المعتمد.قاله الحافظ

من فقه الحديث:

وفي هذا الحديث فوائد غير ماتقدم:

١ـ جواز الحديث عن جماعة ملفقاً مجملاً.

٢ـ وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو.

٣ـ وجواز حكاية ما وقع للمرء من فضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس.

٤ـ وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من كلام.

٥ـ وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.

٦ـ وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب.

٧ـ وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها.

٨ـ وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها.

٩ـ وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال.

١٠ـ توقف رحيل العسكر على إذن الأمير.

١١ـ واستعمال بعض الجيش ساقة يكون أميناً، ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح.

١٢ـ والاسترجاع عند المصيبة.

١٣ـوتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي.

١٤ـ وإطلاق الظن على العلم.

١٥ـ وإغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك.

١٦ـ وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة.

١٧ـ والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي.

١٨ـ وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق.

١٩ـ وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه.

٢٠ـ وفيه السؤال عن المريض.

٢١ـ وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها.

٢٢ـ وفيه الذب عن المسلمين خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل.

٢٣ـ وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على ما قيل فيه هل وقع منه ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك.ذكر هذه الفوائد الحافظ رحمه الله.

٢٤٥- [باب قوله ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره ﴿**ولولا فضل الله عليكم**﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المشيعون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿**ورحمته**﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿**في الدنيا والآخرة**﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ﴿**لمسكم فيما**﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ﴿**عذاب عظيم**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [وقال مجاهد: ﴿تلقونه﴾ يرويه بعضكم عن بعض].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ المصنف، قال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره.

وأخرجه ابن جرير:ثنا الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بلفظ:«تروونه بعضكم عن بعض» والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ستأتي.

٢- [﴿تفيضون﴾ تقولون].

ش/ هو قول مجاهد وسيأتي في تفسير سورة الأحقاف ضمن الباب السابع عشر بعد الثلاثمائة.وذكره ها هنا استشهاداً لقوله ﴿**فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**﴾.

٢٧١- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان[1] عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان[2] أم عائشة أنها قالت: «لما رميت عائشة خرت مغشياً عليها».

مضى في المسألة الثالثة والستين من الباب الذي قبله.

---

(١) هو أبو داود أو أبو محمد سليمان بن كثير العبدي، البصري، لا بأس به في غير الزهري، من السابعة.مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائة].ع.

(٢) هي أم رومان الفراسية، زوج أبي بكر الصديق، وأم عائشة، وعبد الرحمن، صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد.عاشت بعد النبي ﷺ.خ.

٢٤٦ـ [باب **﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾**].

ش: يعني بقوله **﴿تلقونه﴾** تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض.يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول: أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليشيع عليها بذلك الفاحشة.

وذكر أنها في قراءة أُبي «إذ تتلقونه» بتاءين، وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرءوها «تلقونه» بتاء واحدة؛ لأنها كذلك في مصاحفهم.اهـ من ابن جرير.

وقوله **﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾** أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى **﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يُقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى **﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** وفي الصحيحين «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً».

٢٧٢ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم: قال ابن أبي مليكة: سمعت عائشة تقرأ: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾».

ش: فيه مسألتان:

الأولى: تفسير تلقونه.قال ابن الأثير: الولق والألق الاستمرار في

الكذب.يقال: ولق يلق، وألق يألق، إذا أسرع في مرّه.وقيل: الولق الكذب.اهـ.

قلت: والحديث عند المصنف في حديث الإفك من المغازي برواية نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها «كانت تقرأ: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم**﴾ وتقول: الولق: الكذب».

الثانية: هذه القراءة ﴿**تلِقّونه**﴾ بكسر اللام وتشديد القاف لم أجد هذه القراءة فيما وقفت عليه عن غير عائشة رضي الله عنها ولعلها سيقت للتفسير وقد قدمنا المعنى قبل قليل والله أعلم.

٢٤٧ـ باب ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

ش/ هذا تأديب آخر بعد الأول الآمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ما ينبغي أن يظن بهم خيراً، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك ـ وسوسة أو خيالا ـ فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل» أخرجاه في الصحيحين.

وقال الله تعالى: **﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾** أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد **﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾** أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله وحليلة خليله.

٢٧٣ـ حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة، وهي مغلوبة قالت: «أخشى أن يثنى عليّ فقيل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين؟ قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس، فأثنى عليّ، ووددت أني كنت نسياً منسياً».

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد حدثنا ابن عون، عن القاسم أن ابن عباس رضي الله عنهما استأذن على عائشة.نحوه ولم يذكر نسياً منسياً.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**وهي مغلوبة**» هذه الجملة حالية ومعناها كناية عما تعانيه

عائشة رضي ا الله عنها من شدة مرض الموت وكربه.

الثانية: قوله «**أخشى أن يثنى علي**» فيه دليل على شدة ورعها وتواضعها.

الثالثة: قوله «**فقيل ابن عم رسول ا الله ﷺ ومن وجوه المسلمين**» كأن القائل فهم عنها أنها تمنعه من الدخول للمعنى الذي ذكرته وهو ما كانت تكرهه من الثناء فذكّرها بمنزلته، والذي راجع عائشة في ذلك هو ابن أخيها عبد ا الله بن عبد الرحمن، والذي استأذن لابن عباس هو ذكوان مولى عائشة، وقد بين ذلك كله أحمد في فضائل الصحابة (٨٧٣/٢) وابن سعد (٧٤/٢) في الطبقات من طريق عبد ا الله بن عثمان هو ابن خثيم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت فذكر الحديث.وفيه «فقال لها عبد ا الله يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بيتك يسلم عليك ويودعك، قالت: ائذن له إن شئت».

قلت: وفيه فائدتان:

إحداهما: جواز عيادة المرأة في مرضها لا سيما إن كانت من أهل الفضل والصلاح.

وثانيتهما: تذكير المريض بفضل القادم عليه إذا تردد في الإذن له.

الرابعة: قوله «**ائذنوا له فقال: كيف تجدينك**» في الكلام محذوف تقديره فأذن له فدخل عليها وفيه دليل على سؤال المريض عن حاله.

وعند أحمد من رواية ذكوان «فلما جلس قال أبشري قالت وأيضاً قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد».

قلت: ولا منافاة بين الروايتين لجواز جمعه في محادثتها بين السؤال عن حالها وهذه البشارة.

الخامسة: قوله «**بخير إن اتقيت**» أي إن كنت من أهل التقوى.

السادسة: قوله «**فأنت بخير إن شاء ا الله تعالى**» وفي باب فضل عائشة من الفضائل برواية القاسم بن محمد «يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على

رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

السابعة: قوله «**زوجة رسول الله ﷺ**» في رواية ذكوان «كنت أحب نساء رسول الله ﷺ ولم يكن يحب إلا طيباً».

الثامنة: قوله «**ونزل عذرك من السماء**» يشير إلى قصة الإفك، ووقع في رواية ذكوان «وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار» وزاد في آخره «وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فنزل التيمم فوا لله إنك لمباركة».

التاسعة: قوله «**ودخل ابن الزبير خلافه**» أي على عائشة بعد أن خرج ابن عباس فتخالفا في الدخول والخروج.

العاشرة: قوله «**وددت أني كنت نسياً منسياً**» هو على عادة أهل الورع في شدة الخوف على أنفسهم أن يصيبهم من المديح والثناء العجب والغرور. وفي رواية ذكوان أنها قالت لابن عباس هذا الكلام قبل أن يقوم ولفظه: «فقالت دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً».

ويمكن الجمع بأنها قالت ذلك مرتين إحداهما لابن عباس والأخرى لابن الزبير ومطابقة هذا الحديث للترجمة في قول ابن عباس «ونزل عذرك من السماء». فإن الآية من أعظم ما جاء في عذرها وبراءتها وتكذيب أصحاب الإفك.

وقوله عن القاسم نحوه. أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم في المستخرج من طريق حماد بن زيد، عن عبد الله بن عون ولفظه: «عن القاسم بن محمد، عن عائشة أنها اشتكت، فاستأذن ابن عباس عليها وأتاها يعودها فقالت الآن يدخل عليّ فيزكيني فأذنت له فقال: أبشري يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق، وتقدمين على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، قالت: أعوذ با لله أن تزكيني» حكاه الحافظ هنا.

وفي مناقب عائشة عند المصنف قال: حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد ثنا ابن عون عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

٢٤٨- [باب ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾].

ش/ تمامها: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

يقول تعالى ذكره: يذكركم الله وينهاكم بآي كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة، من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبداً.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه.

٢٧٤- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم، قال سفيان: تعني ذهاب بصره.فقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتُصبِحُ غرثى من لحوم الغوافِل

قالت: لكن أنت».

ش : فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها**» في رواية شعبة عند المصنف في المغازي «دخلنا على عائشة رضي الله عنها، وعندها حسان بن ثابت» وعند مسلم «دخلت» بدل «دخلنا».ويمكن الجمع بينهما بأن مسروق فهم من حال عائشة رضي الله عنها أنه لم يدخل عليها حسان إلا بإذن وهذا هو ما جرت به عادتهم واستقر عندهم شرعاً.

الثانية: قوله «**أتأذنين لهذا**» في رواية شعبة السابقة أن هذا القول وقع بعد إنشاد حسان الشعر.فلعل مسروق قال ذلك مرتين مرة حين رآه ومرة بعد سماعه شعره.

الثالثة: قوله «**أوليس قد أصابه عذاب عظيم**» في المغازي قال مسروق «لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له**

تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾».

وفي قول مسروق هذا وإقرار عائشة ما يفيد أن حسان هو ممن تولى كبر الإفك وهذا معارض في الظاهر لما رجحناه في المسألة الثانية من الحديث التاسع والستين بعد المائتين أن من تولى كبره هو عبد الله بن أبي ويزيل هذا الإشكال ما حكاه الحافظ عن المستخرج من رواية أبي حذيفة عن سفيان بلفظ «وهو ممن تولى كبره».

الرابعة: قوله «**تعني ذهاب بصره**» في المغازي «وأي عذاب أكثر من العمى» تعني في الدنيا.وزاد أبو حذيفة في المستخرج «وإقامة الحدود».

الخامسة: قوله «**حصان**» بفتح المهملة قال السهيلي: هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام منها كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكله خفة اللفظ لخفة المعنى. و«حصان» من الحصين والتحصين يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها.

السادسة: قوله «**رزان**» يقال امرأة رَزان بالفتح، ورزينة، إذا كانت ذات ثبات ووقار وسكون، والرزانة في الأصل الثقل.قاله ابن الأثير.

السابعة: قوله «**ما تزن بريبة**» أي تتهم يقال: زنه بكذا أو أزنه إذا أتهمه به وظنه فيه والريب هو بمعنى الشك وقيل هو الشك مع التهمة، يقال رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني.

الثامنة: قوله «**تصبح غرثى**» بفتح المعجمة وسكون الراء ثم مثلثة أي خميصة البطن أي لا تغتاب أحداً أو هي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا**﴾.

التاسعة: قوله «**من لحوم الغوافل**» جمع غافلة وهي العفيفة الغافلةعن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ومناسبة تسمية الغيبة

بأكل اللحم، أن اللحم ستر على العظم فكأن المغتاب يكشف ما على مـن اغتابـه من ستر.

العاشرة: قوله «**لكن أنت**» في المغازي «**لست كذاك**» وعند مسلم «لكنك لست كذلك» فتحصل من هذا أن عائشة رضي الله عنها تعـني بهـذا أن حسـان ممن تكلم في ذلك الإفك.

٢٤٩- [باب قوله ﴿ويبين ا لله لكم الآيات وا لله عليم حكيم﴾].

ش/ قوله ﴿**ويبين ا لله لكم الآيات**﴾ الآية.ويفصل ا لله لكم حججه عليكم، بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له منكم من العاصي وا لله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، حكيم بتدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال.اهـ من ابن جرير.

٢٧٥- حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي أنبأنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لست كذاك.قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل ا لله ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ فقالت: وأي عذاب أشد من العمي، وقالت: وقد كان يرد عن رسول ا لله ﷺ».

ش : فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**فشبب**» بمعجمة وموحدتين الأولى ثقيلة.في المصباح: شبب الشاعر بفلانة تشبيباً قال فيها الغزل وعرض بحبها.وشبب قصيدته حسنها وزينها بذكر النساء.وفي النهاية: تشبيب الشعر: ترقيقه بذكر النساء.

قلت: ومراد حسان رضي ا لله عنه الثناء على أم المؤمنين رضي ا لله عنها بذكر بعض محاسنها الشخصية ومزاياها الخلقية.

الثانية: قوله «**وقد كان يرد عن رسول ا لله ﷺ**».في المغازي باب حديث الإفك من رواية شعبة بلفظ «إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول ا لله ﷺ».وفي قصة الإفك من رواية صالح بن كيسان عن الزهري قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

٢٥٠- [باب قوله ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون، ولولا فضل ا لله عليكم ورحمته وأن ا لله رؤوف رحيم**﴾ . ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا لله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم**﴾].

ش/ قوله ﴿**إن الذين يحبون** - إلى قوله - **وأنتم لا تعلمون**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا با لله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد.الذي جعله ا لله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصراً على ذلك غير تائب.وا لله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك؛ لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب.يقول فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان با لله، ولا سيما على حلائل رسول ا لله ﷺ فتهلكوا.اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿**ولولا فضل ا لله عليكم ورحمته وأن ا لله رؤوف رحيم**﴾ أي لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية، وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليه.اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل** - إلى قوله - **غفور رحيم**﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون با لله ألا يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم.﴿**والمساكين**﴾ يقول وذوي خلة الحاجة.﴿**والمهاجرين في سبيل ا لله**﴾ وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء ا لله ﴿**وليعفوا**﴾ يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم.﴿**وليصفحوا**﴾ يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا

يؤتونهم قبل ذلك؛ ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم. ﴿**ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم**﴾ يقول: ألا تحبون أن يستر ا لله عليكم ذنوبكم بأفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها. ﴿**وا لله غفور**﴾ لذنوب من أطاعه، واتبع أمره. ﴿**رحيم**﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة، قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها.اهـ من ابن جرير.

٢٧٦ـ وقال أبو أسامة، عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، عن عائشة قالت: لما ذُكر من شأني الذي ذُكر، وما علمت به، قام رسول ا لله ﷺ فيَّ خطيباً، فتشهد، فحمد ا لله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أشيروا عليَّ في أُناس أبنوا أهلي، وايْمُ ا لله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن وا لله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي.فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول ا لله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال: كذبت، أما وا لله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم.حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرٌّ في المسجد، وما علمت.فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح، فعثرت وقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أمِّ تسبين ابنك، وسكتت ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك، ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: وا لله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟ قالت: فبقرت لي الحديث، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم وا لله، فرجعت إلى بيتي، كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيراً.ووُعِكْت، فقلت لرسول ا لله ﷺ:أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبا بكر فوق البيت يقرأ،

فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها وذكرتُ لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني، فقالت: يا بنيـة، خفضـي عليـك الشـأن، فإنـه ـ وا لله ـ لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجـل يحبهـا، لهـا ضرائـر إلا حسـدنها، وقيـل فيها، وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علـم بـه أبـي؟ قـالت: نعـم، قلـت: ورسـول ا للهﷺ؟ قـالت: نعـم ورسـول ا لله ﷺ ، فاسـتعبرت وبكيـت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيـت يقـرأ فـنزل، فقـال لأمـي: مـا شـأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عينـاه، قـال: أقسـمت عليـك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعتُ.

ولقد جاء رسول ا لله ﷺ بيتي فسـأل عـني خـادمتي فقـالت: لا وا لله مـا علمت عليها عيباً، إلا أنها كانت ترقد حتى تدخـل الشـاة فتـأكل خميرهـا، أو عجينها، وانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول ا لله ﷺ ، حتى أسـقطوا لها به، فقالت: سبحان ا لله وا لله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ علـى تـبر الذهب الأحمر، وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقـال: سـبحان ا لله، وا لله ما كشفت كَنَف أنثى قط.قالت عائشة: فقتل شهيداً في سبيل ا لله.قالت: وأصبح أبواي عندي فلم يـزالا حتـى دخـل علـيّ رسـول ا لله ﷺ وقـد صلـى العصر، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعـن شمـالي، فحمـد ا لله وأثنـى عليه، ثم قال: أما بعد، يا عائشة إن كنت قارفت سوء، أو ظلمت، فتوبـي إلى ا لله، فإن ا لله يقبل التوبة من عباده.قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، فهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً، فوعظ رسول ا لله ﷺ فالتفت إلى أبي، فقلت: أجبـه، قـال: فمـاذا أقـول، فـالتفت إلى أمـي، فقلت: أجيبيـه، فقـالت: أقـول مـاذا، فلمـا لم يجيبـاه، تشـهدت فحمـدت ا لله وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد، فوا لله لئن قلت لكم إني لم أفعـل، وا لله عز وجل يشهد إني لصادقة، مـا ذاك بنـافعي عندكـم، لقـد تكلمتـم بـه

وأُشْرِبَتْه قلوبكم، وإن قلت: إني فعلت، وا لله يعلـم أنـي لم أفعـل، لتقولـن قـد باءت به على نفسـها، وإنـي وا لله مـا أجـد لي و لكـم مثـلا، والتمسـت اسـم يعقوب فلم أقدر عليه، إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فصـبر جميـل وا لله المسـتعان على ما تصفون﴾.وأُنزل على رسول ا لله ﷺ من سـاعته، فسـكتنا، فرفـع عنـه وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينـه ويقـول: أبشـري يـا عائشـة، فقد أنزل ا لله براءتك.قالت: وكنت أشـد مـا كنـت غضبـا، فقـال لي أبـواي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكـن أحمـد ا لله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه.

وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحـش فعصمهـا ا لله بدينهـا، فلـم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمنة فهلكت فيمـن هلـك، وكـان الـذي يتكلـم فيـه مسطح، وحسان بن ثابت، والمنافق عبد ا لله بن أبي، وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة، قـالت: فحلـف أبـو بكـر أن لا ينفـع مسـطحا بنافعـة أبـدا، فـأنزل ا لله عـز وجـل: ﴿ولا يـأتل أولـو الفضـل منكـم... ــ إلى آخـر الآيـة يعـني أبـا بكـرـــ ... وا لسـعة أن يؤتـوا أولي القربىوالمساكين ــ يعني مسطحاً ــ إلى قولـه ... ألا تحبـون أن يغفـر ا لله لكـم وا لله غفور رحيم﴾.حتى قال أبو بكر: بلى وا لله يا ربنـا، إنـا لنحـب أن تغفـر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

ش: مضى شرحه ضمن الباب الرابـع والأربعين ومـائتين وفيـه ههنـا أربـع مسائل:

الأولى: قوله «**وقام رجل من بني الخزرج**» في رواية الزهري «فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج».

الثانية: قوله «**وا لله ما كشفت كنف أنثى قـط**» بفتـح الكـاف والنـون أي ثوبها يريد ما جامعتها في حرام.

الثالثة: قوله «**بنافعة أبداً**» في المصباح النفع الخير وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه يقال نفعني كذا ينفعني نفعاً...وانتفعت بالشيء ونفعني الله به، والمنفعة اسم منه.

قلت: فعلى هذا يكون أبو بكر رضي الله عنه قد حلف على أن لا يصيب مسطحا منه أي خير من نفقة وغيره.

الرابعة: قوله «**وعاد له بما كان يصنع**» في رواية الزهري «فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.

٢٥١- [باب ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾].

ش/ قلت الآية: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى ا لله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾.

هذا أمر من ا لله تعالى للنساء المؤمنات وغَيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييزا لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا ــ وا لله أعلم ــ أن جابر بن عبد ا لله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرشدة كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدوا ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل ا لله ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ الآية.اهـ من ابن كثير.

وقال ابن جرير: وقوله ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**وقل**﴾ يا محمد ﴿**للمؤمنات**﴾ من أمتك ﴿**يغضضن من أبصارهن**﴾ عما يكره ا لله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه ﴿**ويحفظن فروجهن**﴾ يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم.اهـ

وقوله تعالى ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية، والزينة زينتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي

النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة.وقوله تعالى ﴿**إلا ما ظهر منها**﴾.

واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها ا لله تعالى.

قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان.

وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ وأراد بها الثياب.

وقال الحسن: الوجه والثياب.وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر وإنما رخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها؛ لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره. اهـ من البغوي.

قوله ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾يقول تعالى ذكره: وليلقين خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن وقوله ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك كالخلخال والقرط والدمالج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيح لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك ﴿**إلا لبعولتهن**﴾ يقول تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن وهم أزواجهن، واحدهم بعل، ﴿**أو لأبائهن، أو لأباء بعولتهن**﴾ يقول: أو لأباء أزواجهن أو لأبنائهن أو لأبناء بعولتهن أو لإخوانهن أو لبني إخوانهن ويعني بقوله ﴿**أو لإخوانهن**﴾ أو لأخواتهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن قيل عنى بذلك نساء المسلمين.

وقوله ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا

حاجة به إليهن، ولا يريدهن.اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «وقوله **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾** يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريبا منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء.

وقوله **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت - لا يسمع صوتها - ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجل طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها».اهـ من ابن كثير.

وقوله **﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾** يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم، من غض البصر وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه **﴿لعلكم تفلحون﴾** يقول: لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.اهـ من ابن جرير.

٢٧٧- وقال أحمد بن شبيب، حدثنا أبي، عن يونس، قال ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

٢٧٨ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا إبراهيم بن نافع[١]، عن الحسن بن مسلم[٢]، عن صفية بنت شيبة[٣] أن عائشة رضي ا لله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «**يرحم ا لله نساء المهاجرات**» فيه دعاء يتضمن المدح والثناء على أولئك النسوة بسرعة امتثالهن أمر ا لله ونهيه في الآية.

وقوله «**نساء المهاجرات**» من إضافة الموصوف إلى صفته أي النساء المهاجرات مثل هذا دين الحق أي الدين الحق، وكقولهم شجر الأراك أي الشجر الأراك.

الثانية: قوله «**الأُوَل**» بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى، أي السابقات إلى الهجرة والإسلام.

الثالثة: قوله «**مروطهن**» جمع مرط قال في المصباح: وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفع المرأة به.وأخرج الشيخان عن عائشة رضي ا لله عنها: «لقد كان رسول ا لله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن».

قال أهل العلم: متلفعات أي متلففات.والمروط أكسية يمنية غليظة.

الرابعة: قوله «**فاختمرن بها**» أي غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع.

---

(١) هو إبراهيم بن نافع المخزومي المكي ثقة حافظ من السابعة.ع.

(٢) هو الحسن بن مسلم بن يناق المكي، ثقة من الخامسة ومات قديما بعد المائة بقليل.خ.م.د.س.ق.

(٣) هي صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية، لها رؤية، وحدثت عن عائشة وغيرها من الصحابة، وفي البخاري التصريح بسماعها من النبي ﷺ .ع.

قال الفـراء في معـاني القـرآن (٢/٢٤٩): «وذلـك أن نسـاء الجاهليـة كـن يسدلن خمرهن من ورائهن فينكشف ما قدامها، فأمرنا بالاستتار».

الخامسة: قوله «**أخذن أزرهن**» هكذا وقع عند المصنف الفاعل ضميراً وهو نون النسوة كما ترى.وأخرجه النسائي في تفسير الآية من رواية ابن المبارك بلفظ «أخذن النساء» وأخرجه الحاكم في التفسير من المستدرك سورة النور من طريق زيد بن الحباب بلفظ «أخذ نساء الأنصار» وأخرج ابن أبي حـاتم في تفسـيره مـن طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية ما يوضح ذلك ولفظه «ذكرنـا عنـد عائشة نساء قريش وفضلهن فقـالت: إن لنسـاء قريـش لفضـلاً، ولكـني والله مـا رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيمانـاً بـالتنزيل، لقـد أنزلت سورة النـور عليهـن مـا أنـزل فيهـا مـا منهـن امـرأة إلا قـامت إلى مرطهـا فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان».

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن كلا من المهاجرات والأنصاريات بادرن إلى سرعة الاختمار وتغطية الوجوه امتثالا لهذه الآية ولكن كان نساء الأنصار أسـرع إلى المبادرة.

آخر تفسير سورة النور والحمد لله.

سورة الفرقان

٢٥٢ـ سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنها فقال رسول الله ﷺ:أرسله.اقرأن هشام.فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأن يا عمر.فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.متفق عليه.

وهي مكية كلها في قول الجمهور.آياتها سبع وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- **[وقال ابن عباس ﴿هباء منثورا﴾ ما تسفي به الريح].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بلفظ: «ما تسفي الريح وتبثه».

وأخرجه أيضاً عن قتادة وابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال عنده في الآية.

وثانيها: أنه الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوه وهو قول عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: أنه الماء المهراق وبه قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه.

والذي اختاره ابن جرير من هذه الأقوال هو الثاني.

والآية المشار إليها: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾**.

٢- **[﴿مَدَّ الظِل﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس].**

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس فذكراه.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

٣- **[﴿ساكنا﴾ دائماً].**

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن زيد.

٤- **[﴿عليه دليلا﴾ طلوع الشمس].**

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.

وبه قال مجاهد وابن زيد أخرجه عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها بالكلمات الثلاث: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾**.

٥- [**﴿خلفه﴾ من فاته من الليل عملٌ أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار أدركه بالليل**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.

وأخرجه ابن جرير عن عمر بن الخطاب والحسن وهو **أحد** ثلاثة أقوال عنده في الآية.

ثانيها: أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً صاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وهو قول مجاهد.

وثالثها: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا، وبه قال مجاهد في رواية قيس عنه، وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾**.

٦- [**وقال الحسن ﴿هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ في طاعة الله وما شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبَه في طاعة الله**].

ش: وصله سعيد بن منصور: ثنا جرير بن حازم سمعت الحسن وسأله رجل عن قوله **﴿هب لنا من أزواجنا﴾** ما القرة في الدنيا أم في الآخرة قال بل في الدنيا هي والله أن يرى العبد من ولده في طاعة الله.

وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب "البر والصلة" عن حزم القطعي، عن الحسن وسمى الرجل السائل كثير بن زياد.

وفي رواية سعيد بن منصور «أن يرى حميمه» حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير: ثني أحمد بن المقدام، ثنا حزم، سمعت كثيراً سأل الحسن قال: يا أبا سعيد قول الله ﴿**هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ في الدنيا والآخرة قال: لا بل في الدنيا قال: وما ذاك؟ قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.وأخرج عن ابن عباس قال: من يعمل لك بالطاعة، فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة.وأخرج عن ابن الحضرمي وابن جريج وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها:﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾.

٧- [**وقال ابن عباس ﴿ثبورا﴾ ويلا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الهلاك وبه قال الضحاك.

قال ابن جرير بعد حكايته القولين: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندمتاه واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿**دعوا هنالك ثبورا**﴾ أي هلكة ويقول هو مصدر من ثبر الرجل أي هلك ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعري:

إذا أُجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبورا

والآية المشار إليها:﴿**وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا**﴾.

٨- [وقال غيره: السعير مذكّر، والتَسَعُّر الاضطرام التوقد الشديد].

ش: قال أبو عبيدة: والسعير مذكر، وهو ما تسعر من سعار النار.

والآية المشار إليها: **﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾**.

٩- [﴿تُملى عليه﴾ تُقرأ عليه، من أمليتُ وأمللت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهي في موضع آخر أمللت عليه.

وقول المصنف أمللت يشير إلى قوله من سورة البقرة **﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾**.

والآية المشار إليها هنا: **﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾**.

١٠- [﴿الرس﴾ المعدن جمعه رِسَاس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال النابغة الجعدي:

سبقت إلى فرط ناهل ... تنابلة يحفرون الرساسا

والرساس المعدن.اهـ.

قلت: وفي الآية أربعة أقوال.

أحدها: أنهم أصحاب الرس من ثمود وهو قول ابن عباس.

وثانيها: أنها قرية من اليمامة يقال لها الفلج وبه قال قتادة وعكرمة.

وثالثها: أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر وهو قول عكرمة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنها بئر كانت تسمى الرس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه ومجاهد.

وهذا الأخير هو اختيار ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾.

١١- [﴿ما يعبأ﴾ يقال ما عبأت به شيئا أي لم تعتد به].

ش: قال أبو عبيدة: ومنه قولهم ما عبأتُ بك شيئاً أي ما عددتك شيئا.

والآية المشار إليها:﴿قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾.

١٢- [﴿غراما﴾ هلاكا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ولزاما لهم ومنه رجل مغرم بالحب حب النساء من الغرم والدين قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعـ ـط جزيلا فإنه لا يبالي

والآية المشار إليها:﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾.

١٣- [وقال مجاهد ﴿وعتوا﴾ طغوا].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال طفوا.ذكره الحافظ.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال التجبر، والمعنى واحد.

والآية المشار إليها:﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾.

١٤- [وقال ابن عيينة: ﴿عاتية﴾ عتت عن الخُزَّان].

ش:كذا في تفسيره وهذه الكلمة هي من الآية السادسة من سورة الحاقة وإنما ذكرها استطراداً.

٢٥٣- [باب قوله ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً**﴾].

ش: يخبر تعالى عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات.﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً**﴾ ومعنى يحشرون على وجوههم: يسحبون عليها إلى جهنم ﴿**أولئك شر مكانا**﴾ أي منزلا ومصيراً ﴿**وأضل سبيلا**﴾ وأخطأ طريقاً، وذلك لأنهم قد صاروا في النار.

٢٧٩- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يونس بن محمد البغدادي[1]، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه:أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**أن رجلا**» لم نقف له على تسمية.

الثانية: قوله «**يا نبي الله**» وعند مسلم باب يحشر الكافر على وجهه من كتاب صفة المنافقين برواية زهير وعبد بن حميد «يا رسول الله».

قلت: وهذا ما اعتاده أصحابه ﷺ معه، يخاطبونه بالنبوة والرسالة ولم يعهد منهم مخاطبته باسمه، وهذا غاية في تأدبهم معه.

الثالثة: قوله «**كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة**» وكذا عند مسلم، وعند المصنف في الرقاق باب كيف الحشر «يحشر الكافر على وجهه» بحذف الاستفهام» ولفظة يوم القيامة.ولا غرابة فإن ذلك جائز في العربية.قال في الألفية:

---

(١) هو أبو محمد يونس بن محمد بن مسلم البغدادي، المؤدب، ثقة ثبت، من صغار التاسعة.مات سنة سبع ومائتين.ع.

وحذف ما يعـــلم جائز كـما تقول زيد بعد من عندكما
وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عرف

وعند الحاكم في تفسير سورة الفرقان من رواية أبي داود السبيعي عن أنس «كيف يحشر أهل النار».

الرابعة: قوله «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» وكذا في الرقاق وعند مسلم «على رجليه» وعند الحاكم «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» وفي حديث أبي هريرة عند ابن جرير «يحشر الناس على ثلاثة أصناف، صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم.فقيل فكيف يمشون على وجوههم» الحديث.

قلت: ولا منافاة بين هذه الأحاديث فيمكن الجمع بينها بأن المقربين يحشرون ركباناً ومن عداهم من المسلمين على أرجلهم والكفار على وجوههم.

الخامسة: قوله «**قال قتادة...الخ**» قال الحافظ وغيره: هذه الزيادة موصولة بالإسناد المذكور.

قلت: ويظهر من هذا أن قائل «قال قتادة» هو شيبان راوية قتادة ومعناها التصديق لقوله ﷺ: «أليس الذي أمشاه...الخ».

تنبيه:

أخرج هذا الحديث النسائي: أنا الحسين بن منصور نا حسين بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس: أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم» الحديث.

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري لكن لم أجد هذا الحرف فيما وقفت عليه عن أصحاب شيبان إلا برواية الحسين بن محمد راويه، فأخشى أن تكون شاذة.

٢٥٤- [باب قوله ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما**﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر، فيشركون في عبادتهم إياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿**ولا يقتلون النفس التي حرم الله**﴾ قتلها ﴿**إلا بالحق**﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها أو زنا بعد إحصانها أو قتل نفس فتقتل بها. ﴿**ولا يزنون**﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج. ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ يقول ومن يأت هذه الأفعال فدعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، وزنى ﴿**يلق أثاما**﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا.

[أثاما: العقوبة].

ش: كذا قاله أبو عبيدة.

٢٨٠- حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني منصور وسليمان، عن أبي وائل، عن أبي ميسرة، عن عبد الله قال: وحدثني واصل[1]، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت أو سئل رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾.

(١) هو واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، ثقة ثبت من السادسة مات سنة عشرين ومائة. ع.

٢٨١ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة[1]: أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء.

٢٨٢ـ حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

٢٨٣ـ حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا منصور، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿فجزاؤه جهنم﴾ قال: لا توبة له، وعن قوله جل ذكره ﴿ولا يدعون مع الله إلها آخر﴾ قال كانت هذه في الجاهلية.

ش: فيها خمس مسائل:

الأولى: قوله «ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾** الآية فيه التصريح بأن رسول الله ﷺ وافق في جوابه الوحي وهذا دليل على أن تلك الأمور المذكورة في الحديث هي أعظم الذنوب.

الثانية: قوله «هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة» في رواية منصور عن سعيد بن جبير في آخر الباب «قال: لا توبة له».

الثالثة: قوله «قرأتها على ابن عباس» في الرواية التي بعدها من طريق المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير: «اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس.

(١) هو القاسم بن أبي بزة المكي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة مات سنة خمس عشرة ومائة وقيل قبلها. ع.

الرابعة: قوله «هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء» يعني آية الفرقان نسختها آية مدنية التي في سورة النساء يعني قوله ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ الآية.

قال الحافظ: «وروى ابن مردويه من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر».

الخامسة: قوله «إختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن» يعني عمداً. كذا وقع ها هنا مختصراً ووقع في باب ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمداً**﴾ من سورة النساء أتم قال: «آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم**﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء». وأخرجه مسلم في التفسير من طرق عن شعبة بلفظ: «اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم**﴾ فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: لقد أنزلت آخر ما أنزل ثم ما نسخها شيء». وقد بينها في رواية منصور التالية عن سعيد بن جبير: «سألت ابن عباس عن قوله ﴿**فجزاؤه جهنم**﴾ فقال: لا توبة له، وعن قوله: ﴿**لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: كانت هذه في الجاهلية». ويأتي في الباب السادس والخمسين بعد المائتين أوضح ولفظه: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: نزلت في أهل الشرك».

٢٥٥ـ [باب ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾].

ش: قوله ﴿**يضاعف له العذاب يوم القيامة**﴾ أي يكرر عليه ويغلظ ﴿**ويخلد فيه مهانا**﴾ أي حقيراً ذليلا.

٢٨٤ـ حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن أبزى[1]: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ وقوله: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ـ حتى بلغ ـ إلا من تاب﴾ فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وأتينا الفواحش فأنزل الله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ـ إلى قوله ـ غفوراً رحيماً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**سئل ابن عباس**» كذا في رواية أبي ذر بصيغة الفعل الماضي، ومثله للنسفي، وهو يقتضي أنه من رواية سعيد بن جبير عن ابن أبزى عن ابن عباس وفي رواية الأصيلي «سل» بصيغة الأمر وهو المعتمد، ويدل عليه قوله بعد سياق الآيتين «فسألته» فإنه واضح في جواب قوله «سل» قاله في الفتح.

قلت: ويأتي في الباب الذي يليه عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء وعن ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.

(١) هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم، صحابي صغير وكان في عهد عمر رجلاً وكان على خرسان لعلي. ع.

ويمكن الجمع بينهما بأن سؤال ابن عباس وقع أولاً من سعيد بن جبير بـأمر من عبد الرحمن ثم وقع ثانياً من عبد الرحمن نفسه,وا لله أعلم.

الثانية: قوله «**قال أهل مكة**» لم أقف على تسمية القائل وعند مسلم فقال المشركون وما يغنى عنا الإسلام...» الحديث.

الثالثة: قوله «**عدلنا با لله**» أي أشركنا بـه غيره وفي التنزيل الكريم ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾ أي يشركون.

٢٥٦- [باب ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات وكان ا لله غفوراً رحيماً**﴾].

ش: قوله ﴿**إلا من تاب**﴾ يقول إلا من راجع طاعة ا لله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه ا لله، ﴿**وآمن**﴾ يقول: وصدق بما جاء به محمد نبي ا لله ﴿**وعمل عملا صالحاً**﴾ يقول: وعمل بما أمره ا لله من الأعمال، وانتهى عما نهاه ا لله عنه.

وفي قوله ﴿**فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات**﴾ قولان لأهل العلم:

أحدهما: بمعنى فأولئك يبدل ا لله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام وبه قال ابن عباس، وابن زيد، وهذا هو الذي رجحه ابن جرير.

وثانيهما: أنه بمعنى فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب.

قوله ﴿**وكان ا لله غفوراً رحيما**﴾ يقول تعالى ذكره: وكان ا لله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا من عظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح وهو حقيقة التوبة قال ابن عباس رضي ا لله عنهما: ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت، وفرحه بنزول ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر ا لله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾». انتهى من بدائع التفسير.

٢٨٥- حدثنا عبدان، أخبرنا أبي، عن شعبة، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين

﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس**» وكذا عند مسلم من رواية منصور وعنده من رواية ابن جريج: حدثني القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق...﴾** إلى آخر الآية.قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً﴾**.وعند المصنف في فضائل الصحابة من رواية الحكم عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد الرحمن بن أبزى قال: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما **﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾**، **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً﴾** فسألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في الفرقان...» الحديث.

الثانية: قوله «**لم ينسخها شيء**» روى أحمد وابن جرير من طريق يحيى الجاري والنسائي وابن ماجة من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعدما كف بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمداً؟ قال: جزاؤه جهنم خالداً فيها» وساق الآية إلى عظيماً.قال: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له التوبة والهدى».

فائدة:

قال الحافظ: «وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفاً، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه.

قال مقيده: وهذا توجيه جيد تتآلف به الروايات ويزول ما يظن بينها من تعارض، ويظهر المقصود منها لذي البصيرة.

قال النووي (١٨/١٥٩): «هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالى: ﴿**ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما**﴾ وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل والتورية في المنع منه وليس في هذه الآية التي احتج بها ابن عباس تصريح بأنه يخلد وإنما فيها أنه جزاؤه ولا يلزم منه أنه يجازى».

قال مقيده: ويؤيد قبول توبة قاتل المؤمن عمداً أمران:

أولهما: آيات الفرقان المتقدمة وذلك أن الحق جل ثناؤه ظمنها عقوبة المشرك والقاتل والزاني استثنى التائب فقال:﴿**إلا من تاب**﴾ الآية.ولا صارف لهذا النص عن ظاهره الذي هو العموم فيما نعلم.

وثانيهما: ما رواه الشيخان: «فيمن قتل مائة نفس أنه سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم

ومن يحول بينه وبين التوبة». فإنه نص صريح في المسألة ولا يصرفه عن ظاهره إلا نص مثله أو إجماع.

وعلى هذا فيحمل قول ابن عباس وما ماثله على التغليظ والزجر وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

الثالثة: قوله «**نزلت في أهل الشرك**» في الفضائل برواية الحكم عن سعيد بن جبير: «لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركوا أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلها آخر، وقد أتينا الفواحش فأنزل الله ﴿**إلا من تاب وآمن**﴾ الآية. فهذه لأولئك».

٢٥٧- [باب ﴿**فسوف يكون لزاما**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**﴾.

قوله ﴿**قل ما يعبؤ بكم ربي**﴾ أي لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله ﴿**فقد كذبتم**﴾ أي أيها الكافرون ﴿**فسوف يكون لزاما**﴾ أي فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم، يعني مقتضياً لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر.

واعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في معنى قوله ﴿**فسوف يكون لزاما**﴾ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير وهي:

أولاً: بمعنى عذاباً لكم ملازماً ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وبه قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة وإبراهيم ومجاهد والضحاك.

وثانياً: بمعنى القتال وهو قول ابن زيد.

وثالثاً: الموت وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

[**لزاماً: هلكه**].

ش: قال أبو عبيدة: أي جزاءً وهو الفيصل وله موضع آخر فسوف يكون هلاكاً. قال أبو ذؤيب:

ففاجئه بعادية لزامٍ كمن يتفجر الحوض اللقيف

الحوض اللقيف الذي قد تهدمت حجارته سقط بعضها على بعض .أهـ

٢٨٦- حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: خمسٌ قد مضين، الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللزام، فسوف يكون لزاماً.

يأتي في تفسير سورة الروم ضمن الباب السادس والستين بعد المائتين.

آخر تفسير سورة الفرقان و لله الحمد والمنة.

سورة الشعراء

٢٥٨ - سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ وهي مكية عند الجمهور وآياتها سبع وعشرون ومائتا آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿تعبثون﴾ تبنون**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: حدثنا على بن الحسين عن المقدسي عن أسيد بن حبيب عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فذكره. وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك بلفظ تلعبون. **قلت:** وهو الموافق لظاهر الآية، وعليه مشى ابن جرير في تفسيره.

والآية المشار إليها **﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾**.

٢ - [**﴿هضيم﴾ يتفتت إذا مُسّ**].

ش: أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم: حدثنا الحبيب بن الحبيب عن إبراهيم بن عبد الله عن ابن جريج عن مجاهد، وأخرجه ابن جرير: حدثنا القاسم، ثنا الحبيب: ثني حجاج عن ابن جريج: سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهد يقول في قوله **﴿ونخل طلعها هضيم﴾** حيث تطلع يفيض عليه فيهضمه، قال ابن جرير قال مجاهد: إذا مس تهشم و تفتت)

والآية المشار إليها: **﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾**.

٣ - [**﴿مسَحَّرِين﴾ المسحورين**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وأخرجه بن جرير عن قتادة

والآية المشار إليها: **﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾**.

٤ - [**﴿ليكة﴾ والأيكة جمع أيكه وهى جمع الشجر**].

ش: أخرجه ابن أبى حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: **﴿كذب أصحاب الأيكة﴾** كذا قراها وهي قراءة أهل مكة ابن كثير وغيره وأما الشطر الثاني فقال أبو عبيدة: جمعها أيك وهي جماع الشجر

والآية المشار إليها: **﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾**.

٥ - [﴿يوم الظلة﴾ إظلالُ العذابِ إياهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث؛ ثنا الحبيب:ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأخرجه عن ابن عباس والضحاك وابن زيد.

واخرج عن ابن عباس في صفته قال:بعث ا الله عليهم ومرة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت،فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية،فبعث ا الله عليهم سحابة، فأضلتهم من الشمس،فوجدوا لها برداً ولذة،فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها ا الله عليهم ناراً.

والآية المشار إليها : **﴿ فكذبّوه فأخذهم عذابُ يومِ الظُلّة، إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾**

٦ - [﴿موزون﴾ معلوم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحبيب: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بلفظ مقدور بقدر

والكلمة من الآية التاسعة عشرة من سورة الحجر ولعلها وقعت هنا سهواً من بعض النساخ وا الله أعلم

٧ - [﴿كالطود ﴾ الجبل].

ش: كذا وقع وقد وجدته عند ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أبي صالح: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الحافظ وقع هذا لأبي ذر منسوباً إلى ابن عباس،ولغيره منسوباً إلى مجاهد والأول أظهر.

والآية المشار إليها **﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾.**

٨ - [**وقال غيره: ﴿لشرذمة﴾ طائفة قليلة**].

ش: قال أبو عبيدة:(أي طائفة وكل بقية قليلة فهي شرذمة قال: يحذين في شراذم النعال.

أي قطع النعال وبقاياها، وهي هاهنا في موقع الجماعات ألا ترى أنه قال شرذمة قليلون)اهـ.

والآية المشار إليها **﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾**.

٩ - [**﴿في الساجدين﴾ المصلين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وتقلبك في الساجدين﴾**.

١٠ - [**قال ابن عباس: ﴿لعلكم تخلدون﴾ كأنكم**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الفراء: معناه كيما تخلدوا.

قلت: وظاهر الآية صالح لكلا المعنيين.

والآية المشار إليها **﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾**.

١١ - [**﴿الريع﴾ الأيفاع من الأرض وجمعه ريعة وأرياع واحده ريعه**].

ش: قال أبو عبيدة:(وهو الارتفاع من الأرض والطريق والجميع أرياع وريعة قال ذو الرمة:

طراق الخوافي مشرف فوق ريعة ندى ليله في ريشة يترقرق

وقال الشماخ:

تعن له بمذنب كل واد إذا ما الغيث أخضل كل ريع

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الأول.

١٢ - [﴿مصانع﴾ كل بناءٍ فهو مصنعة].

ش: قاله أبو عبيدة.

وقال مجاهد هي القصور المشيدة، وقال قتادة هي مآخذ للماء أخرج هذين القولين ابن جرير واختار تفسير أبي عبيدة لجمعه القولين كما ترى.وتقدمت الآية في الأثر الأول.

١٣ - [﴿فرهين﴾ مرحين ﴿فارهين﴾ بمعناه، ويقال: «فآرهين» حاذقين].

ش: قال أبو عبيدة أي حاذقين وقال آخرون فارهين أي مرحين. وقال عدي بن وداع العقوي من العقاة بن عمرو بن مالك ابن فهم من الأزد:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ولن تراني بخير فاره اللبب

أي مدح اللبب ويجوز فرهين في معنى فارهين ا.هـ

وقال مكي قرأه الكوفيون وابن عامر بألف على معنى حاذقين،وقرأ الباقون بغير ألف على معنى أشرين أي بطرين، وكلا القراءتين حسن محتمل.

والآية المشار إليها ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**﴾.

١٤ - [﴿تعثوا﴾ هو أشد الفساد، وعاث يعيث عيثاً].

قال أبو عبيدة: يقال عثيت تعثي عثواً، وهي أشد الفساد والخراب.

والآية المشار إليها ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾.

١٥ - [﴿الجبِلَّة﴾ الخَلق. جُبِل: خُلق، ومنه جُبلا وجِبِلاً، وجُبْلاً يعني الخلق قاله ابن عباس].

ش:قال الحافظ: كذا لأبي ذر وليس عند غيره قال ابن عباس، وهو أولى فإن هذا كله كلام أبي عبيدة قال في قوله ﴿**والجبلة الأولين**﴾ أي الخلق هو من جبل على كذا أي تخلق.اهـ

قلت: والذي أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿**والجبلة الأولين**﴾ يقول: خلق الأولين.

والآية المشار إليها: ﴿**واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين**﴾.

٢٥٩ - [باب: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾]

ش: يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ا.هـ من ابن جرير.

٢٨٩ - وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: «إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة» الغبرة هي القترة.

٢٩٠ - حدثنا إسماعيل: حدثنا أخي[1] عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: "يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول ا لله: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**وقال إبراهيم بن طهمان**... الخ» وصله النسائي في تفسير الشعراء عن أحمد بن حفص بن عبد ا لله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان وساق الحديث بتمامه.

الثانية: قوله «**عن سعيد المقبري عن أبي هريرة**» كذا قال إسماعيل ابن أبي أويس، وأورد البخاري هذه الطريق معتمدا عليها وأشار إلى الطريق الأخرى في الحديث الأول التي زيد فيها بين سعيد وأبي هريرة رجل فذكرها معلقة، وسعيد قد سمع من أبي هريرة وسمع من أبيه عن أبي هريرة، فلعل هذا مما سمعه من أبيه عن أبي هريرة ثم سمعه من أبي هريرة، أو سمعه من أبي هريرة مختصراً ومن أبيه عنه تاما، أو سمعه من أبي هريرة ثم ثبته فيه أبوه، وكل ذلك لا يقدح في صحة

---

(١) هو أبو بكر عبد الحميد بن عبد ا لله بن عبد ا لله بن أويس الأصبحي مشهور بكنيته إلى أبيه ثقة من التاسعة، مات سنة اثنتين ومائتين خ،م،د،ت،س.

الحديث. وقد وجد للحديث أصل عن أبي هريرة من هذا الوجه أخرجه الحاكم في التفسير من المستدرك (٢ /٢٣٨).

الثالثة: قوله «**إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقترة، والغبرة هي القترة**» كذا أورده مختصراً،وعند المصنف في الأنبياء باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً وألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك،وعند النسائي في التفسير " وعليه الغبرة والقترة، فقال له:قد نهيتك عن هذا فعصيتني، قال: لكني لا أعصيك اليوم " الحديث، فعرف من هذا أن قوله والغبرة هي القترة من كلام المصنف وأخذه من كلام أبي عبيدة وأنه قال في تفسير سورة يونس ﴿**ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة**﴾ القتر الغبار، أنشد الأخطل:

يعلو القناطر بينها ويهدمها مسوماً حوقة الرايات والقتر

قال الحافظ: قال ابن التين: وعلى هذا فقوله في سورة عبس ﴿**غبرة ترهقها قترة**﴾ تأكيد لفظي، كأنه قال غبرة فوقها غبرة.

الرابعة: قوله: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزيَني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين» هكذا أورده هنا مختصراً وأورده في أحاديث الأنبياء وتمامه "ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار. قلت والذيخ هو ذكر الضباع والأنثى ذيخه وأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين. وهذا موافق لظاهر قوله تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر..الآية**﴾ ونسبته هو آزر واسمه شارخ بن ناحور بن شاروخ بن راغوء بن فالخ بن عبيد ويقال عابد بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح.

الخامسة: قوله «**وعلى وجه آزر قترة وغبرة**» هذا موافق لظاهر القران ﴿**وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة** ﴾ أي يغشاها قترة فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

السادسة: قوله «**فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك**» في رواية إبراهيم بن طهمان عند النسائي في التفسير فقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني قال: لكني لا أعصيك واحدة "

السابعة: قوله «**فيقول يارب إنك وعدتني أن لا تخزيَني يوم يبعثون**»، زاد في الأنبياء (فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) ووصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه وقيل الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد وقيل الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمان عند النسائي "وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد".

الثامنة: "قوله «**فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين**» في حديث أبي سعيد "فينادي: أن الجنة لا يدخلها مشرك".

٢٦٠-[باب **﴿وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك﴾**]

ش: تمام السياق **﴿لمن اتبعك من المؤمنين،فإن عصوك فقل إني بريئ مما تعملون ﴾.**

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وانذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم لكفرهم " ا.هـ من ابن جرير

قلت: وخص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم.

وقوله **﴿واخفض جناحك...الخ﴾**، أمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد ا لله المؤمنين، ومن عصاه من خلق ا لله كائناً من كان فليتبرأ منه ولهذا قال: **﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾** وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال:**﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾** وقال: **﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾** وقال: **﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾** كما قال **﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾**.

من فقه الآيتين

أولاً: مشروعية البدء في الدعوة بالأقربين وأنهم أولى من غيرهم.

ثانياً: على الداعية إلى ا لله على بصيرة لين الجانب لإخوانه من أهل الإيمان والتواضع لهم.

ثالثاً: البراءة من الشرك و أهله.

[﴿واخفض جناحك﴾: ألن جانبك]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد وكلامك.

٤٧٧١-حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا الأعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال "لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي:يا بني فهر،يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم،ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾"

٢٩٢ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال:" قام رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حين أنزل ا لله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال:يا معشر قريش -أو كلمة نحوها-اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من ا لله شيئاً. يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من ا لله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب،لا أغني عنك من ا لله شيئاً. ويا صفية عمة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم،لا أغني عنك من ا لله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد صلى ا لله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من ا لله شيئاً ".

تابعه أصبغ عن ابن و هب عن يونس عن ا بن شهاب.

ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: أن هذين الحديثين من مراسيل الصحابة وحكمه حكم الموصول على الراجح.

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

"أما الذي أرسله الصحابي فحكمه الوصل على الصواب"

وقال في الشرح:أي أما مراسيل الصحابة فحكمها حكم الموصول قال ابن الصلاح:ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول ا لله ﷺ ولم يسمعوه منه لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة

والجهالة بالصحابة غير قادحة لأن الصحابة كلهم عدول، قلت:قوله لأن روايتهم عن الصحابة فيه نظر والصواب أن يقال لأن غالب روايتهم إذ قد سمع جماعة من الصحابة بعض التابعين" إ.هـ

قلت: والظاهر من حالهم أنهم لا يروون إلا عن تابعي عدل.

الثانية: قوله «**لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**» زاد في تفسير تبت من رواية أبي أسامة عن الأعمش بهذا السند "ورهطك منهم المخلصين "وهذه الزيادة وصلها ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرؤها كذلك، قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن، والجواب عن ذلك أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام،فقوله ﴿**وأنذر عشيرتك**﴾ عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن،ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم وتأكيداً، قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش**» في حديث أبي هريرة قال: "يا معشر قريش، أو كلمة نحوها" قال الحافظ: ووقع عند البلاذري من وجه آخر عن ابن عباس أبين من هذا ولفظه "فقال: يا بني فهر، فاجتمعوا. ثم قال: يا بني غالب، فرجع بنو محارب والحارث ابنا فهر. فقال: يا بني لؤي، فرجع بنو الأدرم بن غالب. فقال: يا آل كعب، فرجع بنو عدي وسهم وجمح فقال: يا آل كلاب، فرجع بنو مخزوم وتيم. فقال: يا آل قصي، فرجع بنو زهرة، فقال: يا آل عبد مناف، فرجع بنو عبد الدار وعبد العزى.فقال له أبو لهب: هؤلاء بنو عبد مناف عندك "حكاه في الفتح.

الرابعة:قوله «**أرأيتكم لو أخبرتكم... الخ**» أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب. ووقع في حديث علي "ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة".

الخامسة: قوله «**كنتم مصدقي**» بتشديد التحتانية. وقوله (قال فإني نذير لكم) أي منذر. ووقع في حديث قبيصة بن مخارب وزهير بن عمرو عند مسلم باب ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ وأحمد "فجعل ينادي:إنما أنا نذير، وإنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فجعل يهتف: يا صباحاه" يعني ينذر قومه. وفي رواية موسى بن وردان عن أبي هريرة عند أحمد قال "أنا النذير،والساعة الموعد" وعند ابن جرير من مرسل قسامة ابن زهير قال "بلغني أنه صلى ا الله عليه وسلم وضع أصابعه في أذنه ورفع صوته وقال: يا صباحاه، ووصله مرة أخرى عن قسامة عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه الترمذي، موصولاً أيضاً باب ومن سورة الشعراء.

السادسة: قوله فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ في رواية أبي أسامة عند المصنف وابن جرير في تفسير سورة المسد ﴿**تبت يدا أبي لهب وقد تب**﴾ وزاد "هكذا قرأها الأعمش يومئذ ". قال الحافظ: وليست هذه القراءة فيما نقل الفراء عن الأعمش،فالذي يظهر أنه قرأها حاكيا لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق "يومئذ" فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك،والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده.

السابعة: قوله «اشتروا أنفسكم من ا الله» أي باعتبار تخليصها من النار فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة،وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى،وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفى ما عليه من الثمن، وبا لله التوفيق.

الثامنة:قوله «**يا بني عبد مناف،اشتروا أنفسكم من ا الله،يا عباس...الخ**» في رواية موسى بن طلحة عن أبي هريرة عند مسلم وأحمد "دعا رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب كذلك يا معشر بني هاشم كذلك يا معشر بني عبد المطلب كذلك "الحديث.

التاسعة: قوله «**يا صفية عمة رسول الله ﷺ** » بنصب عمة،ويجوز في صفية الرفع والنصب وكذا القول في قوله يا فاطمة بنت محمد.

قال ابن مالك:

ونحو زيد ضم وافتحن من   نحـــو أزيدُ بن سعيد لا تهن

قال ابن عقيل: أي إذا كان المنادى مفرداً علماً ووصــف بـابن مضافـاً إلى علم ولم يفصل بين المنادى وبين ابن جاز لك في المنادى وجهان البناء على الضـم نحو يا زيد ابن عمرو والفتح إتباعاً نحو يا زيد بن عمرو. ا.هـ

وقوله تابعه أصبغ يعني أن أبا اليمان تابعه أصبغ وقال الحافظ:وصله الذهلـي في الزهريات عن أصبغ.

من فقه الحـديثين:

أولاً: كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على قومه وحرصه على هدايتهم.

ثانياً: مبادرته صلى الله عليه وسلم إلى إنذارهم فـور نـزول الآيـة ألا تـرى ابن عباس قال "لما نزلت: وانذر عشيرتك الأقربين"

ثالثـاً: في البـدء بالقرابـة سـر وهـو أن الحجـة إذا قـامت عليهـم تعـدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علـة للأبعديـن في الامتنـاع وأن لا يـأخذه مـا يـأخذ القريـب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف.

رابعاً: إذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرســلين لأقاربـه المؤمنـين وغيرهم خصوصاً سيدة نساء العالمين وعمه وعمته وآمن الإنسان أنه لا يقــول إلا الحق ثم نظر إلى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الإعتقـاد فيـه وفي غـيره مـن الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون ويغنون من عذاب الله تبين لـه التوحيـد وعرف غربة الدين. فأين هذا من قول صــاحب الـبردة والـبرعي واضرابهمـا مـن المادحين له حتى بما هو يتبرأ منه ليلاً ونهاراً.

آخر تفسير سورة الشعراء و لله الحمد والمنّة.

سورة النمل

٢٦١ - سورة النمل

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم**﴾ **الآية.**

قال القرطبي: وهي مكية كلها في قول الجميع، واخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة النمل بمكة.وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله،وآياتها ثلاث وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿الخَبْء﴾ ما خبأت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد في نفسك أي ما أسررت، وقال ابن جرير: يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء والنبات في الأرض ونحو ذلك.وأخرج المعنى عن مجاهد وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ألا يسجدو لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾.**

٢ - [﴿لا قِبَل﴾ لا طاقة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد لهم بها ولا يدين.

والآية المشار إليها **﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾.**

٣ - [﴿الصَّرْح﴾ كل مِلاطِ اتخِذ من القوارير، والصَّرح القَصْر، وجماعته صروح].

ش: قال أبو عبيدة "الصرح" القصر وكان من قوارير قال أبو ذؤيب:

بهن نعام بناها الرجـــال تشبه أعلامهن الصروحا

كل بناء بنيته من حجارة فهو نعامه والجماع نعام وإذا كان من شجر فهو ثاية اهـ.

والآية المشار إليها **﴿قيل لها ادخلي الصرح،فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير.قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾.**

٤ - [وقال ابن عباس ﴿ولها عرش عظيم﴾ سريرٌ كريـمٌ، حُسْنُ الصنعة وغلاءُ الثَّمَن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بلفظ: سرير كريم قال: حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

والآية المشار إليها: **﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم﴾.**

٥ - [﴿مسلمين﴾ طائعين].

ش: أخرجه ابن جرير:ثني علي:ثنا أبو صالح:ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وهو أحد قولين عنده في الآية والقول الثاني بمعنى قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله،وبه قال ابن جريج واختار ابن جرير قول ابن عباس.

والآية المشار إليها **﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾.**

٦ - [﴿رَدِفَ﴾ أقترب].

ش: أخرجه ابن جرير عن الضحاك واخرج عن مجاهد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾.**

٧ - [﴿جامدة﴾ قائمة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به،وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: ثابتة، وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب.**

٨ - [﴿أوزعني﴾ اجعلني].

ش: أخرجه ابن جرير وابـن أبـي حـاتم عـن قتـادة بلفـظ "ألهمـني" والمعنـى واحد.

والآية المشار إليها **﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علـي وعلـى والـدي وأن أعمـل صالحـاً ترضـاه وأدخلـني برحمتك في عبادك الصالحين﴾**.

٩ - **[وقال مجاهد ﴿نكّروا﴾ غيّروا]**.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمـد بـن عمـرو: ثنـا أبـو عـاصم: ثنـا عيسـى وحدثني الحارث ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبـي نجيـح عـن مجـاهد بلفـظ غيروه،وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال:تنكيره أن يجعل أسـفله أعـلاه ومقدمـه مؤخره ويزاد فيه أو ينقص منه.

والآية المشار إليها **﴿قال نكروا لهـا عرشـها ننظـر أتهتـدي أم تكـون مـن الذين لا يهتدون﴾**.

١٠ - **[﴿وأوتينا العلم﴾ يقوله سليمان]**.

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبـي نجيح عن مجاهد بلفظ سليمان يقوله.

والآية المشار إليها **﴿فلما جـاءت قيـل أهكـذا عرشـك، قـالت كأنـه هـو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾**.

١١- **[الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها إياها]**.

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من الطريق الذي قبلـه بلفـظ "بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها".

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث وكان حق هذا أن يذكر هناك.

آخر تفسير سورة النمل والحمد لله.

سورة القصص

٢٦٢ - سورة القصص

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾

وأخرج أحمد عن معد يكرب قال أتينا عبد ا لله فسألناه أن يقر أعلينا طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول ا لله ، خباب بن الأرت قال:فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا رضي ا لله عنه،وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وآياتها ثمان وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ إلا ملكه. ويقال إلا ما أريد به وجه الله**].

ش: قال مقيده: وبهذه الحكاية يظهر لك أن في الآية قولين أما أولهما: فلم أجد من قال به فيما وقفت عليه؛نعم قال الحافظ في الكلام على هذا الأثر: (في رواية النسفي وقال معمر فذكره،ومعمر هذا هو أبو عبيدة بن المثنى، وهذا كلامه في كتابه "مجاز القران" لكن بلفظ إلا هو وكذا نقله الطبري عن بعض أهل العربية،وكذا ذكره الفراء.ا.هـ

قلت: وبهذا يتبين أن البخاري رحمه الله قال ذلك حاكياً لا مفسراً وأما القول الثاني فقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي سعيد عن خصيف عن مجاهد مثله.

وأخرج عن سفيان الثوري نحوه، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الآية من الأدلة الصريحة على إثبات الوجه لله والوجه صفة ذاتية له جل ثناؤه فكما أنه الأول فليس قبله شئ والأخر فليس بعده شئ فكذلك صفاته أزلية أبدية كذاته وعلى هذا فالآية أفادت بقاءه جل ثناؤه بعد فناء خلقه، ولا يجوز أن يفهم من الوجه أنه هو الذات كما لا يجوز اتهام البخاري بالتأويل كيف وهو من أئمة الحديث وهم على ما عليه أهل السنة والجماعة بعد أصحاب النبي ﷺ والله أعلم.

٢ - [**وقال مجاهد ﴿الأنباء﴾ الحجج**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وكذا قال الفراء، وقال أبو عبيدة: "الأخبار " يقال عمى علي خبر القوم والأول أظهر. والآية المشار إليها **﴿فعميت عليهم الأنباء يؤمئذ فهم لا يتسألون﴾**.

٢٦٣- [باب ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء﴾

ش: تمامها ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾].

يقول تعالى ذكره: لنبيه محمد ﷺ إنك يا محمد لا تهدي من أحببت هدايته، ولكن ا لله يهدي من يشاء أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله، ولو قيل: معناه إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك ولكن ا لله يهدي من يشاء، كان مذهباً.

وقوله: ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية. ا.هـ

فإن قلت كيف التوفيق بين هذه الآية وبين آية الشورى ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ قيل: الهداية نوعان:

١ ـ مثبتة كما في آية الشورى وهذه هداية الإرشاد والدلالة.

٢ ـ منفية كما في آية الباب وهي هداية التوفيق وهذه خاصة با لله ولا يملكها أحد.

٢٩٣- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني سعيد ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول ا لله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد ا لله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل لا إله إلا ا لله كلمة أحاج لك بها عند ا لله فقال: أبو جهل وعبد ا لله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول ا لله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب أخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا ا لله، قال: قال رسول ا لله ﷺ وا لله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل ا لله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن

يستغفروا للمشركين﴾ وانزل ا لله في أبي طالب، فقال لرسول ا لله ﷺ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء﴾.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**لما حضرت أبا طالب الوفاة**» قال الكرماني المراد حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، ويدل له ما وقع من المراجعة بينه وبينهم؛ قلت: وفي القران الكريم **﴿إنما التوبة على ا لله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب ا لله عليهم وكان ا لله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾** وروى الترمذي وحسنه عن ابن عمر أن رسول ا لله ﷺ قال: "إن ا لله يقبل توبة العبد ما لم يغر غر".

الثانية: قوله «**جاءه رسول ا لله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد ا لله بن أبي أمية**» ظاهره أن يكون المسيب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم وهو من بني مخزوم أيضاً، وكان الثلاثة يومئذ كفارا فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران.

الثالثة: قوله «**أي عم**» أما "أي" فهو بالتخفيف حرف نداء، وأما "عم" فهو منادى مضاف، لكن حذفت منه ياء المتكلم وهذا جائز في صريح اللغة.

الرابعة: قوله «**كلمة أحاج لك بها عند ا لله**»: بالنصب على البدل من لا إله إلا ا لله أو الاختصاص. ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هي. وقوله (أحاج) بتشديد الجيم من المحاجة وهي مفاعله من الحجة والجيم مفتوحة على الجزم جواب الأمر، والتقدير إن تقل أحاج، ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا الإسناد في الجنائز "أشهد" بدل "أحاج" وفي رواية مجاهد عند ابن جرير في تفسير هذه الآية قل

كلمة الإخلاص "أجادل عنك بها" وعنده في تفسير الآية الثالثة عشرة بعد المائة من سورة التوبة من طريق سفيان بن حسين عن الزهري قال: "أي عم، إنك أعظم الناس علي حقا، وأحسنهم عندي يدا، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك يوم القيامة ".

الخامسة: قوله «**فلم يزل يعرضها**»: بفتح أوله وكسر الراء أي يكررها كما وقع عند ابن جرير في تفسير آية الباب من رواية الشعبي "فقال له ذلك مراراً".

السادسة: قوله «**ويعيدانه بتلك المقالة**» أي ويعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة، كأنه قال كان قارب أن يقولها فيردانه. ووقع في رواية معمر فيعودان له بتلك المقالة وهي أوضح، ووقع عند مسلم في الإيمان (باب صفة إيمان من حضره الموت "فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول له تلك المقالة"؛ قال القرطبي في "المفهم" كذا في الأصول وعند أكثر الشيوخ، والمعنى أنه عرض عليه الشهادة وكررها عليه. ووقع في بعض النسخ "ويعيدان له بتلك المقالة " والمراد قول أبي جهل ورفيقه له "ترغب عن ملة عبد المطلب".

السابعة: قوله «**آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب**»: خبر مبتدأ محذوف أي (هو على ملة) كما توضحه رواية معمر "هو على ملة عبد المطلب" وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال "أنا" فغيرها الراوي أنفة أن يحكي كلام أبي طالب استقباحا للفظ المذكور؛ وهي من التصرفات الحسنة، ووقع في رواية مجاهد قال "يا ابن أخي ملة الأشياخ أوسنة الأشياخ" ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم في الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت والترمذي في تفسير سورة القصص "قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك" قال الحافظ: وفي رواية الشعبي عند الطبراني "قال لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل".

الثامنة: قوله «**أبى أن يقول لا إله إلا ا لله**» هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، وكأنه استند في ذلك إلى عدم سماعه ذلك منه في تلك الحال، وهذا القدر كاف في نفي قول أبي طالب كلمة الإخلاص.

التاسعة: قوله «**وا لله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» **قلت:** هذا وعد من رسول ا لله ﷺ لعمه بالاستغفار له ولا ينصرف إلا إلى طلب المغفرة العامة وسوغ له ذلك إقتداءه بأبيه إبراهيم حين وعد أباه بالاستغفار له كما قص ا لله عنه بقوله ﴿**سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا**﴾.

العاشرة: قوله «**فأنزل ا لله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**»: تقدم شرحه في تفسير سورة التوبة من الباب الخامس والستين بعد المائة.

الحادية عشرة: قوله «**وأنزل ا لله في أبي طالب فقال لرسول ا لله ﷺ ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾**» هذا يشعر بأن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره والثانية نزلت فيه وحده، ويؤيد تعدد السبب ما أخرجه أحمد من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي قال "سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل ا لله: ﴿**ما كان للنبي... الآية**﴾.

من فقه الحديث:

أولاً: في الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا ا لله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين.

ثانياً: أن أبا طالب لو قال كلمة الإخلاص حين أمره النبي ﷺ لنفعته.

ثالثاً: خطر التقليد وأنه من أعظم الصوارف عن قبول الحق.

رابعاً: مضرة تعظيم الأسلاف من الكفار.

خامساً: أنه لا يقدر أحد من الخلق على هداية التوفيق والقبول.

سادساً: جواز عيادة المريض من الكفار مع دعوته إلى الإسلام.

سابعاً: تحريم الاستغفار لمن مات على الشرك.

شرح جمله من الآثار والكلمات:

١ - **[قال ابن عباس ﴿أولي القوة﴾ لا يرفعها العصبة من الرجال].**

ش: قلت لم أجده فيما وقفت عليه، وأعلم أنه قد اختلف أهل العلم في عدد العصبة فقال مجاهد: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: أربعون رجلاً، وقيل: سبعون؛ حكاها البغوي.

٢ - **[﴿لتنوء﴾ لتثقل].**

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾.**

٣ - **[﴿فارغاً﴾ إلا من ذكر موسى].**

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وأخرج ابن جرير نحوه عن مجاهد ومطر وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿واصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾.**

٤ - **[﴿الفرحين﴾ المرحين].**

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به. وأخرجه أيضاً عن قتادة، وأخرج نحوه عن مجاهد.

والآية المشار إليها **﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.**

٥ - **[﴿قصيه﴾ اتبعي أثره، وقد يكون أن يقص الكلام ﴿نحن نقص عليك﴾].**

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: ثنا أبي: ثنا أبو صالح: حدثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن إسحاق وأخرج نحوه عن قتادة والسدي.

والآية المشار إليها: **﴿وقالت لأخته قصيه، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾**.

٦ - **[﴿عن جُنُبٍ﴾ عن بُعد، عن جنابة واحد، وعن اجتناب أيضاً]**.

ش: قوله «**عن جنب**» عن بعد: أخرجه ابن جرير عن مجاهد.

وقوله «**عن جنابة واحد**» وعن اجتناب أيضاً؛ قال أبو عبيدة "تجنب ويقال ما تأتينا إلا عن جنب وعن جنابة، قال علقمة بن عبيدة:

فلا تحرمني نائلاً عن جنابة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب.

٧ - **[﴿يبطِش﴾ ويبطُش]**.

ش: قال أبو عبيدة: الطاء مكسورة ومضمومة لغتان

والآية المشار إليها **﴿فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾**.

٨ - **[﴿يأتمرون﴾ يتشاورون]**.

ش: قال أبو عبيدة: "مجازه يهمون بك ويتوامرون فيك، ويتشاورون فيك ويرتئون قال النمر بن ثولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر

والآية المشار إليها **﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾**.

٩ - **[﴿العُدوان﴾ والعَداء والتَعَدّي واحد]**.

ش: قال أبو عبيدة: وهو من العدا والتعدي والعدو واحد كله وهو الظلم.

والآية المشار إليها ﴿**قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي**﴾.

١٠ - [**﴿آنَس﴾ أبصر**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

آنس خربان فضاء فانكدر **داني جناحيه من الطور فمر**

والآية المشار إليها ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً**﴾.

١١- [**﴿الجَذوة﴾ قطعةٌ غليظة من الخشب ليس فيها لهب، والشهّاب فيه لهب**].

ش: قال أبو عبيدة: "أي قطعه غليظة من الحطب ليس فيها لهب وهي مثل الجذمه من أصل الشجرة وجماعها الجذا" ا.هـ

والشهاب فيه لهب قال الراغب: الشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة.

والآية المشار إليها ﴿**لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون**﴾.

وكلمة الشهاب هي من الآية السابعة من سورة النمل وقد ذكرها الشيخ استطراداً.

١٢ - [**﴿كأنها جانٌّ﴾ وهي في آية أخرى "كأنها حيَّةٌ تسعى" والحيات أجناس الجان والأفاعي والأساود**].

ش: قال أبو عبيدة: وفي آية أخرى ﴿**فإذا هي حية تسعى**﴾ فالحيات أجناس فيها الجان وغير ذلك والأفعى والحفاة وبجازها كأنها جان من الحيات ومجاز الأخرى فإذا هي حية من الجان"

والآية المشار إليها ﴿**فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب**﴾ الآية، وأما الآية الأخرى فهي الآية العشرون من سورة طه.

١٣ - [﴿رِدْأً﴾ مُعيناً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال قد أردأت فلاناً على عدوه وعلى ضيعته أي أكنفته وأعنته أي صرت له كنفاً.

١٤ - [قال ابن عباس: لكي ﴿يُصدِّقَني﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا عبد الله: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس بلفظ "كي يصدقني"، وأخرجه من طريق العوفيين بلفظ "كيما يصدقني".

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني﴾**.

١٥ - [**وقال غيره: ﴿سَنَشُدُّ﴾ سنُعينُك، كلما عزَّزت شيئاً فقد جعلت له عَضُداً**].

ش: قال أبو عبيدة: أي سنقويك به ونعينك به يقال إذا أعز رجل رجلاً ومنعه قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضدته على أمره أي عاونته وآزرته عليه.

والآية المشار إليها **﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾**.

١٦ - [**﴿مقبوحين﴾ مهلكين**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾**

١٧ - [**﴿وصَّلْنَا﴾ بيناه وأتممناه**].

ش: أخرج ابن جرير عن سفيان بن عيينة قال: وصلنا، بينا.

وقال أبو عبيدة: أي أتممناه قال: جعلت عمامتي صلة لحبلي.

وقال الأخطل:

فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف لا يزال يوصل

والآية المشار إليها **﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾**.

١٨ - [**﴿يُجبَى﴾ يُجلَب**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يجمع كما يجبى الماء في الجابية فيجمع للواردة، **قلت:** وهذا بمعنى ما قاله المصنف.

والآية المشار إليها **﴿أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً﴾**.

١٩ - [**﴿بطِرت﴾ أشِرت**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وطغت وبغت.

والآية المشار إليها **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾**.

٢٠ - [**﴿في أمها رسولاً﴾ أم القرى مكة وما حولها**].

ش: قال أبو عبيدة: أم القرى مكة وأم الأرضين في قول العرب، وفي آية أخرى **﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾**.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال أم القرى مكة.

والآية المشار إليها **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا﴾**.

٢١ - [**﴿تكن﴾ تخفي، أكننت الشيء أخفيته، وكننته أخفيته وأظهرته**].

ش: قوله تخفي: أكننت الشيء أخفيته، قال أبو عبيدة: أي تخفي ويقال أكننت ذلك في صدري وكننت الشيء بغير ألف: صنته.

وقوله «**وكننته أخفيته وأظهرته**» من الثلاثي، ومعناه خفيته بدون الهمزة في أوله أي أظهرته، وهو من الأضداد، ووقع في الأصول أخفيته في الموقعين بالهمزة في أوله، ولأبي ذر بحذف الألف في الثاني، وكذا قال ابن فارس قاله العيني (١٥/٣٦٦).

والآية المشار إليها **﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾**.

٢٢ - [﴿ويكأن الله﴾ مثل: ﴿ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع عليه، ويضيق عليه].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه: ألم تر أن الله يبسط الرزق، قال الشاعر:

وي كأن من يكن له نشب يحب ... ومن يفتقر يعش عيش ضر

والآية المشار إليها **﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾**.

٢٦٤- [باب ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾].

ش: تمامها **﴿لرادك إلى معاد، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾**.

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد، وهو يوم القيامة، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾** أي افترض عليك أداءه إلى الناس **﴿لرادك إلى معاد﴾** أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾** وقال **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾** **﴿وجئ بالنبيين والشهداء﴾**.ا.هـ من ابن كثير.

وقوله **﴿قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ربي اعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجا و من هو في جور عن قصد السبيل منا و منكم وقوله **﴿مبين﴾** يعني أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى.اهـ من ابن جرير.

٢٩٤- حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا يعلى[1]: حدثنا سفيان العصفري[2] عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

ش: فيه تفسير المعاد الذي وعد الله رسوله برده إليه في الآية بأنه مكة وبه قال مجاهد بن جبر والحجاج وهو **أحد** ثلاثة أقوال في الآية أخرجها ابن جرير:

ثانيها: إلى الجنة وهو قول أبي سعيد الخدري وأبي مالك وأبي صالح وعكرمة والحسن و الزهري و قتادة ومجاهد وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

---

(١) هو أبو يوسف يعلى بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الطنافسي، ثقة إلا في حديثه عن الثوري ففيه لين من كبار التاسعة، مات سنة بضع ومائتين وله تسعون سنه. ع.

(٢) هو أبو سعيد سفيان بن دينار التمار، الكوفي، ثقة من السادسة. خ، س.

ثالثها: إلى الموت وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس في الرواية الثالثة عنه.

قال مقيده: والراجح عندنا ما قدمناه في تفسير الآية وهو ما مشى عليه ابن كثير في تفسيره وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة وذلك أنه لا يتبادر من ظاهر الآية إلى الذهن غيره، وقول من قال ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ إلى الجنة لا ينافي ذلك.

آخر تفسير سورة القصص و لله الحمد والمنة.

سورة العنكبوت

٢٦٥ – سورة العنكبوت

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**مثل الذين اتخذوا من دون ا لله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾.

وقد اختلف في كونها مكية أو مدنيه، أو بعضها مكيا وبعضها مدنيا على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها مكية كلها أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه عن عبد ا لله بن الزبير، وبه قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد.

الثاني: أنها مدنيه كلها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة.

الثالث: أنها مكية إلا عشر آيات من أولها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة، وهو قول يحيى بن سلام.

وحكي عن علي بن أبي طالب أنها نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول رابع.

وأخرج الدار قطني في السنن عن عائشة أن رسول ا للهﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجدات، يقرأ في الركعة الأولى العنكبوت أو الروم و في الثانية يس.

وآياتها تسع وستون آيه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ضَلَلَة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ في الضلالة.

والآية المشار إليها **﴿وزَيَّن هم الشيطان أعماهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾**

٢ - [وقال غيره ﴿الحيوان﴾ والحي واحد].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الحيوان والحياة واحد ومنه قولهم نهر الحيوان أي نهر الحياة ويقال حييت حياً على تقدير عييت عياً فهو مصدر. ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.**

٣ - [﴿وليعلمن الله﴾ علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله كقوله ﴿لِيَمِيزَ الله الخبيثَ من الطيب﴾].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وليميزن الله هؤلاء من هؤلاء. ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾.**

٤ - [﴿أثقالاً مع أثقالهم﴾ أوزاراً مع أوزارهم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازها وليحملن أوزارهم وخطاياهم وأوزاراً وخطايا مع أوزارهم وخطاياهم». اهـ

والآية المشار إليها **﴿وليحملن أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم﴾.**

آخر سورة العنكبوت والحمد لله.

سورة الروم

٢٦٦ - سورة ألم، غلبت الروم

بسم الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة الروم بمكة، وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله.

وأخرج عبدالرزاق وأحمد وحسنه السيوطي عن رجل من الصحابة أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم، قال القرطبي: كلها مكية بلا خلاف.

وعدد آياتها ستون آيه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال مجاهد: ﴿يحبَرون﴾ يُنعَّمون**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فذكره.

وأخرجه عن قتادة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية:

ثانيها: يكرمون وهو قول ابن عباس.

وثالثها: يلذذون بالسماع والغناء وبه قال يحيى بن أبي كثير، وهذه الأقوال متقاربة.

والآية المشار إليها: **﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾**.

٢ - [**﴿فلا يربوا عند الله﴾ من أعطى عطية يبتغي أفضل منه فلا أجر له فيها**].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه " يعطي ماله يبتغي أفضل منه "

وأخرجه أيضا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وطاووس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿وما ءآتيتم من رباً ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾**.

٣ - [**﴿يمهدون﴾ يسوّون المضاجع**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وعلى هذا التفسير مشى ابن جرير في معنى الآية.

والآية المشار عليها **﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾**.

٤ - [﴿الودق﴾ المطر].

ش: قال الفريابي ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره قاله الحافظ.

قلت وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال القطر؛ والمعنى واحد.

والآية المشار إليها **﴿ا لله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾**.

٥ - [قال ابن عباس: ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ في الآلهة وفيه تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

ثانيهما: بمعنى تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً وبه قال أبو مجلز، ورجح ابن جرير هذا القول لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام.

والآية المشار إليها **﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم﴾**

٦ - [﴿يَصَّدَّعون﴾ يتفرقون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من ا لله يومئذ يصدعون﴾**.

٧ - [﴿فاصدع﴾]

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ أي أفرق و أمضه قال أبو ذؤيب:

وكأنهن ربابة وكأنه يسر … يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق على القداح أي بالقداح. اهـ

قلت: وبهذا التفسير ظهرت مناسبته لما قبله.

والآية المشار إليها هي الرابعة والتسعون من سورة الحجر.

٨ - [**وقال غيره: ﴿ضَعْفٍ﴾ وضُعْفٍ لغتان**].

ش: قرأه أبو بكر وحمزة بفتح الضاد في ثلاثة مواضع في هذه السورة، وقد ذكر عن حفص أنه رواه عن عاصم واختار الضم لرواية قويت عنده، وهو ما رواه ابن عمر قال: فرد علي النبيﷺ من ضَعف يعني بالفتح، قال فرد علي النبيﷺ من ضُعف يعني بالضم في الثلاثة، وروى عنه أنه قال ما خالفت عاصما في شئ مما قرأت به عليه إلا في ضم همزة الثلاث كلمات وقرأ الباقون فيهن بالضم، وهما لغتان كالفَقر والفُقر. ا.هـ قاله مكي.

والآية المشار إليها ﴿**ا لله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبه يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**﴾.

٩ - [**وقال مجاهد: ﴿السُّوآى﴾ الإساءة جزاء المسيئين**].

ش: وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به ذكره في التغليق (٤/٢٧٩) وقال ابن جرير: السوآى يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم، أما في الدنيا فالبوار والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون. اهـ

وأخرج المعنى عن ابن عباس وقتادة. والآية المشار إليها: ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات ا لله وكانوا بها يستهزؤون**﴾

٢٩٥- حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان حدثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجئ دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم فإن الله قال لنبيهﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ وإن قريشاً أبطئوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبيﷺ فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله، فقرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله ـ عائدون﴾ أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم بدر ولزاماً يوم بدر ﴿ألم غلبت الروم ـ إلى ـ سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

ش: قلت: الشاهد منه **﴿ألم غلبت الروم ـ إلى ـ سيغلبون﴾** والروم قد مضى، وسيأتي في تفسير سورة ص ضمن الباب الرابع والتسعين بعد المائتين.

٢٦٧ - [باب ﴿لا تبديل لخلق ا لله﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرت ا لله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا لله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين حنيفاً: يقول مستقيماً لدينه وطاعته، فطرة ا لله التي فطر الناس عليها، يقول صبغة ا لله التي خلق الناس عليها. ا.هـ من ابن جرير.

وقال ابن القيم: «فبين سبحانه أن إقامة الوجه وهو إخلاص القصد، وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلاً عليه معرضاً عما سواه؛ هو فطرته التي فطر الناس عليها عباده، فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ولا اختاروا سواه، ولكن غيرت الفطر وأفسدت». اهـ من بدائع التفسير.

وقوله ﴿**لا تبديل لخلق ا لله**﴾ فيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: لا تغيير لدين ا لله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وإبراهيم النخعي.

وثانيهما: لا تغيير لخلق ا لله وبه قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد في الرواية الثانية عنهما، أخرجهما ابن جرير.

وقال ابن كثير: «قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق ا لله فتغيروا الناس عن فطرهم التي فطرهم ا لله عليها فيكون خبراً بمعنى الطلب كقوله تعالى: ﴿**ومن دخله كان آمناً**﴾ وهذا معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة».

وقوله ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ أي ذلك الدين المأمور بإقامة الوجه له هو الدين القيم، أو لزوم الفطرة هو الدين القيم.

﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به.

من فقه الآية

أولاً: وجوب اتباع دين الله وشرعه.

ثانياً: وجوب الإخلاص في عبادة الله.

ثالثاً: إ الإسلام هو أصل ما فطر الناس عليه كما يشهد له حديث الباب الآتي.

رابعاً: إن أكثر الناس في ضلال وجهل بالدين.

خامساً: ليس العبرة بمجرد الكثرة بل العبرة بإصابة الحق وموافقته.

ش: شرح جمله من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿لخلق الله﴾: لدين الله**].

ش: هو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد وإبراهيم النخعي.

٢ - [**﴿خلق الأولين﴾: دين الأولين**].

ش: **قلت**: كذا فسرها ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها هي السابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الشعراء، وقد ذكرها هنا استشهاداً على تفسير الخلق بالدين.

٣ - [**والفطرة : الإسلام**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة.

٢٩٦- حدثنا عبدان: أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**ما من مولود**» في الجنائز إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه من رواية ابن أبي ذئب، (كل مولود) أي من بني آدم، وصرح به جعفر بن ربيعه عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وكذا رواه خالد الواسطي عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج ذكرها ابن عبد البر، قال الحافظ: واستشكل هذا التركيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقع له التهويد وغيره مما ذكر، والفرض أن بعضهم يستمر مسلما ولا يقع له شئ، والجواب أن المراد من التركيب أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه، بل إنما حصل بسبب خارجي، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق، وهذا يقوي المذهب الصحيح في تأويل الفطرة.

الثانية: قوله (يولد على الفطرة) ظاهرة تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين ومثله ما في باب إذا اسلم الصبي فمات من رواية يونس أيضاً ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ "ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة يعبّر عنه لسانه " وفي رواية له من هذا الوجه " ما من مولود إلا وهو على الملة " وحكى ابن عبد البر عن قوم أنه لا يقتضي العموم، وإنما المراد أن كل من ولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الإسلام نقلاه إلى دينهما،فتقدير الخبر على هذا: كل مولود على الفطرة وأبواه يهوديان مثلاً فإنهما يهودانه ثم يصير عند بلوغه إلى ما يحكم به عليه. ويكفي في الرد عليهم رواية أبي صالح المتقدمة. وأصرح منها رواية جعفر بن ربيعه بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام وهو قول مجاهد وعكرمة، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿**فطرة ا لله التي فطر الناس عليها**﴾ الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في

آخر حديث الباب: اقرؤا إن شئتم ﴿**فطرة ا لله التي فطر الناس عليها**﴾ وبحديث عياض بن حمار، قلت هذا الحديث عند مسلم وغيره عن النبيﷺ فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" الحديث قال الحافظ: وقد رواه غيره فزاد فيه "حنفاء مسلمين" ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى ﴿**فطرة ا لله**﴾ لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام، ونقله أبو يعلى بن الفراء عن إحدى الروايتين عن أحمد، وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة، وقد سبق في "باب إسلام الصبي" في آخر حديث الباب من طريق يونس ثم يقول ﴿**فطرة ا لله التي فطر الناس عليها - إلى قوله - القيم**﴾ وظاهره أنه من الحديث المرفوع، وليس كذلك بل هو من كلام أبي هريرة أدرج في الخبر، بينه مسلم من طريق الزبيدي عن الزهري ولفظه " ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم" قال الطيبي: ذكر هذه الآية عقب هذا الحديث يقوي ما أوله حماد بن سلمة من أوجه:

أحدها: أن التعريف في قوله «على الفطرة» إشارة إلى معهود وهو قوله تعالى ﴿**فطرة ا لله**﴾ ومعنى المأمور في قوله ﴿**فأقم وجهك**﴾ أي اثبت على العهد القديم.

ثانيها: ورود الرواية بلفظ «**الملة**» بدل الفطرة و الدين. في قوله ﴿**للدين حنيفاً**﴾ هو عين الملة، قال تعالى ﴿**دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ ويؤيده حديث عياض المتقدم.

ثالثها: التشبيه بالمحسوس المعاين ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس، قال: والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد انتهى، وإلى هذا مال القرطبي في "**المفهم**" فقال: المعنى أن ا لله خلق قلوب بني آدم

مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال "كما تنتج البهيمة" يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنه تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح. وا لله أعلم.

وقال ابن القيم: «ليس المراد بقوله «**يولد على الفطرة**» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن ا لله يقول ﴿**وا لله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من إرتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه في تأويل الرؤيا». وا لله أعلم.

وفي المسألة أقوال أخر ذكرها ابن عبد البر وغيره:

منها: قول ابن المبارك أن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة، فمن علم ا لله أنه يصير مسلماً وُلِد على الإسلام، ومن علم ا لله أنه يصير كافراً ولد على الكفر، فكأنه أول الفطرة بالعلم؛ وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن لقوله "فأبواه يهودانه الخ" معنى لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فينافي في التمثيل بحال البهيمة.

ومنها أن المراد أن ا لله خلق فيهم المعرفة والإنكار، فلما أخذ الميثاق من الذرية قالوا جميعاً ﴿**بلى**﴾ أما أهل السعادة فقالوها طوعاً، وأما أهل الشقاوة فقالوها كرها، وقال محمد بن نصر: سمعت إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا

المعنى ويرجحه، وتعقب بأنه يحتاج إلى نقل صحيح، فإنه لا يعرف هـذا التفصيل عند أخذ الميثاق إلا عن السدي و لم يسنده، وكأنه أخذه من الإسرائيليات، حكاه ابن القيم عن شيخه.

ومنها أن المراد بالفطرة الخلقة أي يولد سالماً لا يعرف كفراً ولا إيماناً، ثم يعتقد إذا بلغ التكليف، ورجحه ابن عبد البر وقال: إنه يطابق التمثيل بالبهيمة ولا يخالف حديث عياض لأن المراد بقوله ﴿حنيفاً﴾ أي على استقامة، وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يقتصر في أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الإسلام، و لم يكن لاستشهاد أبي هريرة بالآية معنى.

ومنها قول بعضهم: أن اللام في الفطرة للعهد أي فطرة أبويه، وهو متعقب بما ذكر في الذي قبله، ويؤيد المذهب الصحيح أن قوله "فأبواه يهودانه الخ" ليس فيه لوجود الفطرة شرط بل ذكر ما يمنع موجبها كحصول اليهودية مثلاً متوقف على أشياء خارجة عن الفطرة، بخلاف الإسلام، وقال ابن القيم سبب اختلاف العلماء في معنى الفطره في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجّون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه فحاول جماعةٌ من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطره على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية، لأن قوله "فأبواه يهودانه... الخ" محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".ا.هـ من الفتح.

الثالثة: قوله «**فأبواه**» أي المولود، قال الطيبي: الفاء إما للتعقيب أو السببية أو جزاء شرط مقدر، أي إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إياه أو بترغيبهما فيه، وكونه تبعاً لهما في الدين يقتضي أن يكون حكمه

حكمهما، وخص الأبوين بالذكر للغالب، فلا حجة فيه لمن حكم بإسلام الطفل الذي يموت أبواه كافرين.

الرابعة: قوله «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء**» وفي رواية ابن أبي ذئب "كمثل البهيمة تنتج البهيمة" أي تلدها فالبهيمة الثانية بالنصب على المفعولية، قال الطيبي: قوله "كما" حال من الضمير المنصوب في "يهوّدانه" أي يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة تشبيها بحال البهيمة التي جدعت بعد أن خلقت سليمة، أو هو صفة مصدر محذوف أي يغيرانه تغييراً مثل تغييرهم البهيمة السليمة.

وقوله «**تنتج**» بفتح المثناة وأنتج الرجل ناقته ينتجها إنتاجاً.

وقوله «**جمعاء**» أي لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها.

الخامسة: قوله «**هل ترى فيها جدعاء**»؟ قال الطيبي: هو في موضع الحال أي سليمة مقولا في حقها ذلك، وفيه نوع التأكيد أي إن كل من نظر إليها قال ذلك لظهور سلامتها، والجدعاء المقطوعة الأذن، ففيه إيماء إلى أن تصميمهم على الكفر كان بسبب صممهم عن الحق، وقوله "هل تحسون فيها من جدعاء" هو من الإحساس والمراد به العلم بالشيء يريد أنها تولد لا جدع فيه وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك.

السادسة: قوله «**ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل...﴾** الخ» الآية، قلت وفي رواية، شعيب ويونس في الجنائز عن الزهري عن أبي سلمة "ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه **﴿فطرة الله التي...﴾** الخ الآية، وكذا عند مسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة من رواية الزبيدي عن الزهري عن ابن المسيب.

من فقه الحديث

أولاً: في قوله «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» شاهد لقول مجاهد وعكرمة وغيرهم أن فطرة الله هي الإسلام.

ثانياً: أن الأصل في الإنسان هو الإسلام وأن الكفر طارئ عليه.

ثالثاً: خطورة البيئة الفاسدة على الناشئ.

تنبيه

وإذا سأل سائل عن حكم أولاد المشركين في الآخرة فجوابه أن أهل العلم قد اختلفوا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في **"الاعتقاد"** عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبدا لبر: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شئ منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفار في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، واحتجوا بقوله تعالى ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**﴾ وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ وأما حديث "هم من آبائهم أو منهم" فذاك ورد في حكم الحربي، وروى أحمد من حديث عائشة " سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين، قال: في الجنة، وعن أولاد المشركين، قال: في النار فقلت: يا رسول الله لم يدركوا الأعمال، قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار" وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيأت يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى، وللطبراني والبزار من حديث سمرة مرفوعاً "أولاد المشركين خدم أهل الجنة" وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون تراباً، روي عن ثمامة بن أشرس.

سادسها: هم في النار حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيميه بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى عذب، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في "كتاب الاعتقاد" أنه المذهب الصحيح، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ وفي الصحيحين "أن الناس يؤمرون بالسجود، فيصير ظهر المنافق طبقاً، فلا يستطيع أن يسجد".

ثامنها: أنهم في الجنة، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالى ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى، ولحديث سمرة المذكور في هذا الباب، قلت يعني باب ما قيل في أولاد المشركين ولعل الشاهد منه قوله "والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس" ولحديث عمة خنساء المتقدم، ولحديث عائشة الآتي قريباً.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك. وفي الفرق بينهما دقة. انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة الروم و لله الحمد والمنة.

سورة لقمان

سورة لقمان

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾** وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي قوله **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾** إلى تمام الآيات الثلاث قاله ابن عباس فيما أخرجه النحاس عنه، وأخرج ابن الضريس وابن مردوية و البيهقي في الدلائل عنه أنها مكية ولم يستثن، وحكى القرطبي عن قتادة أنها مكية إلا آيتين وأخرج النسائي وابن ماجة عن البراء قال: كنا نصلي خلف النبيﷺ الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات، وعدد آياتها أربع وثلاثون آية.

٢٦٨ - [باب **﴿لا تشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم﴾**].

قلت الآية: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم﴾**.

يقول تعالى ذكره، لنبيه محمدﷺ: واذكر يا محمد **﴿إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك با لله﴾**، ثم قال محذراً له **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** أي هو أعظم الظلم. ا.هـ من ابن كثير.

«ووجه كونه ظلماً عظيماً أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينفع بمثقال ذرة من النفع، بالذي ما بالخلق نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!» اهـ من تفسير ابن سعدي.

من فقه الآية

أولاً: فضيلة لقمان.

ثانياً: وجوب تربية الناشئة على عبادة ا لله الخالصة.

ثالثاً: تسمية الشرك با لله ظلماً عظيماً.

٢٩٧- حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد ا لله رضي ا لله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول ا لله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول ا للهﷺ: (إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**لما نزلت هذه الآية**» وفي الإيمان باب ظلم دون ظلم من رواية شعبة (لما نزلت ﴿**الذين آمنوا**﴾) قلت وعليها بوب المصنف في تفسير سورة الأنعام وتقدم شرحها هناك.

الثانية: قوله: «شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ » في الإيمان قال أصحاب رسول الله ﷺ دون لفظ شق.

الثالثة: قوله: «**أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟**» قلت لقد شق وقع آية الأنعام على قلوب القوم وفهموا من عمومها نفي الأمن عمن خالط إيمانه ظلم صغيراً كان أو كبيراً وهذا فهم صحيح إذ الأصل في العموم أنه كلي الدلالة لولا أن نبههم النبي ﷺ على مراد الله منها كما سيأتي.

الرابعة: قوله: «**إنه ليس بذاك**» في رواية وكيع (فقال ليس كما تظنون) وفي رواية عيسى بن يونس إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان) قلت وهذا ظاهر في أن نزول آية لقمان هذه قبل آية الأنعام ولذلك نبههم عليها، وفيه دليل آخر وهو أن عموم آية الأنعام ليس على إطلاقه بل هو عام يراد به الخصوص وذلك الخصوص هو الشرك الأكبر.

الخامسة: قوله: «**ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**».

إن قيل لا يلزم من قوله ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ أن غير الشرك لا يكون ظلماً فالجواب أن التنوين في قوله لظلم للتعظيم، وقد بين ذلك استدلال الشارع بالآية الثانية فالتقدير لم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم أي بشرك، إذ لا ظلم أعظم منه، وقد ورد ذلك صريحاً في قصة إبراهيم الخليل من طريق حفص بن غياث عن الأعمش ولفظه (قلنا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ قال ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان) فذكر الآية.

٢٦٩ - [باب ﴿إن ا لله عنده علم الساعة﴾

ش: تمامها **﴿وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن ا لله عليم خبير﴾**.

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر ا لله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى له بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا يجليها لوقتها إلا هو وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا ا لله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، **﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾** في بلدها أو غيره من أي بلاد ا لله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...الآية﴾**.

وقوله **﴿إن ا لله عليم خبير﴾** يقول إن الذي يعلم ذلك كله، هو ا لله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شئ لا يخفى عليه شئ، خبير بما هو كائن وما قد كان.

من فقه الآية:

أولاً: اختصاص الرب جل وعلا بعلم هذه الأشياء.

ثانياً: هذه الآية بيان لما أجمل في آية الأنعام **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾**.

ثالثاً: سعة علم ا لله سبحانه وتعالى وأنه لا يعزب عنه شئ.

٢٩٨- حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي ا لله عنه: أن رسول ا للهﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول ا لله ما الإيمان؟ قال: (الإيمان: أن تؤمن با لله وملائكته ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر). قال: يا رسول ا لله ما الإسلام؟ قال: (الإسلام: أن تعبد ا لله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة،

وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾). ثم انصرف الرجل، فقال: (ردوا علي). فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: (هذا جبريل، جاء ليعلم الناس دينهم).

٢٩٩- حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب قال: حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر: أن أباه حدثه: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبيﷺ: (مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾).

ش: فيهما خمس وعشرون مسألة:

الأولى: قوله: «**أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس**» في الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس) أي ظاهراً لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره، والبروز الظهور، وقد وقع في رواية أبي فروه بيان ذلك، فإن أوله: كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجئ الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه. ا.هـ

واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعاً إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه.

الثانية: قوله: «**إذ أتاه رجل يمشي**» في الإيمان (أتاه رجل) أي ملك في صورة رجل، ولأبي فروه: (فإنا لجلوس عنده إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً

وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسها دنس) ولمسلم في الإيمان باب الإسلام والإيمان والإحسان من طريق كهمس في حديث عمر: بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وفي رواية ابن حبان سواد اللحية، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وفي رواية لسليمان التيمي عند ابن مندة في كتاب الإيمان (١/ ١٤٦): ليس عليه سحناء السفر، وليس من البلد، فتخطى حتى برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة، ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ، فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله على فخذيه يعود على النبي ﷺ، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية ورجحه الطيبي بحثاً لأنه نسق الكلام، وهذا وإن كان ظاهراً من السياق لكن وضعه يديه على فخذ النبي ﷺ صنيع منبه للإصغاء إليه، وفيه إشارة لما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفاة الأعراب، ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ كما تقدم، ولهذا استغرب الصحابة صنيعه، ولأنه ليس من أهل البلد وجاء ماشياً ليس عليه أثر سفر، فإن قيل: كيف عرف عمر أنه لم يعرفه أحد منهم؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون استند في ذلك إلى ظنه، أو إلى صريح قول الحاضرين؛ والثاني أولى كما في رواية عثمان بن غياث فإن فيها: فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا: ما نعرف هذا. وسبب ورود هذا الحديث كما عند مسلم في رواية عمارة ابن القعقاع: قال رسول ﷺ: سلوني، فهابوا أن يسألوه، قال فجاء رجل.

الثالثة: قوله «**فقال يا رسول الله**» فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو ليبين أن ذلك غير واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي، وهذا الثالث هو الصحيح كما ثبت

في رواية أبي فروه، ففيها بعد قوله كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم من طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام؛ قال: أدنو يا محمد؟ قال: أدن؛ فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له أدن، ونحوه في رواية عطاء عن ابن عمر، لكن قال: السلام عليك يا رسول الله، وفي رواية مطر الوراق فقال: يا رسول الله أدنو منك؟ قال أدن، ولم يذكر السلام؛ فاختلفت الروايات هل قال له يا محمد أو يا رسول الله، هل سلم أو لا، فأما السلام فمن ذكره مقدم على من سكت عنه، وقال القرطبي بناء على أنه لم يسلم وقال يا محمد: إنه أراد بذلك التعمية فصنع صنيع الأعراب، ويجمع بين الروايتين بأنه بدأ أولا بندائه باسمه لهذا المعنى، ثم خاطبه بقوله يا رسول الله، ووقع عند القرطبي أنه قال: السلام عليكم يا محمد، فاستنبط منه أنه يستحب للداخل أن يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه» ا.هـ

قال الحافظ والذي وقفت عليه من الروايات إنما فيه الإفراد وهو قوله: السلام عليك يا محمد.

الرابعة: قوله «**ما الإيمان؟**» قيل قدم السؤال عن الإيمان لأنه اصل، وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما، وفي رواية عمارة بن القعقاع: بدأ بالإسلام لأنه بالأمر الظاهر، وثنى بالإيمان لأنه بالأمر الباطن، ورجح هذا الطيبي لما فيه من الترقي، ولا شك أن القصة واحدة اختلف الرواة في تأديتها، وليس في السياق ترتيب، ويدل عليه رواية مطر الوراق فإنه بدأ بالإسلام وثنى بالإحسان وثلث بالإيمان، فالحق أن الواقع أمر واحد، والتقديم والتأخير وقع من الرواة والله أعلم. قاله الحافظ، قلت وفيه دليل على صحة الرواية بالمعنى.

الخامسة: قوله «**قال: الإيمان أن تؤمن بالله...الخ**» دل الجواب أنه علم أنه سأله عن متعلقاته لا عن معنى لفظه، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق،

قلت وهذا في اللغة أما في الشرع فهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وقال الطيبي: هذا يوهم التكرار، وليس كذلك، فإن قوله أن تؤمن با لله مضمن معنى أن تعترف به، ولهذا عدّاه بالباء، أي أن يصدق معترفاً بكذا، قال الحافظ: والتصديق أيضاً يعدى بالباء فلا يحتاج إلى دعوى التضمين، وقال الكرماني: ليس هو تعريفاً للشيء بنفسه، بل المراد من المحدود الإيمان الشرعي، ومن الحد الإيمان اللغوي، قال الحافظ: والذي يظهر أنه إنما أعاد لفظ الإيمان للاعتناء بشأنه تفخيماً لأمره، وفيه قوله تعالى ﴿**قل يحيها الذي أنشأها أول مرة**﴾ في جواب ﴿**من يحيي العظام وهي رميم**﴾، يعني أن قوله أن تؤمن إيماناً يحصل منه الإيمان فكأنه قال: الإيمان الشرعي تصديق مخصوص، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق، والإيمان با لله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص، كما يتضمن الإيمان بربوبيته وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه وبألوهيته وهي عبادته وحده دون من سواه.

السادسة: قوله «**وملائكته**» الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم ا لله تعالى ﴿**عباد مكرمون**﴾ وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظراً للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول، ولأن الملائكة موجودون قبل الرسل في الخلق، واعلم أن الملائكة مخلوقون من نور كما في صحيح مسلم (وخلقت الملائكة من نور)

السابعة: قوله «**ورسله**» الرسل جمع رسول وهو في اللغة من بعث برسالة وشرعاً هو من أوحى ا لله إليه بشرع وأمره بتبليغه، ووقع في حديث أنس وابن عباس (والملائكة والكتاب والنبيين)، وكل من السياقين في القرآن و في سورة البقرة خاصة، والإيمان بالرسل التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن ا لله، ودل الإجمال في الملائكة والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين، وفي الكتاب العزيز

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ فالواجب الإيمان بجميع رسل الله من سمى الله منهم مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ومن لم يسم، قال تعالى **﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾**.

الثامنة: قوله «**وبلقائه**» وفي الإيمان وقعت بين الكتب والرسل، وكذا لمسلم من الطريقين، ولم تقع في بقية الروايات، وقد قيل إنها مكررة لأنها داخلة في الإيمان بالبعث، والحق أنها غير مكررة، فقيل المراد بالبعث القيام من القبور، والمراد باللقاء ما بعد ذلك، وقيل اللقاء يحصل بالانتقال من دار الدنيا، والبعث بعد ذلك، ويدل على هذا رواية مطر الوراق فإن فيها (وبالموت وبالبعث بعد الموت)، وكذا في حديث أنس وابن عباس، وقيل المراد باللقاء رؤية الله، ذكره الخطابي، وتعقبه النووي بأن أحداً لا يقطع لنفسه برؤية الله، فإنها مختصة بمن مات مؤمنا، والمرء لا يدري بم يختم له، فكيف يكون ذلك من شروط الإيمان؟ وأجيب بأن المراد الإيمان بأن ذلك حق في نفس الأمر، وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إذ جعلت من قواعد الإيمان.

التاسعة: قوله «**وتؤمن بالبعث الآخر**» ولمسلم في حديث عمر (واليوم الآخر) فأما البعث الآخر فقيل ذكر الآخر تأكيداً كقولهم أمس الذاهب، وقيل لأن البعث وقع مرتين:

الأولى: الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا.

والثانية: البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار والحوض والصراط والقنطرة التي يوقف عليها أهل الجنة لتنقيتهم وتهذيبهم.

فوائد :

الفائدة الأولى:

في حديث عمر عند مسلم في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من كتاب الإيمان برواية كهمس (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وفيه برواية عمارة بن القعقاع (وتؤمن بالقدر كله) وفي حديث ابن عباس وهو في رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة (وحلوه ومره من ا لله).

الفائدة الثانية:

قال مقيده واعلم أن معنى القدر كما دل عليه الكتاب والسنة هو تقدير كل شئ تقديراً مسبقاً على خلقه وحدوثه أي تحديده ماهية وخاصية وصفة كماً وكيفاً زمانا ومكاناً.

فمن دليل تقدير الخلق قوله ﴿**وخلق كل شئ فقدره تقديراً**﴾.

ومن دليل تقدير الماهية والخاصية للمخلوق قوله ﴿**إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾.

ومن دليل تقديره سبحانه للمخلوقات زماناً وأجلاً قوله ﴿**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾.

وأما مراتب القدر فأربع:

الأولى: العلم وهو إن ا لله قد علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الثانية: الكتابة وهي أن ا لله كتب مقادير الأشياء إلى قيام الساعة وفق علمه في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل شئ خاضع لسلطانه مقهور به.

الرابعة: الخلق فإنه سبحانه وتعالى خالق كل شئ.

هذا هو القدر العام أو الإجمالي وينقسم من حيث العلم والكتابة تفصيلاً إلى ثلاث مراتب:

الأولى: التقدير العمري كما في حديث الصادق المصدوق، قال: (**ثم يرسل ا لله إليه الملك فينفخ في الروح، ويؤمرَ بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**).

الثانية: التقدير الحولي وهو تقدير ما يحصل في السنة من أرزاق وآجال وغير ذلك من ليلة القدر في رمضان إلى مثلها كما قال تعالى ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين**﴾ فالشاهد في قوله يفرق، قال أهل العلم: معناه يفصل.

الثالثة: التقدير اليومي وهو تقدير ما يكون في كل يوم بحسبه قال تعالى ﴿**كل يوم هو في شأن...** ﴾ قال أهل العلم: من إعزاز وإذلال وإحياء وإماتة وغير ذلك.

الفائدة الثالثة:

اعلم أن أركان الإيمان الستة قد جاءت في القرآن فقد ذكرت الخمسة الأولى منها في آية من سورة البقرة وهي ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين**﴾، وذكر السادس في قوله تعالى من سورة القمر ﴿**إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾.

العاشرة: قوله: «**أن تعبد ا لله ولا تشرك به شيئاً**» قال النووي: «يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة ا لله فيكون عطف الصلاة وغيرها عليها لإدخالها في الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقاً، فيدخل فيه جميع الوظائف، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص على العام وتعقبه الحافظ فقال: أما الاحتمال الأول فبعيد، لأن المعرفة من متعلقات الإيمان،

وأما الإسلام فهو أعمال قوليه وبدنية، وقد عبر في حديث عمر هنا بقوله (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) فدل على أن المراد بالعبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين، وبهذا تبين دفع الاحتمال الثاني، ولما عبر الراوي بالعبادة إحتاج أن يوضحها بقوله"(ولا تشرك به شيئاً) و لم يحتج إليها في رواية عمر لإستلزامها ذلك» ا.هـ من الفتح (١/١١٩)، قلت وفي هذا دليل على أنه لا يكفي العبادة بل لابد من إخلاصها لله وحده.

وقد تبين ذلك بقول النبي ﷺ في آخر الحديث (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم) فإن قيل: لم لم يذكر الحج؟ أجاب بعضهم باحتمال أنه لم يكن فرض، وهو مرجوح بما رواه ابن مندة في كتاب الإيمان بإسناده الذي على شرط مسلم من طريق سليمان التيمي في حديث عمر أوله (أن رجلا في آخر عمر النبيﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ) فذكر الحديث بطوله، وآخر عمره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع فإنها آخر سفراته، ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات، وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين ـ التي بلّغها متفرقة ـ في مجلس واحد، لتنضبط، ويستنبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجهله السائل ليعلمه السامع، وأما الحج فقد ذكر لكن بعض الرواة إما ذهل عنه وإما نسيه، والدليل على ذلك اختلافهم في ذكر بعض الأعمال دون بعض، ففي رواية كهمس (وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) وكذا في حديث أنس، وفي رواية عطاء الخراساني لم يذكر الصوم، وفي حديث أبي عامر ذكر الصلاة والزكاة فقط، ولم يذكر في حديث ابن عباس مزيداً على الشهادتين، وذكر سليمان التيمي في روايته الجميع، وزاد بعد قوله وتحج (وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتمم الوضوء) وقال مطر الوراق في روايته (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة) قال فذكر عرى الإسلام، فتبين أن بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره.

الحادية عشرة: قوله «**وتقيم الصلاة**» زاد مسلم في الإيمان (المكتوبة) أي المفروضة، وإنما عبر بالمكتوبة للتفنن في العبارة، فإنه عبر في الزكاة بالمفروضة، ولإتباع قوله تعالى ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً**﴾ واعلم بأن إقامة الصلاة يكون بالإتيان بها تامة بشروطها وأركانها وواجباتها وكامل هيئاتها مع المحافظة عليها في أوقاتها.

الثانية عشرة: قوله (وتؤتى الزكاة المفروضة) في الإيمان (وتؤدي الزكاة المفروضة) والزكاة **لغة:** النماء والزيادة، يقال زكى يزكوا إذا نمى وزاد.

وفي **الشرع:** واجب مالي مخصوص في مال مخصوص.

الثالثة عشرة: قوله «وتصوم رمضان» استدل به على قول رمضان من غير إضافة شهر إليه، وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرضي وسعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان) فمردود من وجهين:

الأول: في اسناده أبو معشر وهو ضعيف.

الثاني: معارضة هذا النص بالسنة الصحيحة عن النبي ﷺ التي جاء فيها تسمية شهر الصوم المعروف برمضان ومنها حديث الباب، فإن قال قائل كيف تصنع برواية هذا الخبر عند البيهقي في السنن الكبرى مرفوعاً عن النبي ﷺ، قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أولها: لم يثبت في أثر أن اسم رمضان أطلق على الله جل وعلا.

ثانيها: أن مدار الخبر كما في سنن البيهقي على أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ثالثها: في كلام البيهقي رحمه الله ما يدل على توهين الخبر حيث قال: «وهذا رواه الحارث عن عبد الله الخازن عن أبي معشر وأبو معشر هو نجيح السندي ضعفه يحيى بن معين، وكان يحيى القطان لا يحدث عنه، وكان عبد

الرحمن بن مهدي يحدث عنه وا لله أعلم، وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه» اهـ

الرابعة عشرة: قوله «**الإحسان**» هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين:

أرفعهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله (كأنك تراه) أي وهو يراك.

والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، وهو قوله (فإنه يراك).

وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة ا لله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله (أن تخشى ا لله كأنك تراه) وكذا في حديث أنس.

قال النووي: معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم.

تنبيه:

في قوله أن تعبد الله فيه دليل على أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة، وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامه بقولهﷺ (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

فائدة:

زاد مسلم في الإيمان في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل (صدقت) عقب كل جواب من الأجوبة الثلاثة، وزاد أبو فروه في روايته (فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه) وفي رواية كهمس (فعجبنا له يسأله ويصدقه) وفي رواية مطر (انظروا إليه كيف يسأله وانظروا إليه كيف يصدقه)وفي حديث أنس (انظروا وهو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه) وفي رواية سليمان بن بريده (قال القوم: ما رأينا رجلا مثل هذا، كأنه يعلم رسول اللهﷺ، يقول له: صدقت صدقت) قال القرطبي: إنما عجبوا من ذلك لأن ما جاء به النبيﷺ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبيﷺ ولا بالسماع منه، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه لأنه يخبره بأنه صادق فيه، فتعجبوا من ذلك تعجب المستبعد لذلك.

الخامسة عشرة: قوله «متى الساعة» أي متى تقوم الساعة؟ وصرح به في رواية عمارة بن القعقاع، واللام للعهد، والمراد يوم القيامة.

السادسة عشرة: قوله **«ما المسؤل عنها بأعلم من السائل»** "ما" نافية، وزاد في رواية أبي فروه (فنكس فلم يجبه، ثم أعاد فلم يجبه ثلاثاً، ثم رفع رأسه فقال، ما المسؤل)، وقوله (بأعلم) الباء صلة واقعة في خبر ما لتأكيد النفي، وهذا وإن كان مشعراً بأن كلاً منهما ليس له علم بوقتها كما يوضحه قوله بعد (خمس لا يعلمها إلا الله)، وفي حديث ابن عباس فقال (سبحان الله، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله) ثم تلا الآية.

قال النووي: يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، ولا يكون في ذلك نقص من مرتبته، بل يكون ذلك دليلا على مزيد ورعه.

وقال القرطبي: مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة، لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الأسئلة الماضية فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن، وقال (من السائل) ولم يقل منك، لسر لطيف وهو العدول إلى لفظ يشعر بالتعميم تعريضاً للسامعين، أي أن كل مسئول وكل سائل فهو كذلك لا يعلم وقت قيام الساعة.

السابعة عشرة: قوله «**سأحدثك بأشراطها**» في الإيمان وفي رواية أبي فروه (ولكن لها علامات تعرف بها)، وفي رواية كهمس (قال فأخبرني عن أماراتها فأخبره بها فترددنا) فحصل التردد هل ابتداه بذكر الأمارات أو السائل سأله عن الأمارات، ويجمع بينهما بأنه ابتدأ بقوله وسأخبرك، فقال له السائل: فأخبرني، ويدل على ذلك رواية سليمان التيمي ولفظها (ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها، قال أجل) ونحوه في حديث ابن عباس وزاد (فحدثني) وقد حصل تفصيل الأشراط من الرواية الأخرى وأنها العلامات، وهي بفتح الهمزة جمع شرط بفتحتين كقلم وأقلام، ويستفاد من اختلاف الروايات أن التحديث والإخبار والإنباء بمعنى واحد، وإنما غاير بينها أهل الحديث اصطلاحاً.

قال القرطبي: علامات الساعة على قسمين:

ما يكون من نوع المعتاد، أو غيره، والمذكور هنا الأول، وأما الغير مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقاربة لها أو مضايقة والمراد هنا العلامات السابقة على ذلك. وا لله أعلم.

الثامنة عشرة: قوله «**إذا ولدت**» التعبير بإذا للإشعار بتحقق الوقوع، ووقعت هذه الجملة بياناً للأشراط نظراً إلى المعنى، والتقدير ولادة المرأة وترؤس الحفاة العراة، وفي الإيمان بلفظ (وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان) فتحصل أن الأشراط ثلاثة، وإنما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها كما تراه هنا وفي الإيمان، وفي رواية محمد بن بشر التي أخرج مسلم إسنادها وساق ابن خزيمة لفظها عن أبي حيان ذكر الثلاثة، وكذا في مستخرج الإسماعيلي من طريق ابن علية، وكذا ذكرها عمارة بن القعقاع، ووقع مثل ذلك في حديث عمر، ففي رواية كهمس ذكر الولادة والتطاول فقط ووافقه عثمان بن غياث، وفي رواية سليمان التيمي ذكر الثلاثة، ووافقه عطاء الخراساني، وكذا ذكرت في حديث ابن عباس وأبي عامر.

التاسعة عشرة: قوله «**المرأة ربتها**» بتاء التأنيث، وكذا في حديث عمر، ولمحمد بن بشر مثله وزاد (يعني السراري)، وفي الإيمان (ربها) وفي رواية عمارة بن القعقاع (إذا رأيت المرأة تلد ربها) ونحوه لأبي فروة، وفي رواية عثمان بن غياث (الإماء أربابهن) بلفظ الجمع، والمراد بالرب المالك أو السيد، وقد اختلف العلماء فيه على أقوال كثيرة لخصها الحافظ في أربعة أقوال وهي:

أولاً: قال الخطابي: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين، قلت: لكن في كونه المراد نظر، لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة، وقد فسره وكيع في رواية ابن ماجه بأخص من الأول قال: أن تلد العجم العرب، ووجهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد

رعيته، وهذا لإبراهيم الحربي، وقربه بأن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالباً من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا سيما في أثناء دولة بني العباس، ولكن رواية ربتها بتاء التأنيث قد لا تساعد على ذلك، وخصه بعضهم بأن السبي إذا كثر فقد يسبى الولد أولاً وهو صغير ثم يعتق ويكبر ويصير رئيساً بل ملكاً ثم تسبى أمه فيما بعد فيشتريها عارفاً بها، أو وهو لا يشعر أنها أمه، فيستخدمها أو يتخذها موطوءة أو يعتقها ويتزوجها، وقد جاء في بعض الروايات (أن تلد الأمة بعلها) وهي عند مسلم فحمل على هذه الصورة، وقيل المراد بالبعل المالك وهو أولى لتتفق الروايات.

الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد أو الاستهانة بالأحكام الشرعية، فإن قيل: هذه المسألة مختلف فيها فلا يصلح الحمل عليها، لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قلنا: يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية كبيعها في خال حملها، فإنه حرام بالإجماع.

الثالث: وهو من نمط الذي قبله، قال النووي: لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقاً بنكاح أو زناً ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً ويدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها، ولا يعكر على هذا تفسير محمد بن بشر بأن المراد السراري لأنه تخصيص بغير دليل.

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، قال وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة،

ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربَّى مربياً والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى أن يصير الحفاة ملوك الأرض.

تنبيه:

يجمع بين ما في هذا الحديث من إطلاق الرب على السيد المالك في قوله (ربها) وبين ما في الحديث الآخر وهو في الصحيح (لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي ومولاي) بأن اللفظ هنا خرج على سبيل المبالغة أو المراد بالرب هنا المربي، وفي المنهي عنه السيد، أو أن النهي عنه متأخر، أو مختص بغير الرسول ﷺ.

العشرون: قوله «**وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس**» زاد الإسماعيلي، وفي رواية أبي فروه مثله، والمراد بهم أهل البادية كما صرح به في رواية سليمان التيمي وغيره، قال: ما الحفاة العراة؟ قال: العريب، وهو بالعين المهملة على التصغير.

قال الحافظ: وفي الطبراني من طريق أبي حمزة عن ابن عباس مرفوعاً (من انقلاب الدين تفصح النبط واتخاذهم القصور في الأمصار)، قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان، ومنه الحديث الآخر (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع) ومنه (إذا وسد الأمر ـ أي أسند ـ إلى غير أهله فانتظروا الساعة) وكلاهما في الصحيح.

الحادية والعشرون: قوله «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**» وكذا في الإيمان، أي علم وقت الساعة داخل في جملة خمس، وحذف متعلق الجار سائغ كما في قوله تعالى ﴿**في تسع آيات**﴾ أي اذهب إلى فرعون بهذه الآية في جملة تسع

آيات، وفي رواية عطاء الخراساني (قال فمتى الساعة؟ قال: هي في خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله).

قال القرطبي: «لا مطمع لأحد في علم شئ من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث، وقد فسر النبيﷺ قول الله تعالى ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾ بهذه الخمس وهو في الصحيح، إلى أن قال: فمن ادعى علم شئ منها غير مسندة إلى رسول اللهﷺ كان كاذباً في دعواه، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها في التنجيم وجاء عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكمﷺ علم كل شئ سوى هذه الخمس، وعن ابن عمر مرفوعاً نحوه أخرجهما أحمد، وأخرج حميد بن زنجويه عن بعض الصحابة أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأنكر عليه فقال: إنما الغيب خمس - وتلا هذه الآية - وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم».

الثانية والعشرون: قوله ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**﴾ وفي الإيمان ﴿**إن الله عنده علم الساعة...**﴾ أي تلا الآية إلى آخر السورة، وصرح بذلك الإسماعيلي، وكذا في رواية عمارة، ولمسلم إلى قوله ﴿**خبير**﴾ وكذا في رواية أبي فروه.

الثالثة والعشرون: قوله: «**ثم انصرف الرجل فقال: ردوا علي**» في الإيمان (ثم أدبر فقال: ردوه) وفيه أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبيﷺ فيراه ويتكلم بحضرته وهو يسمع كما ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة. والله أعلم.

الرابعة والعشرون: قوله: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**» وكذا في الإيمان دون لام التعليل، وللإسماعيلي (أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا) ومثله لعمارة، وفي رواية أبي فروه (والذي بعث محمداً بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل) وفي حديث أبي عامر (ثم ولّى فلما لم نر طريقه قال النبيﷺ:

سبحان الله، هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم، والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط إلا وأنا أعرفه، إلا أن تكون هذه المرة) وفي رواية التيمي (ثم نهض فولى، فقال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل، فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى ولى) قال ابن حبان تفرد سليمان التيمي بقوله (خذوا عنه) فتعقبه الحافظ بقوله: وهو من الثقات الأثبات، وفي قوله (جاء ليعلم الناس دينهم) إشارة إلى هذه الزيادة فما تفرد إلا بالتصريح، واتفقت هذه الروايات على أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بشأنه بعد أن التمسوه فلم يجدوه، وأما ما وقع عند مسلم وغيره من حديث عمر في رواية كهمس (ثم انطلق، قال عمر: فلبثت ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل)فقد جمع بين الروايتين بعض الشراح بأن قوله (فلبثت ملياً) أي زماناً بعد انصرافه، فكأن النبي ﷺ أعلمهم بذلك بعد مضي وقت، ولكنه في ذلك المجلس؛ لكن يعكر على هذا الجمع قوله في رواية النسائي والترمذي (فلبثت ثلاثاً) لكن ادعى بعضهم فيها التصحيف، وأن (ملياً) صغرت ميمها فأشبهت (ثلاثاً) لأنها تكتب بلا ألف، وهذه الدعوى مردودة، فإن في رواية أبي عوانة (فلبثنا ليالي، فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث) ولابن حبان (بعد ثالثة) ولابن مندة (تعد ثلاثة أيام) حكاه الحافظ.

وجمع النووي بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبي ﷺ في المجلس، بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض عرض له، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، ولم يتفق الإخبار لعمر إلا بعد ثلاثة أيام، ويدل عليه قوله (فلقيني) وقوله (فقال لي يا عمر) فوجه الخطاب له وحده، بخلاف إخباره الأول، وهو جمع حسن.

تنبيهان :

الأول: قال ابن المنير: في قوله (يعلمكم دينكم) دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلماً، وقد اشتهر قولهم: حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً.

الثاني: قال القرطبي: هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة.

وقال الطيبي: لهذه النكتة استفتح به البغوي كتابيه (المصابيح) و (شرح السنة) إقتداء بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة، لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً.

وقال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالاً ومآلاً ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.

الخامسة والعشرون: قوله «**قال النبي ﷺ مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾**» هكذا وقع مختصراً هنا، وفي رواية أبي عاصم (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾**) يعني الآية كلها، وفي باب الله يعلم ما تحمل كل أنثى من تفسير سورة الرعد وكذا في باب لا يدرى متى يجئ المطر إلا الله من الاستسقاء من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر بلفظ (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله) الحديث، هذا السياق في الخمس، وفي باب وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو؛ من تفسير الأنعام من طريق الزهري عن سالم عن أبيه بلفظ مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة، وأخرج أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة: أخبرني عمرو بن مرة سمع عبد الله بن مسلمة سمع

عبد الله بم مسعود قال قلت: سمعته منه قال نعم، أكثر من خمسين مرة، قال: أعطي نبيكم حتى مفاتيح الغيب إلا الخمسة ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ إلى آخر السورة.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: عبر بالمفاتح لتقريب الأمر على السامع لأن كل شئ جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح، فإذا كان الشيء الذي لا يطلع على الغيب إلا بتوصيله لا يعرف موضعه فكيف يعرف المغيب. ا.هـ ملخصاً.

آخر تفسير سورة لقمان.

سورة الم السجدة

٢٧٠ - بسم الله الرحمن الرحيم

سورة تنزيل السجدة

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون**﴾.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة قال: كان النبيﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿**ألم تنزيل**﴾ السجده و﴿**هل آتى على الإنسان**﴾، ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به.

وهي مكية كما رواه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، ورواه ابن مردويه عن ابن الزبير وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: هي مكية سوى ثلاث آيات ﴿**أفمن كان مؤمناً**﴾ إلى تمام الآيات الثلاث، وكذا قال الكلبي ومقاتل وقيل إلا خمس آيات من قوله ﴿**تتجافى جنوبهم**﴾ إلى قوله ﴿**الذي كنتم به تكذبون**﴾.

وعدد آياتها ثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿مهين﴾ ضعيف نطفة الرجل].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: مايع رقيق، قال:

فجاءت به غضب الأديم غظنفراً سلالة فرج كان غير حصين.

ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾.**

٢ - **[﴿ضَلَلْنا﴾ هلكنا].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، فذكره.

وأخرج نحوه عن الضحاك وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾.**

٣ - **[وقال ابن عباس ﴿الجرز﴾ التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس فذكره وزاد (إلا ما يأتيها من السيول).

قلت: وهذا إسناد فيه مبهم.

وأخرج في تفسيره عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: هي أرض باليمن.

وقال أبو عبيدة: أي الغليظة اليابسة التي لم يصبها مطر وهـذا أوفق لظاهر الآية والله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾

٤ - [﴿**يَهْدِ**﴾ **يبين**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: لهم وهو من الهدى.

والآية المشار إليها ﴿**أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾.

٢٧١ - [باب قوله **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾**

ش: تمامها: **﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾**.

أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل.

وقال ابن القيم: وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حيث يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة. ا.هـ من بدائع التفسير

قلت وهذا مستنبط من ارتباط الآية بما قبلها وهي قوله **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾**.

٣٠٠- حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾.

وحدثنا سفيان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال الله، مثله، قيل لسفيان: رواية؟ قال: فأي شيء، قال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح: قرأ أبو هريرة: قرات أعين.

٣٠١- حدثني إسحاق بن نصر: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش: حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر ذخراً، بله ما أطلعتم عليه). ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**يقول الله تعالى أعددت لعبادي**» وأخرج مسلم في باب أدنى أهل الجنة منزلة من كتاب الإيمان عن الشعبي قال سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ قال: سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة قال: هو رجل يجيء بعد ما ادخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا آخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربِّ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربِّ، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذة عينك، فيقول رضيت ربِّ، قال ربِّ، فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر) قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾**.

وأخرجه الترمذي في تفسير هذه السورة دون قوله (رب فأعلاهم منزلة الخ)

الثانية: قوله «**ولا خطر على قلب بشر أي ما دخل بباله وزاد ابن مسعود في حديثه (ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل)**» أخرجه ابن أبي حاتم، قلت فبمجموع الحديثين يتبين أن من نعيم الجنة ما يخفى حتى على الملائكة وليس خاصاً بالبشر.

الثالثة: قوله «**ذخراً**» بضم الذال المعجمة ونصبه على الحالية، قال في المصباح: ذخرته ذخراً من باب نفع والاسم الذخر بالضم إذا أعددته لوقت الحاجة إليه.

الرابعة: قوله « **بله ما أطلعتم عليه**» قال الخطابي: كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم. وتعقبه الحافظ بقوله: وهذا لائق بشرح (بله) بغير تقدم (من) عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هي بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل لكن قال الصغاني اتفقت نسخ الصحيح على (من بله) والصواب إسقاط كلمة (من) وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلا إذا فسرت بمعنى دع، وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أومن غير أو سوى فلا، وقد ثبت في عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات من.

وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردوية من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك، والمعنى من أين إطلاعكم على هذا القدر الذي تقصر عقول البشر عن الإحاطة به، ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف في (شرح الحاجبيه) فإنها بمعنى غير وذلك بين لمن تأمله. اهـ. من الفتح بتصرف.

الخامسة: قوله «وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة، قُرَّات أعين)»

قلت: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا أبو معاوية وابن نمير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة فذكر الحديث وفيه قال أبو هريرة يقرؤها: (قرّات أعين).

السادسة: قوله «**قرت أعين**» يقال قرّت عينه تقر سرت قال ﴿**كي تقر عينها**﴾ وقيل لمن يسر به قرة عين قال ﴿**قرة عين لي ولك**﴾ وقوله ﴿**هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ قيل أصله من القر، أي البرد فقرت عينه، قيل معناه بردت فصحّت وقيل بل لأن للسرور دمعه باردة قارة وللحزن دمعة حارة، قاله الراغب.

آخر تفسير سورة ألم السجدة و لله الحمد والمنة.

سورة الأحزاب

٢٧٢ - سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا**﴾.

روى الإمام أحمد عن زر قال: قال لي أبي بن كعب كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها؟ قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية فقال: قط لقد رأيتها وإنها لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود ابن بهدلة به.

قال ابن كثير إسناد حسن.

وهي مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون.

[**وقال مجاهد: ﴿صياصيهم﴾ قصورهم**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وقال ابن جرير في معنى الآية **﴿من صياصيهم﴾** يعني من حصونهم ثم أخرج المعنى عن يزيد بن رومان وعكرمة وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾**.

٢٧٣ - [باب ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾

ش: تمامها: ﴿وأزواجه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾.

قوله ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

وفي الصحيح (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين) اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ وهو لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب قال الله تعالى ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ اهـ من البغوي.

وقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ المراد بأولي الأرحام القرابات أي هم أحق ببعضهم بعضاً في الميراث.

وقوله ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بأفعل التفضيل في قوله ﴿أولى ببعض﴾ لأنه يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير: أي كائناً في كتاب الله والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن أو آية المواريث.

قال أهل العلم: وهذه الآية ناسخة لما كان بين المسلمين من الميراث بالمؤاخاة.

وقوله ﴿**إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً**﴾ اختلف أهل العلم فيه على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير:

فأولها: بمعنى إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الأيمان والهجرة وهو قول ابن الحنفية وقتادة وعكرمة وعطاء.

وثانيها: بمعنى إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الإيمان والهجرة والحلف فتؤتوهم حقهم من النصرة والعقل عنهم قاله مجاهد.

وثالثها: بمعنى أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية وبه قال ابن زيد، ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده.

قال مقيده وهذا اختيار حسن بجمع القولين الثاني والثالث وأما القول الأول فإنه بعيد جداً ومردود إذ لا موالاة بين مؤمن وكافر وإن كان بينهما نسب.

وقوله ﴿**كان ذلك في الكتاب مسطوراً**﴾ أي كان الذي ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً.

من فقه الآية

أولاً: في قوله ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أموراً:

منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده.

ثانياً: تحريم نكاح أزواج النبيﷺ ووجوب توقيرهن واحترامهن.

ثالثاً: فيها دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن.

رابعاً: الحث على بذل المعروف بين القرابات.

٣٠٢- حدثني إبراهيم بن المنذر: حدثنا محمد بن فليح[(١)]: حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه)

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة**» وفي باب قول النبي ﷺ من ترك مالاً فلأهله من الفرائض برواية أبي سلمة بن عبد الرحمن وكذا في القرض، وقد ورد سببه في باب الدين من كتاب الكفالة من طريق عقيل عن ابن شهاب بذكره ولفظه (أن رسول اللهﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيقول هل: ترك لدينه قضاء؟ فإن قيل نعم صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الحديث، وعند أبي داود في ميراث ذوي الأرحام عن المقدام الكندي قال: قال رسول اللهﷺ:(أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) وكذا عند مسلم عن جابر، قلت وقد تطابق الحديثان مع الآية في الدلالة على أن من ليس رسول اللهﷺ أولى به ليس من أهل الإيمان وقد قدمنا في فقه الآية ما تستلزمه هذه الولاية.

الثانية: قوله «اقرءوا إن شئتم ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾» وكذا في الاستقراض باب الصلاة على من ترك ديناً.

---

(١) هو محمد بن فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي المدني، صدوق يهم من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائتين خ س ق.

قال ابن التين عن الداودي قوله ﴿**اقرءوا إن شئتم**﴾ أحسبه من كلام أبي هريرة.

قال مقيده: و لم أجد هذا الحرف في طرق حديث أبي هريرة إلا من رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة وقد روى الحديث أحمد ومسلم وابن حبان عن جابر وليس فيه (فاقرءوا إن شئتم).

الثالثة: قوله «فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا» في الكفالة باب الدين (ومن ترك مالاً فلورثته) وكذا في الفرائض باب قول النبي ﷺ (من ترك مالاً فلأهله).

الرابعة: قوله: «فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه» في الكفالة (فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه) وفي الفرائض (فمن مات وعليه دين و لم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه) فبان بهذا تخصيص القضاء بمن لم يترك وفاءً لدينه، وقوله فليأتني أي من يقوم مقامه في السعي في وفاء دينه أو المراد صاحب الدين.

وقوله «**ضياعاً**» بفتح الضاد المعجمة أي عيالاً ضائعين ولا شئ لهم ولا قيم.

من فقه الحديث

أولاً: ثبوت ولاية النبيﷺ على كل مؤمن وهذا يستلزم إتباعه والتمسك بسنته ومحبته.

ثانياً: كمال شفقته ﷺ على أهل الإيمان من أمته.

ثالثاً: قضاء الدين عمن مات وهو معسر وهل كان ذلك من خصائصهﷺ أو يجب على ولاة الأمر بعده، والراجح الاستمرار لأن على ولي الأمر من المسلمين ما لرسول اللهﷺ من الأحكام فهو نائب عنه وهذا من مال المصالح.

٢٧٤ - [باب ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند ا لله﴾].

ش: تمامها: ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان ا لله غفوراً رحيماً**﴾.

قوله: ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند ا لله**﴾ يقول تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبيه محمدﷺ: الحق نسب زيد بأبيه حارثه، ولا تدعه زيداً ابن محمد وقوله ﴿**هو أقسط عند ا لله**﴾ يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند ا لله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين. اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**﴾ أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي عوضاً عما فاتهم من النسب.

وقوله ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**﴾ أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد ولكن الإثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك. ا.هـ من الشوكاني.

قوله ﴿**وكان ا لله غفوراً رحيماً**﴾ يخبر تعالى أنه ذو ستر على ذنب من ادعى ولد غيره ابناً له، إذا تاب وراجع أمر ا لله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب نسبة المرء إلى أبيه إذا كان أبوه معلوماً.

ثانياً: ملاطفة من لم يعلم آباءهم من المسلمين ومواساتهم وذلك باعتبارهم اخوة في الدين وموالي.

ثالثاً: تحريم انتساب المرء إلى غير أبيه وفي الحديث الصحيح (من ادعي لغير أبيه وهو يعلمه كفر) قال أهل العلم: وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبرئ من النسب المعلوم.

٣٠٣- حدثنا معلى بن أسد[١]: حدثنا عبد العزيز بن المختار[٢] حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القران ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إن زيد بن حارثة**» هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ صحابي جليل مشهور من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤته في حياة النبي ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين.

الثانية: قوله «**ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد**» قلت لتبني رسول الله ﷺ إياه قصة وهي: أن سعدى أم زيد بن حارثة زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام يفقه فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجه بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم حرم الله تفكون العاني

---

(١) هو أبو الهيثم معلى بن أسد العمي البصري، أخو بهز ثقة ثبت، من كبار العاشرة مات سنة ثماني عشرة [ومائتين] على الصحيح، خ م قد ت س ق.

(٢) هو عبد العزيز بن المختار الدباغ البصري مولى حفصة بنت سيرين، ثقة من السابعة، ع.

وتطعمون الأسير جئناك عن ولدنا عندك فأمنن علينا وأحسن في فدائه فإنا سنرفع لك قال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال أو غير ذلك ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوا لله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء قالوا: فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال: نعم هذا أبي وهذا عمي قال فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما فقال: زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني بمكان الأب والعم فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام).

الثالثة: قوله «**حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم...﴾**» الآية فيه دليل على أن النهي عن نسبة الرجل إلى من تبناه واعتباره ابناً له كان بالمدينة لأن سورة الأحزاب مدنية وقوله **﴿ادعوهم لآبائهم...﴾** الآية هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٧٥ - [باب **﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**

ش: قلت الآية: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**.

يقول تعالى ذكره:

﴿من المؤمنين﴾ با لله ورسوله.

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يقول فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما قضي من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه.

وقوله **﴿وما بدلوا تبديلاً﴾** أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا **﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾**.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [﴿نَحْبَه﴾: عهده].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد، وأخرج عن يزيد بن رومان والحسن نحوه.

وقال أبو عبيدة: أي نذرة الذي كان نحب أي نذر والنحب أيضاً النفس أي الموت وجعله جرير الخطر العظيم فقال:

بطخفة جالدنا الملوك وقبلنا عشية بسطام حديث على نحب. اهـ

٢ - [﴿أقطارها﴾ جوانبها].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونواحيها واحدها قطر.

والآية المشار إليها **﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾.**

٣ - [﴿ الفتنة لآتوها﴾ لأعطوها].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وأخرج عن ابن زيد قال: لو سئلوا أن يكفروا لكفروا وهذا التفسير على قراءة بعض المكيين وعامة الكوفيين والبصريين.

وقرأت عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة **﴿لأتوها﴾** بقصر الألف بمعنى جاءوها.

٣٠٤- حدثني محمد بن بشار: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

٣٠٥- حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت[1]: أن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

---

(١) هو أبو زيد خارجةبن زيد بن ثابت الأنصاري المدني، ثقة فقيه، من الثالثة مات سنة مائه وقيل قبلها، ع.

الأولى: قوله «**نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر**» وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت هذه الآية ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا...الخ**﴾.

وأخرج عن موسى وعيسى ابني طلحة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ قال: وكانوا لا يجرؤن على مسألته فقالوا للأعرابي سله (من قضى نحبه؟) من هو؟ فسأله فأعرض عنه،ثم سأله فأعرض عنه، ثم دخلت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نحبه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: هذا ممن قضى نحبه.

ويجمع بينهما أن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدراً، فعاهدوا الله أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه، ومنهم من أوفى ولم يقضى نحبه وكان منتظراً، وكان أنس وطلحة كلاهما ممن نزلت فيه الآية.

الثانية: قوله ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿ **فقدت آية من سورة الأحزاب**﴾ في فضائل القرآن باب جمع القران فقدت آية من الأحزاب حيث نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها.

وقوله «فقدت»: فقداً من باب ضرب و"فقداناً" عدمته فهو مفقود وفقيد.

الرابعة: قوله «خزيمة الأنصاري» هو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي ثم الخطمي وأمه كبشة بنت أوس الساعدية من السابقين

الأولين شهد بدراً وما بعدها وقيل أول مشاهده أحد وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح قتل يوم صفين.

الخامسة: قوله ((الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين)) أخرج أبو داود والنسائي عن عمارة بن خزيمة عن عمه وكان من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فرساً، فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه ـ فذكر الحديث ـ قال فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بعتك، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبي ﷺ بم تشهد؟ قال بتصديقك، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين).

قلت: وفيه فضيلة خزيمة وفضيلة الفطنة في الأمور وأنها ترفع منزلة صاحبها.

السادسة: قوله: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ هذا هو الشاهد الثاني من الحديث للترجمة وقد سبق شرحه وفي الفضائل زيادة: (فالحقناها في سورتها في المصحف.

٢٧٦ - [باب قوله **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ قل يا محمد لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن، يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله **﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾**.

وقوله **﴿أسرحكن سراحاً جميلاً﴾** يقول: أطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله **﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾**.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - **[وقال معمر: ﴿التبرج﴾: أن تخرج محاسنها]**.

ش: قلت ومعمر هذا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي صاحب مجاز القرآن، والذي وجدته في تفسيره "وهو من التبرج وهو أن يبرزن محاسنهن فيظهرنها.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كانت لهن مشيه وتكسر وتغنج" وعن ابن أبي نجيح قال: التبختر.

والآية المشار إليها **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**.

٢ - **[﴿سنة الله﴾ استنها جعلها]**.

ش: نصب بنزع الخافض، وقيل فعل سنة الله، وقيل على الإغراء أي اتبعوا سنة الله.

وقال أبو عبيدة: "سنة الله" منصوبة لأنها في موضع مصدر من غير لفظها.

وقال ابن جرير: ونصب قوله "سنة الله" على معنى حقاً من الله كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا.

قلت: وقد وردت الكلمة منصوبة في هذه السورة مرتين:

إحداهما: في الآية الثامنة والثلاثين.

والأخرى في الآية الثانية والستين ولا ندري أيتهما عنى المصنف.

٣٠٦- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ أخبرته أن رسول اللهﷺ جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول اللهﷺ فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي، حتى تستأمري أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت ثم قال: إن الله قال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)

سيأتي شرحه في الباب الذي بعده.

٢٧٧ - [باب ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾].

ش: قوله **﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾** أي الجنة ونعيمها.

﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن﴾ أي اللاتي عملن عملاً صالحاً.

﴿أجراً عظيماً﴾ لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن.

فاختار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وكن يؤمئذ تسع نسوة وهن خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعه وغير القرشيات: زينت بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

[وقال قتادة: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، القرآن والسنة].

ش: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة فذكره.

والآية المشار إليها **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾**.

٣٠٧ ـ وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة ابن عبدالرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم

قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يا أيها النبي قل أزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها...إلى أجراً عظيماً﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

تابعه موسى بن أعين عن معمر عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة. وقال عبدالرزاق وأبو سفيان المعمري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.

ش: قوله «**قال الليث حدثني يونس**» أخرجه ابن جرير في تفسير هاتين الآيتين والنسائي في الطلاق كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد وموسى بن علي عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها فذكره، وقال الحافظ وصله الذهلي عن أبي صالح عنه.

قلت: وفي الحديث خمس مسائل:

الأولى: قوله «**لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه**» في رواية شعيب في الباب قبله (حين أمر الله أن يخير أزواجه)، ورد في سبب هذا التخيير ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال (دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ) الحديث وفيه قوله ﷺ (هن حولي كما ترى يسألنني النفقة) يعني نساءه، وفيه أنه اعتزلهن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك - حتى بلغ - أجراً عظيماً**﴾ قال فبدأ بعائشة فذكر نحو حديث الباب، وفي المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، من طريق عقيل وفي النكاح أيضاً من طريق شعيب كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر في قصة المرأتين اللتين تظاهرتا بطوله وفي آخره (حين أفشته حفصة إلى عائشة) وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة ما وجدته عليهن حتى عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون» دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت

له: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وقد أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً، فقال النبي ﷺ: «الشهر تسع وعشرون». وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين قالت عائشة (فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي) الحديث، وهذا سياق ظاهره أن الحديث كله من رواية ابن عباس عن عمر، وأما المروي عن عائشة فمن رواية ابن عباس عنها.

قال الحافظ: وقد وقع التصريح بذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي صالح عن الليث بهذا الإسناد إلى ابن عباس قال (قالت عائشة: أنزلت آية التخيير، فبدأ بي، الحديث، لكن أخرج مسلم الحديث من رواية معمر عن الزهري ففصله تفصيلا حسناً، وذلك أنه أخرجه بطوله إلى آخر قصة عمر في المتظاهرتين إلى قوله (حتى عاتبه) ثم عقبه بقوله (قال: الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون) فذكر مراجعتها في ذلك ثم عقبه بقوله(قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك) الحديث، فعرف من هذا أن قوله (فلما مضت تسع وعشرون الخ) في رواية عقيل هو من رواية الزهري عن عائشة بحذف الواسطة، ولعل ذلك وقع عن عمد من أجل الاختلاف على الزهري في الواسطة بينه وبين عائشة في هذه القصة بعينها كما بينه المصنف هنا، وكأن من أدرجه في رواية ابن عباس مشى على ظاهر السياق و لم يفطن للتفصيل الذي وقع في رواية معمر، وقد أخرج مسلم أيضاً من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد) الحديث بطوله وفي آخره (قال وأنزل الله آية التخيير) فاتفق الحديثان على أن آية التخيير نزلت عقب فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه، ووقع ذلك صريحاً في رواية عمرة عن عائشة قالت (لما نزل النبي ﷺ إلى نسائه أمر أن يخيرهن) الحديث أخرجه الطبري والطحاوي، واختلف الحديثان في سبب الاعتزال، ويمكن الجمع بأن يكون القضيتان جميعاً

سبب الاعتزال فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهمـا، وقصـة سـؤال النفقـة عامـة في جميـع النسـوة، ومناسـبة آيـة التخيـير بقصـة سـؤال النفقـة أليـق منهـا بقصـة المتظاهرتين». اهـ

واختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القـول الأول: أنـه خـيرهن بـأذن الله في البقـاء علـى الزوجيـة أو الطـلاق فاخترن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعه.

والقول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخـرة فيمسـكهن ولم يخيرهن في الطلاق وبهذا قال علي والحسن وقتادة.

والراجح الأول ويشهد له حديث الباب.

الثانية: قوله (فلا عليك أن لا تعجلي) في رواية شعيب (أن لا تسـتعجلي) والمعنى أي فلا بأس عليك في التأني وعدم العجلة حتى تشاوري أبويك.

الثالثة: قوله (حتى تستأمري أبويـك) وكـذا في روايـة شـعيب، أي تطلـبي منهما أن يبينا لـك رأيهمـا في ذلـك، ووقـع في حديـث جـابر (حتـى تستشـيري أبويك) زاد ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عـن عائشـة (إنـي عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه علـى أبويـك أبـي بكـر وأم رومان)، ويستفاد من مجموع هذه الروايات أمر النبيﷺ عائشة بعـرض الموضـوع على أبويها واستشارتها إياهما فيه.

الرابعة: قوله «**قالت فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبـوي؟**» في روايـة محمـد بن عمرو (فقلت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا اؤامر أبوي أبـا بكـر وأم رومان، فضحك) وعند ابن جرير مـن روايـة عمـر بـن أبـي سـلمة عـن أبيـه (ففرح) فدل ذلك على إقرار النـبيﷺ في عـدم استشـارتها أبويهـا في هـذا الأمـر لأنها أصابت الأرضى لها وهو اختيار الله ورسوله والدار الآخرة.

الخامسة: قوله «**ثم فعل أزواج النبيﷺ مثل ما فعلت**» في رواية عقيل (ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة) زاد ابن وهب عن يونس في روايته (فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاخترنه) أخرجه ابن جرير وعنده من رواية محمد بن عمرو المذكورة (ثم استقرى الحجر - يعني حجر أزواجه ــ فقال: إن عائشة قالت كذا، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت)، وقوله (استقرى الحجر) تعني بيوته وهي مساكن أزواجه والمعنى أنه تتبع نسائه واحدة واحدة في التخيير، وفي حديث جابر المذكور أن عائشة لما قالت (بل أختار ا لله ورسوله والدار الآخرة) قالت (يا رسول ا لله وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، فقال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن ا لله لم يبعثني متعنتاً وإنما بعثني معلماً ميسراً).

من فقه الحديث

١ - في الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يبعثه عليهن الغيرة.

٢ - فضيلة عائشة فقد بدأ بها.

٣ - وفيه أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبيﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر.

٤ - وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها.

فائدة:

وإن خير الرجل زوجه بين نفسه والطلاق فاختارت زوجها أوردت الخيار، نص أحمد في رواية الجماعة عنه وهو مروي عن عمر وعلي وزيد وابن مسعود وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن شبرمة وابن أبي ليلى والثوري والشافعي وابن المنذر بأنه لم يقع شئ.

وعن الحسن تكون واحدة رجعية وروي ذلك عن علي ورواه إسحاق بن منصور عن أحمد قال: فإن اختارت زوجها فواحدة يملك الرجعة وإن اختارت نفسها فثلاث. اهـ. من المغني بتصرف.

قال مقيده: وأول القولين هو الراجح ويؤيده حديث الباب فإنه لم يرد في شئ من طرقه أن النبي ﷺ عد تخييره أزواجه طلاقاً بل صرح بن وهب في روايته عند ابن جرير عن عائشة بعدم ذلك فقال فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاخترنه وا لله أعلم.

قوله (تابعه موسى بن أعين عن معمر عن الزهري أخبرني أبو سلمة) يعني عن عائشة، وصله النسائي من طريق محمد بن موسى بن أعين حدثنا أبي فذكره.

وقوله (وقال عبد الرزاق وأبو سفيان المعمري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة) أما رواية عبد الرزاق فوصلها مسلم وابن ماجه من طريقه وأخرجها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه، وقصر من قصر تخريجها على ابن ماجه، وأما رواية أبي سفيان المعمري فأخرجها الذهلي في الزهريات وتابع معمراً على عروة جعفر بن برقان، ولعل الحديث كان عند الزهري عنهما فحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا، وإلى هذا مال الترمذي، وقد رواه عقيل وشعيب عن الزهري عن عائشة بغير واسطة) ا.هـ من الفتح.

٢٧٨ - [باب **﴿وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا لله وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعياءهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر ا لله مفعولاً﴾**.

يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلوات ا لله وسلامه عليه أنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي أنعم ا لله عليه أي بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿وأنعمت عليه﴾ أي بالعتق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبيﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضي ا لله عنها: ما بعثه رسول ا للهﷺ في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه، رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد، عن وائل بن داود عن عبد ا لله البهي عنها.

وقوله (وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه) والذي أخفاه أنه لو طلقها زيد لتزوجهاﷺ.

﴿وتخشى الناس﴾ في عدم إبداء ما في نفسك.

﴿وا لله أحق أن تخشاه﴾ فإن خشيته جالبة لكل خير، مانعة من كل شر.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول ا للهﷺ حق قدره، أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش وأنه رآها فقال: سبحان مقلب القلوب، وأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد بن حارثة امسكها حتى انزل ا لله عليه **﴿وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه وأنعمت عليه، أمسك عليك**

زوجك واتق ا لله، وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلام ا لله مالا يحتمله ونسبته رسول ا للهﷺ إلى ما برأه ا لله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة وكان رسول ا للهﷺ، قد تبناه وكان يدعى زيد بن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول ا للهﷺ في طلاقها فقال له رسول ا للهﷺ (أمسك عليك زوجك واتق ا لله) وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس، أنه تزوج امرأة ابنه لأن زيداً كان يدعى ابنه فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له.

وقال ابن كثير: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي ا لله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها».

قال مقيده: ونحن نورد لك بعض تلك الآثار مع التعقيب عليها لكي تعرف سبب إعراض ابن كثير وغيره من المحققين عنها:

١ ـ ما أخرجه ابن جرير عن عبد ا لله بن وهب قال: قال ابن زيد كان النبيﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول ا للهﷺ يوماً يريده، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ فلما وقع ذلك كرّهت إلى الأخر، فجاء فقال يا رسول ا لله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال مالك، أرأيت منها شيء، قال لا وا لله ما رابني منها شيء يا رسول ا لله ولا رأيت إلا خيراً فقال رسول ا للهﷺ: ﴿**أمسك عليك زوجك واتق ا لله، وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه**﴾ تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

قلت: فهذا الخبر مع إرساله منكر وآفته ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم قال الحافظ عنه في التقريب ضعيف، وقال ابن حبان في المجروحين: كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، ونقل عن ابن معين قال: عبد الرحمن وعبد الله وأسامة بنو زيد ابن أسلم ليسوا بشيء.

٢ - واخرج ابن جرير عن علي بن حسين قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أنّ زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾.

قلت: وهذا فيه علّتان:

إحداهما: الإرسال فإن علي بن الحسين لم يلق النبيﷺ.

والأخرى: أن علي بن زيد بن جدعان أحد رجال إسناده ضعيف.

ولك أن تقول ما الحق في هذه المسألة ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ فإنها مسألة مبهمة فالجواب ما قاله الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان (٥٨٢/٦) بعد نقله كلاماً لأهل العلم في الآية: والتحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيداً سيطلق زينب وأنه يزوجها إياه ﷺ وهي في ذلك الوقت تحت زيد... والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجه إياها في قوله ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها**﴾ ولم يبد جل وعلا شيئاً مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد أبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر **الثاني**: أن الله جل وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء... وكون الله هو

الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا ويوضحه قوله تعالى ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً**﴾ الآية، لأنه يدل على أن زيد قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره والعلم عند الله تعالى. اهـ.

قال مقيده: عليك بهذا فالزمه وضم معه ما قدمناه عن ابن القيم فإنه هو اللائق بعصمة رسول الله ﷺ ولا تغتر بسواه فإن منشأه إما خطأ وإما جهل وإما سوء قصد، فالأول مأجور إن شاء الله على اجتهاده، والثاني ليس معدوداً في أهل العلم أو لا يسوغ الأخذ عنهم، وأما الثالث فإنهم أئمة الضلال.

قوله ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً...**﴾ الخ الآية، قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، يقال قضى وطراً منه إذا بلغ ما أراد من حاجته فيه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعه:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه، والمراد هنا أنه قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة، وقيل المراد به الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة وقال المبرد: الوطر الشهوة والمحبة وأنشد:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر

فلما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شئ مما هو معتبر في النكاح في حق أمته، وبه جاءت الأخبار الصحيحة، ثم علل سبحانه ذلك بقوله ﴿**لكيلا يكون على المؤمنين حرج**﴾ أي ضيق ومشقة في أزواج أدعيائهم أي في التزوج بأزواج من يجعلونه ابناً كما كانت تفعله العرب فإنهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة فكان يقال

زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه ﴿**أدعوهم لآبائهم**﴾ وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه كما تحرم عليهم نساء أبنائهم حقيقة.

والأدعياء جمع دعي، وهو الذي يدعى ابناً من غير أن يكون ابناً على الحقيقة، فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم إذا قضوا منهن وطراً، بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها، ﴿**وكان أمر الله مفعولاً**﴾ أي كان قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاءً ماضياً مفعولاً لا محالة.

٣٠٨- حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن هذه الآية ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «أن هذه الآية ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾» هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

الثانية: قوله «**في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة**» هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصة، وفي التوحيد: ثنا أحمد ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي: ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال (جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية) قال (وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات) وأخرجه أحمد (٣/١٥٠) عن مؤمل بن إسماعيل: ثنا حماد بن زيد: عن ثابت عن أنس قال (أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله ﴿**زوجناكها**﴾ قال: يعني زينب بنت جحش).

وقد أخرج الترمذي في باب ومن سورة الأحزاب من كتاب التفسير، من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت (لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ـ يعني بالإسلام ـ وأنعمت عليه ـ بالعتق ـ أمسك عليك زوجك**﴾ إلى قوله ﴿**قدراً مقدوراً**﴾ وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾ الآية، وكان تبناه وهو صغير.

قال مقيده: ولازال زيد يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ﴿**أدعوهم لآبائهم**﴾.

٢٧٩ - [باب قوله **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**].

ش: تمامها: **﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن وا لله يعلم ما في قلوبكم وكان ا لله عليماً حليماً﴾**.

قوله **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾** اختلف أهل العلم في تأويله على **ثلاثة أقوال:**

أولها: عنى بقوله ترجي تؤخر وبقوله تؤوي: تضم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي رزين والضحاك.

وثانيها: معنى ذلك تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: معنى ذلك تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك وبه قال الحسن.

قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال الثلاثة: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن ا لله تعالى ذكره، جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله، عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن فمن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن: وإذا كان كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء فمن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك، فلا تقربها وتضم إليك من تشاء فمن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم.

قوله «**﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**» فيه قولان:

أولهما: بمعنى ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك وهو قول قتادة وابن زيد.

وثانيهما: بمعنى من استبدلت ممن أرجيت، فخليت سبيله من نسائك وممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك، وبه قال ابن عباس.

قال ابن جرير بعد حكايتهما: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال: معنى ذلك ومن ابتغيت إصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن.

وقوله «**﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾**» أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن.

وقوله **﴿والله يعلم ما في قلوبكم...﴾** الخ الآية، يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبه، يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلاً منه عليك بذلك وتكرمه.

﴿وكان الله عليما﴾ يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها.

﴿حليما﴾ يقول ذو حلم وأناة عنهم، ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال ابن عباس: ﴿ترجي﴾ تؤخر**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

٢ - [﴿أرجئه﴾ أخره].

ش: ذكره استشهاداً والإشارة به إلى الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة الأعراف والآية السادسة والثلاثين من سورة الشعراء.

٣٠٩- حدثنا زكريابن يحيى[1] حدثنا أبو أسامة قال هشام حدثنا عن أبيه عن عائشة رضي ا لله عنها.

قالت(كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول ا لله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل ا لله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أرى ربّك إلا يُسارعُ في هَواكَ).

٣١٠ - حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد ا لله أخبرنا عاصم الأحول عن معاذه[2] عن عائشة رضي ا لله عنها (أن رسول ا لله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ فقلت لها: ما كنتِ تقولين؟ قالت كنت أقول له: إن كان ذاك إلي فإني لا أريد يا رسول ا لله أن أوثر عليك أحد).

تابعه عباد بن عباد[3] سمع عاصماً.

ش: فيهما ثمان مسائل:

---

(١) هو أبو السُكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن الطائي: الكوفي الخزاز صدوق له أوهام لينه بسببها الدار قطني من العاشرة مات سنة إحدى وخمسين ومائتين خ.

(٢) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد ا لله العدويه البصرية ثقة من الثالثة ع.

(٣) هو أبو معاويه عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة الأزدي البصري ثقة ربما وهم من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة أو بعدها بسنه ع.

الأولى: قوله «**كنت أغار**» كذا وقع هنا بالغين المعجمة من الغيرة وهي الحمية والأنفة يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن بشر عن هشام بن عروة بلفظ (كانت تعير اللاتي وهبن أنفسهن) بعين مهملة وتشديد، قاله الحافظ قلت وفي المصباح (عيرته به قبحته عليه ونسبته إليه يتعدى بنفسه وبالباء، قلت والمستفاد من الروايتين أن عائشة رضي الله عنها غارت على أولئك النسوة وعيرتهن بصنيعهن.

الثانية: قوله «**وهبن أنفسهن**» هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، ويؤيده ما أخرجه المصنف في باب تزويج المعسر من حديث سهل بن سعد (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك) وفيه قصة الرجل الذي قال يا رسول الله زوجنيها قال: (التمس ولو خاتماً من حديد)

ثانيا: وأخرج أبو يعلى وأحمد في مسنديهما من حديث أنس (أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له: أن لي ابنة فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع ولم تشتك قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك) وهذه امرأة أخرى بلا شك.

ثالثاً: قال الحافظ: وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبيﷺ هي خوله بنت حكيم، ومن طريق الشعبي قال: من الواهبات أم شريك، وأخرجه النسائي من طريق عروة.

رابعاً: وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح.

خامساً: وخوله بنت حكيم كما أخرجه ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن خوله بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول اللهﷺ وهو أيضاً عند المصنف في باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد من النكاح.

قلت فثبت من مجموع هذه الأخبار أن من وهبت نفسها للنبيﷺ خمس من نساء المسلمات لكنه لم يدخل بواحدة منهن ودليله ما رواه ابن جرير من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس (لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له) قلت وإسناده حسن.

الثالثة: قوله «**أتهب المرأة نفسها**» في النكاح باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد (ما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل) وهذا استفهام واستنكاراً والباعث عليه الغيرة والمعنى كيف تهب المرأة نفسها فكأنها تعيب عليهن ذلك.

الرابعة: قوله «فلما أنزل الله تعالى ﴿**ترجي من تشاء منهن... إلى قوله فلا جناح عليك**﴾» هذا هو الشاهد من الحديث وقد شرحناه أول الباب.

الخامسة: قوله «**ما أرى ربك إلا يسارع في هواك**» أي ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير، منزلا لما تحب وتختار.

قوله «**تابعه عباد بن عباد سمع عاصماً** » يعني تابع عبد الله بن المبارك عباد بن عباد وصله ابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى بن معين عن عباد بن عباد، ورويناه في الجزء الثالث من حديث يحيى بن معين رواية أبي بكر المروزي عنه من طريق المصريين إلى المروزي قاله الحافظ.

السادسة: قوله «**أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿ترجي من تشاء منهن...﴾** الخ الآية» فيه دليل على أنهﷺ كان يقسم بين نسائه وذلك بجعله يوماً لكل واحدة منهن وفي ذلك أحاديث منها:

ما رواه مسلم عن أنس قال (كان للنبيﷺ تسع نسوة وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها.

ثانيها: وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً امرأة امرأة فيدنوا ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها. رواه أحمد ورواه أبو داود بنحوه.

ثالثها: في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها كان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنوا من إحداهن.

فقد اتفقت هذه الأحاديث الثلاثة على أربعة أمور:

أولاً: القسمة بين نسائه ﷺ وأن كل واحدة منهن لها يوم يبيت عندها فيه.

ثانيا: جواز مرور الرجل على غير صاحبة النوبة من نسائه ومجالستها لمؤانستها وتفقد أحوالها من غير مبيت.

ثالثاً: وجوب المبيت عند صاحبة النوبة.

رابعاً: جواز اجتماع الرجل مع نسائه عند صاحبة النوبة من غير مبيت.

تنبيه:

في حديث أنس «**وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى تسع**».

قلت: والمشهور انه ﷺ كان يقسم بين ثمان من نسائه ويجعل ليلة سوده لعائشة فيبيت عندها ليلتين لأن سوده تنازلت عن ليلتها لعائشة كما رواه أبو داود.

وهنا سؤال هل كان هذا القسم واجباً عليه أو مخيراً فيه؟

وصواب القول عندي أنه يجب القسم عليه ﷺ بين نسائه شأنه في ذلك شأن سائر الأمة، كما هو مقرر في الأصول من أن الأصل في الخطاب شموله ﷺ إلا فيما ثبت فيه خصوصيته، ويدل على وجوب القسمة في حقه ﷺ أدلة كثيرة منها:

أولاً: قول عائشة في حديث الباب «كان يستأذن في يوم المرأة منا» فلو كان له التخيير بين القسم وعدمه ما احتاج إلى الاستئذان.

ثانيا: ما رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في شأن سودة وفيه قالت (يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جمعاً، فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سوده بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله منها.

قلت: ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: أن دنوه عليه الصلاة والسلام من نسائه حين طوافه عليهن حتى ينتهي بصاحبة النوبة، هو تفسير الإيواء في الآية.

الثاني: لو كان مخيراً ما أحوج الأمر سوده أن تهب نوبتها لعائشة.

ثالثاً: ومن الأدلة على وجوب القسم ما رواه البخاري من حديث عائشة أنه ﷺ كان يسأل أين أنا غداً وذلك في مرضه الذي مات فيه، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها... الحديث، فلو كان له ﷺ التخيير في القسم ما احتاج إلى إذن أزواجه في هذه الحال مع أنه ليس على المريض حرج، والله أعلم.

السابعة: قوله «**ما كنت تقولين**» القائل راوية عائشة معاذه بنت عبد الله العدويه البصرية، وفيه جواز السؤال عن الخصوصيات إذا ترتب عليه مصلحة شرعية ولهذا أجابتها عائشة رضي الله عنها.

الثامنة: قوله «**إن كان ذاك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً**» وعند مسلم في الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً (إن كان ذاك إلي لم أوثر أحداً على نفسي) قال النووي: هذه المنافسة فيه ﷺ ليست لمجرد

الاستمتاع ولمطلق العشرة وشهوات النفوس وحظوظها التي تكون من بعض الناس بل هي منافسة في أمور الآخرة والقرب من سيد الأولين والآخرين والرغبة فيه وفي خدمته ومعاشرته والاستفادة منه وفي قضاء حقوقه وحوائجه وتوقع نزول الرحمة والوحي عليه عندها ونحو ذلك ومثل هذا حديث ابن عباس وقوله في القدح لا أوثر بنفسي منك أحداً ونظائر ذلك كثيرة. ا.هـ

٢٨٠ – [باب قوله **﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم وا لله لا يستحي من الحق، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، إن ذلكم كان عند ا لله عظيما﴾**].

ش: **قلت**: وأول الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا...الخ﴾**.

قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا... إلى قوله ناظرين إناه﴾** يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول ا للهﷺ: يا أيها الذين آمنوا با لله ورسوله، لا تدخلوا بيوت نبي ا لله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه.

﴿غير ناظرين إناه﴾ يعني غير منتظرين إدراكه وبلوغه قاله ابن جرير، ثم أخرج هذا المعنى أعني في قوله غير ناظرين إناه عن مجاهد وابن عباس وقتادة.

قوله **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث﴾** بين لهم سبحانه ما ينبغي لهم إذا دعوا فقال **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾** وفيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الأذن قال ابن العربي: وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول، وقيل إن فيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه.

﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أمرهم سبحانه بالانتشار بعد الطعام وهو التفرق، والمراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه عند انقضاء المقصود من الأكل.

﴿**ولا مستأنسين لحديث**﴾ عطف على قوله غير ناظرين أو على مقدر أي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين والمعنى النهي لهم عن أن يجلسوا بعد الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث. ا.هـ من كلام الشوكاني.

قوله ﴿**إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وا لله لا يستحيي من الحق**﴾ بين سبحانه حكمة النهي وفائدته فقال ﴿**إن ذلكم**﴾ أي انتظاركم الزائد على الحاجة ﴿**كان يؤذي النبي**﴾ أي يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته وانتقاله فيه ﴿**فيستحيي منكم**﴾ أن يقول لكم اخرجوا كما هو جاري العادة أن الناس وخصوصاً أهل الكرم منهم يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ولكن ا لله لا يستحيي من الحق فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدباً وحياء، فإن الحزم كل الحزم اتباع الأمر الشرعي وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شئ، وا لله لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم والرفق لرسوله كائناً ما كان. ا.هـ من تفسير ابن سعدي.

قوله ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**﴾ أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

وقوله ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول ا لله**﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول ا لله، وما يصلح ذلك لكم.

﴿**ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وقوله ﴿**إن ذلكم كان عند ا لله عظيماً**﴾ والإشارة بقوله ﴿**إن ذلكم**﴾ إلى أذيته ﷺ ونكاح أزواجه من بعده ﴿**كان عند ا لله عظيماً**﴾ أي ذنباً عظيماً وخطباً هائلاً شديداً.

من فقه الآية

أولاً: أمر المؤمنات عامة ونساء النبيﷺ خاصة بالحجاب من غير ذوي المحارم.

ثانياً: على من دعي إلى وليمة إجابة الدعوى تطيباً لخاطر الداعي، ومن ثم المغادرة بعد أن يطعموا، دون إطالة المكث إلى حد يتأذى به صاحب الوليمة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ـ [يقال: إناه إدراكه أنى يأنى أناة فهو آن].

ش: قال أبو عبيدة: أناه أي إدراكه وبلوغه ويقال أنى لك أن تفعل يأني أنياً والاسم إنى وأنى أبلغ أدرك قال:

تمحضت المنون له بيوم أنى ولكلِ حاملة تمام اهـ.

٢ـ [**﴿لعلَ الساعة تكون قريباً﴾ إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبه وإذا جعلته ظرفاً وبدلاً ولم ترد الصفة، نزعت الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع، للذكر والأنثى**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مجاز الظرف هاهنا ولو كان وصفاً للساعة لكان قريبه، وإذا كان ظرفاً فإن لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء وبغير تثنية وبغير جمع.

والآية المشار إليها **﴿يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند ا لله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾**.

٣١١ - حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس قال (قال عمر رضي ا لله عنه: قلت يا رسول ا لله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل ا لله آية الحجاب).

٣١٢ - حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي[١] حدثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يقول حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئتُ فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد قاموا ، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية.

٣١٣ - حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال أنس بن مالك (أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب: لما أهديت زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - إلى قوله ـ من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب، وقام القوم.

٣١٤ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال (بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي البصري ثقة من كبار العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين على الصحيح خ م س ق.

البيت ورحمة ا لله، فقالت: وعليك السلام ورحمة ا لله، كيف وجدت أهلك، بارك ا لله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبيﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبيﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

٣١٥ – حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد ا لله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن أنس رضي ا لله عنه قال (أولم رسول ا للهﷺ حين بنى بزينب بنت جحش فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن، ويسلمن عليه، ويدعو لهن، ويدعون له، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي ا للهﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر، فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى حدثنا حميد سمع أنساً عن النبيﷺ.

٣١٦ – حدثني زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي ا لله عنها قالت (خرجت سوده ـ بعدما ضرب الحجاب ـ لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سوده، أما وا لله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين قالت: فانكفأت راجعة، ورسول ا للهﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول ا لله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى ا لله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن).

ش / فيها ثمان عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «**يا رسول ا لله يدخل عليك البر والفاجر**» **قلت:** البر هو الصادق التقي وعكسه الفاجر وهو كل كذوب أثيم والمعنى أنه لمكانتك يدخل عليك أخلاط من الناس.

الثانية: قوله «**فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب**» لو ها هنا للعرض وهو الطلب برفق ومنه قولك، لو تنزل عندنا فتصيب خيراً والمعنى أن في عبارة عمر هذه الطلب من رسول ا للهﷺ أن يأمر نساءه بالاحتجاب وهو التستر وقد قدم العلة قبل ذلك.

الثالثة: قوله: «**فأنزل ا لله آية الحجاب**» **في رواية أبي مجلز** «فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل ا لله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية**﴾» وفي رواية أبي قلابة بعدها (فأنزل ا لله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ـ إلى قوله ـ من وراء حجاب**﴾ فضرب الحجاب وقام القوم).

الرابعة: قوله «**لما تزوج رسول ا لله ﷺ زينب بنت جحش**» هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئياب بن يعمر الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول ا لله ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر عن ثلاث وخمسين سنة وقيل عن خمسين.

الخامسة: قوله «**دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون**» وفي رواية أبي قلابة (صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ثم يخرجون) وفي رواية حميد (فأشبع الناس خبزاً ولحماً)، وفي رواية الجعد (فقال ادع فلاناً وفلاناً وذهبت فدعوتهم زهاء ثلاثمائة رجل، وفي رواية الجعد بن عثمان عن أنس عند مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب قال (تزوج النبي ﷺ

فدخل بأهله فصنعت له أم سليم حيساً) ويمكن الجمع بأن طعام وليمته ﷺ كان من صنعه وصنع أم سليم.

السادسة: قوله «**وإذا هو يتأهب للقيام فلم يقوموا**» في رواية أبي قلابة (فجعل النبيﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود) وفي رواية ابن صهيب (فخرج النبيﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة... إلى قوله فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبيﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) وفي رواية حميد «فلما رجع إلى بيته رأى رجلين» ووافقه بيان بن عمرو عن أنس عند الترمذي، وأصله عند المصنف أيضا، قال الحافظ: ويجمع بين الروايتين بأنهم أول ما قام وخرج من البيت كانوا ثلاثة وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك فصاروا اثنين، وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وهم.

وجوز الكرماني أن يكون التحدث وقع من اثنين منهم فقط والثالث كان ساكتاً، فمن ذكر الثلاثة لحظ الأشخاص ومن ذكر الاثنين لحظ سبب القعود، قلت وقول أنس (فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) يرد هذا التأويل.

السابعة: قوله «**فجئت فأخبرت النبيﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل**» كذا بالجزم، وفي رواية حميد (فلا أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر) وفي رواية عبد العزيز عن أنس (فما أدري أخبرته أو أخبر) وهو مبني للمجهول أي أخبر بالوحي، وهذا الشك قريب من شك أنس في تسمية الرجل الذي سأل الدعاء بالاستسقاء، فإن بعض أصحاب أنس جزم عنه بأنه الرجل الأول وبعضهم ذكر أنه سأله عن ذلك فقال لا أدري، وهو محمول على أنه كان يذكره ثم عرض له الشك فكان يشك فيه ثم تذكر فجزم.

الثامنة: قوله «**فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾** الآية» زاد أبو قلابة في روايته **﴿إلا أن**

يؤذن لكم ـ إلى قوله ـ من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب، وفي رواية عبد العزيز (حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة والأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب) وعند الترمذي من رواية عمرو بن سعيد عن أنس (فلما أرخى الستر دوني ذكرت ذلك لأبي طلحة فقال: إن كان كما يقول لينزلن فيه قرآن، فنزلت آية الحجاب).

التاسعة: قوله «**أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب**» وعند المصنف في باب آية الحجاب من الاستئذان ومسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش من رواية الزهري عن أنس قال (أنا أعلم الناس في شأن الحجاب وكان في مبنى رسول الله ﷺ بزينب).

العاشرة: قوله «**لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ**» في رواية أبي مجلز (لما تزوج رسول الله ﷺ) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش، فقوله (لما أهديت) أي لما زينتها الماشطة وبعثتها إلى رسول الله ﷺ.

قال الجوهري: (والهداء مصدر قولك: هديت المرأة إلى زوجها هداء وقد هديت إليه وهي مهدية، وقوله (بني على النبي ﷺ بصفة المجهول من البناء وهو الدخول بالزوجة، والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبه ليدخل بها فيها، فيقال بنى الرجل على أهله).

الحادية عشرة: قوله «**فيجيء قوم فيأكلون الثلاث**» في رواية الجعد وقال لي رسول الله ﷺ (يا أنس هات التور)قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله ﷺ (ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل إنسان مما يليه)قال فأكلوا حتى شبعوا.

الثانية عشرة: قوله «**فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت وعليك السلام ورحمة الله، كيف**

وجدت أهلك بـارك ا لله لـك، فخـرج رسـول ا لله ﷺ واتبعتـه، فتقـرى حجـر نسائه كلهـن» وفي روايـة ثـابت عنـد مسـلم (فجعـل يتتبـع حجـر نسـائه يسـلم عليهن).

الثالثة عشرة: قوله «**وقال ابن أبي مريم...الخ**» قلت ابـن أبـي مريـم اسمـه سعيد بن الحكم الجمحي شيخ البخاري ويحيى ابن أيوب الغافقي المصـري ومـراد المصنف رحمه ا لله بهذا إثبات سماع حميد من أنس.

الرابعة عشرة: قوله «**سوده**» هي أم المؤمنين سوده بنت زمعة بن قيس بـن عبد شمس العامرية القرشية، تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة وهو بمكة ومـاتت سـنة خمس وخمسين على الصحيح، في خلافة معاوية رضي ا لله عنهما.

الخامسة عشرة: قولـه «**لحاجتهـا**» عنـد المصنـف في الوضـوء بـاب خـروج النساء إلى البراز (أن أزواج النبي ﷺ كـن يخرجـن بـالليل إذا تـبرزن إلى المنـاصع وهو صعيد أفيح).

السادسة عشرة: قوله «**وكانت امرأة جسـيمة لا تخفـى علـى أحـد**» عنـد المصنف في الوضوء ومسلم في السلام (وكانت امرأة طويلة).

السابعة عشرة: قوله: «**فرأها عمر فقال: يا سوده وا لله ما تخفـين علينـا**» وفي رواية ابن شهاب (فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سوده، حرصاً على أن يـنزل الحجاب، فأنزل ا لله آية الحجاب).

قال مقيده: وهذا يخالف في ظاهره رواية الباب كما ترى.

قال الكرماني (١٨/٥٤): «لعله وقع مرتين، وتعقبه الحافظ بقوله: بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني».

الثامنة عشرة: قوله «**أنـه قـد أذن لكـن أن تخرجـن لحـاجتكن**» أذن بضـم الهمزة مبنياً للمفعول قال القسطلاني: دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج وفيه التنبيه على

أن المراد بالحجاب التستر حتى لا يبدوا من جسدهن شئ لا حجب أشخاصهن في البيوت.

من فقه الأحاديث

أولاً: في إشارة عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ بحجاب أمهات المؤمنين وإقرار النبي ﷺ ذلك فضيلة ومنقبة لعمر رضي الله عنه.

ثانياً: بذل المشورة لأهل الفضل وتنبيههم إلى مصالحهم.

ثالثاً: مشروعية الوليمة للعرس وهل هي واجبة أو مستحبة قولان لأهل العلم: فالأكثرون على الثاني وقال بعض أصحاب الشافعي بالوجوب قالوا لأن النبي ﷺ أمر بها عبد الرحمن بن عوف ولأن الإجابة إليها واجبة فكانت واجبة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (٣٢/٢٠٦): «أما وليمة العرس فهي سنة».

وقال ابن قدامه في المغني كتاب الوليمة (٨ /١٠٦): «ولنا أنها طعام لسرور حادث فأشبه سائر الأطعمة والخبر محمول على الاستحباب».

رابعاً: مشروعية الدعوة إلى الوليمة والتوسعة فيها بما أمكن وهذا مستفاد من أمر النبي ﷺ بذلك وقوله في بعض طرق الحديث (ادع فلان وفلان) وفي بعض طرقه (ومن لقيت) فدعى أنس حتى بلغ المدعوون نحو ثلاثمائة رجل.

خامساً: إجابة الدعوة إلى وليمة العرس، قال ابن عبد البر: «لا خلاف في وجوب الإجابة إلى الوليمة لمن دعي إليها إذا لم يكن فيها لهو، وبه يقول مالك والشافعي والعنبري وأبو حنيفة وأصحابه، ومن أصحاب الشافعي من قال هو من فروض الكفايات لأن الإجابة إكرام وموالاة فهي كرد السلام»، حكاه في المغني كتاب الوليمة (٨/ ١٠٧).

قال مقيده: وعندي أن الإجابة إلى وليمة العرس واجبة على الأعيان لورود الأمر بذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ منها: عن ابن عمر رضي الله

عنهما عن النبي ﷺ قال (إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو نحوه) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل وإن كان مفطراً فليطعم. رواهما مسلم.

٢٨١ - [باب قوله **﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شئ عليماً لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن، واتقين الله إن الله كان على كل شئ شهيداً﴾**].

ش: قوله **﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شئ عليماً﴾** يقول تعالى ذكره إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء وغير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ يقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، أو تخفوه: يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم.

﴿فإن الله كان بكل شئ عليما﴾ يقول فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شئ وهو يجازيكم على جميع ذلك.

وقوله **﴿لا جناح عليهن في آبائهن... إلى قوله: ولا ما ملكت أيمانهن﴾** بين تعالى أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله **﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾** ... إلى أخرها وفيها زيادات على هذه.

وقوله «**﴿ولا نسائهن﴾**» يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات.

وقوله «**﴿وما ملكت أيمانهن﴾**» يعني به أرقاء هن من الذكور والإناث.

ثم أمرهن سبحانه بالتقوى التي هي ملاك الأمر كله والمعنى اتقين الله في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا.

﴿إن الله كان على كل شئ شهيداً﴾ لم يغب عنه شئ من الأشياء كائناً ما كان، فهو مجاز المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

٣١٧ - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثنا عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت (استأذن علي افلح أخو أبي القعيس

بعد ما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل علي النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن؛ فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك فقال النبي ﷺ وما منعك أن تأذني، عمك، قلت يا رسول الله، إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال ائذني له، فإنه عمك تربت يمينك).

قال عروة: فلذلك كانت عائشة تقول: حرموا من الرضاعة، ما تحرمون من النسب.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس» في النكاح باب لبن الفحل (أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها) وفي الشهادات باب الشهادة على الأنساب من طريق الحكم عن عروة (استأذن علي أفلح فلم آذن له) وعند مسلم أفلح بن قعيس قال الحافظ: والمحفوظ أفلح أخو أبي القعيس، ويحتمل أن يكون اسم أبيه قعيس أو اسم جده فنسب إليه فتكون كنية أبي القعيس وافقت اسم أبيه أو اسم جده، ويؤيده ما وقع في الأدب من طريق عقيل عن الزهري بلفظ (فإن أخا بني القعيس) وكذا وقع عند النسائي من طريق وهب بن كيسان عن عروة، وكذا لمسلم من طريق يونس ومعمر عن الزهري، وهو المحفوظ عن أصحاب الزهري، لكن وقع عند مسلم من رواية ابن عيينة عن الزهري أفلح بن أبي القعيس، وكذا لأبي داود من طريق الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه، ولمسلم من طريق ابن جريج عن عطاء (أخبرني عروة أن عائشة قالت استأذن علي عمي من الرضاعة أبو الجعد) قال فقال لي هشام: إنما هو أبو القعيس)، وكذا وقع عند مسلم من طريق أبي معاوية عن هشام (استأذن عليها أبو القعيس) وسائر الرواة عن هشام قالوا افلح أخو أبي القعيس كما هو

المشهور، وكذا قال سائر أصحاب عروة، ووقع عند سعيد بن منصور من طريق القاسم بن محمد (أن أبا قعيس أتى عائشة يستأذن عليها) وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق القاسم عن أبي قعيس، والمحفوظ أن الذي استأذن هو أفلح وأبو القعيس هو أخوه، قال القرطبي: كل ما جاء من الروايات وهم إلا من قال أفلح أخو أبي القعيس أو قال أبو الجعد لأنها كنية أفلح، **قلت**: وإذا تدبرت ما حررت عرفت أن كثيراً من الروايات لا وهم فيه ولم يخطئ عطاء في قوله أبو الجعد فإنه يحتمل أن يكون حفظ كنية أفلح، وأما ابن أبي القعيس فلم اقف عليه إلا في كلام الدار قطني فقال: هو وائل بن أفلح الأشعري، وحكى هذا ابن عبد البر ثم حكى أيضاً أن اسمه الجعد، فعلى هذا يكون أخوه وافق اسمه اسم أبيه، ويحتمل أن يكون أبو القعيس نسب لجده ويكون اسمه وائل بن قعيس بن أفلح بن القعيس، وأخوه أفلح بن قعيس بن أفلح أبو الجعد، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا أعلم لأبي القعيس ذكراً إلا في هذا الحديث) ا.هـ من الفتح.

قال مقيده: وأما أبو القعيس فنقل الحافظ عن ابن خزيمة وابن مندة حديث الباب وفيه (أن أبا قعيس وائل بن أفلح استأذن الخ) الحديث ثم قال بعد: (الذي يصح من رواية شعبة وغيره أن أفلح أخا أبي القعيس فأبو القعيس إن كان اسمه وائلاً صحت هذه الترجمة) قلت فعليه فالرجل رضي الله عنه مختلف في اسمه.

الثانية: قوله «**بعد ما انزل الحجاب**» في النكاح (وهو عمها من الرضاعة، بعد ما أنزل الحجاب) وعند مسلم في الرضاع (أتاني عمي من الرضاعة) فيجمع بينها بأن قوله وهو عمها من كلام عروة وبقية الألفاظ من كلام عائشة والله أعلم.

الثالثة: قوله «**لا آذن له حتى استأذن النبي ﷺ** » وعند مسلم في رواية يونس في الرضاع (والله لا آذن لأفلح) وفي النكاح (فأبيت أن آذن له) وكذا عند مسلم في رواية مالك.

الرابعة: قوله «**فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس**» وفي رواية يونس عند مسلم (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته) هذه الجملة تعليل لما سبق من عدم إذنها له بالدخول عليها ومرادها أنها لم تكن رضيعة لأفلح بل لأخيه أبي القعيس ولهذا قال لها كما في الشهادات (أتحتجبين مني وأنا عمك).

الخامسة: قوله «**إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن**» وفي رواية يونس يستأذن عليها، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت.

السادسة: قوله «**ما منعك أن تأذني، عمك**» وفي رواية مالك (فأمرني أن آذن له عليّ) وعند المصنف من رواية عراك (استأذن عليّ أفلح فلم آذن له فقال: أتحتجبين مني وأنا عمك، فقلت: وكيف ذلك، قال: أرضعتك امرأة أخي بلبن أخي فقالت: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدق أفلح، ائذني له) وفي رواية مالك في النكاح (إنه عمك فليلج عليك) أي ليدخل عليك، فبان بهذا دفع ما كانت تظنه عائشة من عدم محرمية أفلح لها وعبرت عنه بأنها لم ترضع بلبنه.

السابعة: قوله «**إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس**» في رواية يونس (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته) وهذه علة أخرى أوضحت بها لرسول الله ﷺ السبب في عدم إذنها لأفلح بالدخول عليها.

الثامنة: قوله «**قال عروة**» يظهر أن القائل هو ابن شهاب وعليه فليس بمعلق.

التاسعة: قوله «**حرموا من الرضاعة، ما تحرمون من النسب**» وفي رواية عراك عند مسلم (فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لها (لا تحتجبي منه، فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) فتحصل من هذا أن التحريم بالرضاعة مثل التحريم من النسب ثابت عن عائشة مرة من قولها ومرة بروايتها عن النبي ﷺ.

من فقه الحديث

أولاً: أن احتجاب النساء من الرجال لم يكن في أول الإسلام، وإنهم كانوا يرون النساء، ولا تستتر نساؤهم عن رجالهم إلا بمثل ما كان تستتر رجالهم عن رجالهم حتى نزلت آيات الحجاب.

ثانياً: أن ذوي المحارم من النسب والرضاع لا يحتجب منهم، ولا يستر عنهم إلا العورات.

ثالثاً: إذا رضع طفل من امرأة صارت أماً له وزوجها الذي رضع بلبنه أباه وأولادهما اخوة له وكذلك أولادها من ذلك الرجل أو غيره كما أن اخوة من رضع بلبنه أعمامه واخوة المرأة أخواله وأبو الرجل وأبو المرأة وإن علوا أجداده ودليل ذلك كله حديث ((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب)).

تنبيه

أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي فقال: انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة).

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث (١٤٨/٩): «والمعنى تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح شرطه من وقوعه في زمن الرضاعة، ومقدار الإرضاع فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط... وقوله (فإنما الرضاعة من المجاعة) فيه تعليل الباعث على إمعان النظر والفكر لأن الرضاعة تثبت النسب وتجعل الرضيع محرماً، وقوله (من المجاعة) أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي: حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته، لأن معدته ضعيفة يكيفها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير كجزء من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها»اهـ

قال مقيده: فلتحذر كل مسلمة من بذل نفسها في الإرضاع بدافع العاطفة أو المحبة ولتتنبه إلى ما أفاده هذا الحديث.

فوائد في الرضاعة:

الأولى: في معنى الرضاع، قال أهل العلم وهو لغة: مص اللبن من الثدي.

وشرعاً: مص من دون الحولين لبناً ثاب عن حمل أو شربه ونحوه.

قال مقيده: وعموم النصوص من الكتاب والسنة ومنها حديث الباب وحديث عائشة في التنبيه قبل هذا التعريف تفيد أن الحرمة بالرضاعة حاصلة بمجرد اللبن سواء كان عن حمل أو غيره.

الثانية: في القدر المحرم من الرضعات وفيه ثلاثة أقوال لأهل العلم:

الأول: أن القدر المحرم من الرضاع خمس مصات وهذا هو الصحيح في مذهب أحمد رحمه الله وبه قال الشافعي وروي هذا عن عائشة وابن مسعود وابن الزبير وعطاء وطاوس ومن أدلتهم ما رواه مسلم عن عائشة قالت: أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخ من ذلك خمس وصار إلى خمس رضعات معلومات يحرمن فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وروى مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة عن سهلة بنت سهيل أن النبي ﷺ قال لها: (ارضعي سالماً خمس رضعات فيحرم بلبنها).

القول الثاني: أنه يحرم قليل الرضاع وكثيره وهو الرواية الثانية عن أحمد وبه قال مالك وحماد وقتادة ومكحول والحسن والزهري وسعيد بن المسيب والأوزاعي والثوري والليث وأصحاب الرأي وروي هذا عن علي وابن عباس، ودليلهم قوله تعالى ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**﴾ وقوله ﷺ (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) **قالوا:** أن ذلك فعل يتعلق به تحريم مؤبد فلم يعتبر فيه العدد كتحريم أمهات النساء.

القول الثالث: أنه لا يحرم إلا ثلاث رضعات فما فوق وهو الرواية الثالثة عن الإمام أحمد وبه قال أبو ثور وأبو عبيد وابن المنذر وداود بن علي الظاهري، واحتجوا بقولهﷺ (لا تحرم المصة ولا المصتان) وعن أم الفضل بنت الحارث قالت: قال النبي ﷺ (لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان) رواهما مسلم، قالوا: ولأن ما يعتبر فيه العدد والتكرار يعتبر فيه الثلاث.

والأول هو الراجح ويجاب عن أدلة القول الثاني بأن ما استدلوا به مجمل بينته السنة كما يجاب عن أدلة الفريق الثالث بأن ما استدلوا به مفهوم وصريح أدلة القول الأول منطوق وهو مقدم على المفهوم.

الثالثة: وأعلم أنه لا تكون الحرمة بالرضاعة إلا بشرطين:

أولهما: أن يكون في الحولين لقوله تعالى ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ ولحديث (لا يحرم من الرضاع إلا ما أفتق الأمعاء وكان قبل الفطام) رواه الترمذي وصححه.

وثانيهما: أن يكون خمس رضعات معلومات وتقدير الرضعة يكون بإمساك الطفل الثدي وإطلاقه باختياره.

فإن قال قائل: فكيف الجواب عن قصة رضاع سالم مولى أبي حذيفة من امرأة أبي حذيفة ألم ترضعه وهو كبير قلنا الحديث في ذلك صحيح ولفظة كما رواه مسلم عن سهلة بنت سهيل أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن سالماً مولى أبي حذيفة معنا في بيتنا وقد بلغ ما يبلغ الرجال فقال: (أرضعيه تحرمي عليه) قلت ولكن كان إرضاع سالم لضرورة كما هو ظاهر من لفظ الحديث فلا يعترض به على ما قدمناه قبل والله أعلم.

٢٨٢ - [باب ﴿إن ا لله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾].

ش: المقصود من هذه الآية أن ا لله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي من أهل الإيمان بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي ا لله محمد ﷺ وسلموا عليه تسليماً يقول: وحيوه تحية الإسلام.

شرح جملة من الآثار

١ - [قال أبو العالية: صلاة ا لله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء].

ش: قال ابن كثير: وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضاً.

قلت وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي البصري تابعي مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر الصديق رضي ا لله تعالى عنه وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه مات سنة تسعين،(ع).

٢ - [وقال ابن عباس: يصلون يبرّكون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (يباركون على النبي).

٣ - [﴿لنغرينك﴾ لنسلطنك].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه (لنسلطنك عليهم).

وأخرج عن قتادة (لنحرشنك بهم)، والعبارتان متقاربتان في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾.

٣١٨ - حدثني سعيدبن يحيى[١] حدثنا أبي[٢] حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة[٣] رضي الله عنه (قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

٣١٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني ابن الهاد عن عبد الله[٤] بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: (قلنا يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم) قال أبو صالح عن الليث (على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم)، حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد وقال (كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم).

ش / فيهما ست مسائل:

(١) هو أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي البغدادي ثقة ربما أخطأ من العاشرة، مات سنة تسع وأربعين [ومائتين] خ،م، د، ت، س.

(٢) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطئ من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين ومائتين خ، ت.

(٣) هو أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون، ع.

(٤) هو عبد الله بن خباب الأنصاري النجاري مولاهم المدني، ثقة من الثالثة مات بعد المائة، ع.

الأولى: قوله «**قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه**» في حديث أبي سعيد بعده (قلنا يا رسول الله هذا التسليم) والمراد بالسلام ما علمهم إياه في التشهد من قولهم (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) قال الحافظ: والسائل عن ذلك هو كعب بن عجرة نفسه، أخرجه ابن مردويه من طريق الأجلح عن الحكم بن أبي ليلى عنه.

قلت: وقد وقع السؤال عن ذلك أيضاً لبشير بن سعد والد النعمان بن بشير، كذا وقع في حديث أبي مسعود عند مسلم بلفظ (أتانا رسول الله في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟) وروى الترمذي في الصلاة باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال (لما نزلت ﴿**إن الله وملائكته**﴾ الآية، قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة؟). ولا مانع من تعدد السائلين.

الثانية: قوله «**فكيف الصلاة عليك؟**» في حديث أبي سعيد (فكيف نصلي عليك؟) زاد أبو مسعود في روايته كما أخرج أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان (إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا) وفي هذا دليل على أن العبادات توقيفية.

الثالثة: قوله «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» في حديث أبي سعيد (على محمد عبدك ورسولك).

الرابعة: قوله: «**كما صليت على آل إبراهيم**» أي تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد فكل من النبيين عبدك ورسولك وخليلك.

فائدة

أورد ابن القيم في جلاء الأفهام (ص٢١٤) سؤالاً: «وهو أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم، فكيف طلب له من الصلاة ما لإبراهيم مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه فكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافرين؟»

فذكر أن الناس اختلفوا في هذا تسع طوائف ونحن نذكر ذلك مع اختصار وتصرف:

أولاً: قالت طائفة: هذه الصلاة علمها النبي ﷺ أمته قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم، ولو سكت قائل هذا، لكان أولى به وخيراً له، فإن هذه الصلاة التي علمهم النبي ﷺ إياها لما سألوه عن تفسير ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾، فعلمهم هذه الصلاة وجعلها مشروعة في صلوات الأمة إلى يوم القيامة، والنبي ﷺ لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده، وبعد أن علم بذلك، لم يغير نظم الصلاة التي علمها أمته، ولا أبدلها بغيرها، ولا روى عنه أحد خلافها، فهذا من أفسد جواب يكون.

ثانياً وقالت طائفة أخرى: هذا السؤال والطلب شرع ليتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.

وقد أجابه إلى ذلك كما ثبت عنه في الصحيح: (ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن يعني نفسه، وهذا الجواب من جنس ما قبله فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذه الله خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه، وهذا من أبطل الباطل.

ثالثاً: وقالت طائفة أخرى: إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يحصل له من طلب الصلاة عليه، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على آل إبراهيم، لا بالنسبة إلى النبيﷺ، فإن المطلوب لرسول الله ﷺ من الصلاة أجل وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين.

وهذا من جنس ما قبله أو أفسد، فإن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلي، بل فيما يحصل للمصلى عليه وهو النبي ﷺ وآله، فمن قال: إن المعنى اللهم أعطني من ثواب صلاتي عليه كما صليت على آل إبراهيم فقد حرف الكلم وأبطل في كلامه.

رابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه عائد إلى الآل فقط، وتم الكلام عند قوله: ((اللهم صل على محمد)) ثم قال: ((وعلى آل محمد كما صليت على آل

إبراهيم)) فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بـالصلاة الحاصلـة لآل إبراهيـم، وهذا نقله العمراني عن الشافعي وهو باطل عليه قطعاً، فإن الشافعي أجل مـن أن يقـول مثـل هـذا، ولا يليـق هـذا بعلمـه وفصاحتـه، فـإن هـذا في غايـة الركاكـة والضعف.

خامساً: وقالت طائفة أخرى: لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه، بل يجوز أن يكونا متماثلين وأن يكون المشبه أعلـى مـن المشـبه بـه. قـال هـؤلاء: والنبي ﷺ أفضل مـن إبراهيـم مـن وجـوه غـير الصـلاة، وإن كانـا متسـاويين في الصلاة. قالوا: والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل من المشبه به قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وهذا القول أيضاً ضعيف من وجوه:

أحدها: أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء، فإن العرب لا تشبه الشيء إلا بما هو فوقه.

الثاني: أن الصلاة من الله تعـالى مـن أجـل المراتـب وأعلاهـا، ومحمـد ﷺ أفضل الخلق، فلا بد أن تكون الصلاة الحاصلة لـه أفضـل مـن كـل صـلاة تحصـل لكل مخلوق، فلا يكون غيره مساوياً له فيها.

الثالث: أن الله سبحانه أمر بها بعد أن أخبر أنـه وملائكتـه يصلـون عليـه، وأمر بالصلاة والسلام عليه، وأكده بالتسليم، وهـذا الخبر والأمـر لم يثبتهمـا في القرآن لغيره من المخلوقين.

سادساً: وقالت طائفة أخرى: إن النبي ﷺ له من الصلاة الخاصة به التي لا يساويها صلاة ما لم يشركه فيها أحد، والمسئول له إنما هو صلاة زائـدة علـى مـا أعطيه مضافاً إليـه، ويكـون ذلـك الزائـد مشـبهاً بـالصلاة علـى إبراهيـم، وليـس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيها المفضول منضماً إلى ما اختص به هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره.

قالوا: ومثال ذلك: أن يعطي السلطان رجلاً مالاً عظيماً ويعطي غيره دون ذلك المال، فيسأل السلطان أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطى من هو دونه لينضم ذلك إلى ما أعطيه، فيحصل له من مجموع العطاءين اكثر مما يحصل من الكثير وحده.

وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا ما دونها، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها، لا الصلاة المرجوحة المفضولة.

وعلى قول هؤلاء: إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب، ولا ريب في فساد ذلك، فإن الصلاة التي تطلبها الأمة له من ربه هي أجل صلاة وأفضلها.

سابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة، لا في قدرها، ولا في كيفيتها، فالمسئول إنما هو راجع إلى الهيئة، لا إلى قدر الموهوب، وهذا كما تقول للرجل أحسن إلى ابنك كما أحسنت إلى فلان، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان، وإنما تريد به أصل الإحسان، وقد يحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿**وأحسن كما احسن الله إليك**﴾، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يحسن بقدر ما احسن الله إليه، وإنما أريد به أصل الإحسان لا قدره، ومنها قوله تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾ وهذا التشبيه في أصل الوحي لا في قدره وفضل الموحى به.

وقوله تعالى: ﴿**فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**﴾ إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها.

وقوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم**﴾ ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة، وأن ما لهذه الأمة

أكمل مما لغيرهم. وقال النبي ﷺ: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)) فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ولا كيفيته ونظائر ذلك.

وهذا الجواب ضعيف أيضاً لوجوه:

منها أن ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى والمساوي. فلو قلت: أحسن إلى أبيك وأهلك كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه، جاز ذلك. ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة، لحسن أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل أبي أوفى، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه، أو كما صليت على آدم، ونوح، وهود، ولوط، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا صفتها، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه، وأي ميزة وفضيلة في ذلك لإبراهيم وآله، وما الفائدة حينئذ في ذكره وذكر آله؟ وكان الكافي في ذلك أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط.

الثاني: أن ما ذكروه من الأمثلة ليس بنظير الصلاة على النبيﷺ، فإن هذه الأمثلة نوعان: خبر، وطلب؛ فما كان منها خبراً فالمقصود بالتشبيه به الاستدلال والتقريب إلى الفهم وتقرير ذلك الخبر، وأنه مما لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظير المشبه به، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها، وحكم النظير حكم نظيره.

وأما في قسم الطلب والأمر فالمقصود منه التنبيه على العلة وأن الجزاء من جنس العمل.

الثالث: أن قوله: (كما صليت على آل إبراهيم) صفة لمصدر محذوف، وتقديره: صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة للصلاة المشبهة بها فلا يعدل عن حقيقة الكلام ووجهه.

ثامناً: وقالت طائفة أخرى: إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين، فكل مصل صلى على النبي ﷺ بهذه الصلاة فقد طلب من الله أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ولا ريب أنه إذا حصل من كل مصل طلب من الله له صلاة مثل صلاته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعاف مضاعفة من الصلاة لا تعد ولا تحصى، ولم يقاربه فيها أحد، فضلاً عن أن يساويه أو يفضله ﷺ.

ونظير هذا أن يعطي ملك لرجل ألف درهم، فيسأله كل واحد من رعيته أن يعطي لرجل آخر أفضل منه نظير تلك الألف، فكل واحد قد سأله أن يعطيه ألفاً، فحصل له من الألوف بعدد كل سائل.

وأورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالاً: وهو أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة، وكل فرد من أفرادها، فالإشكال وارد كما هو.

وتقريره أن العطية التي يعطاها الفاضل لا بد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول، فإذا سئل له عطية دون ما يستحقه لم يكن ذلك لائقاً بمنصبه.

وأجابوا عنه بان هذا الإشكال إنما يراد إذا لم يكن الأمر للتكرار، فأما إذا كان الأمر للتكرار فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه له صلاة بعد صلاة، كل منها نظير ما حصل لإبراهيم ﷺ فيحصل له من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

وهذا أيضاً ضعيف، فإن التشبيه هنا إنما هو واقع في صلاة الله عليه لا في معنى صلاة المصلي، ومعنى هذا الدعاء: اللهم أعطه نظير ما أعطيت إبراهيم، فالمسئول له صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه، فيكون كل مصل قد سأل الله أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها، وهذا السؤال والأمر به متكرر، فهل هذا إلا تقوية لجانب الإشكال؟.

ثم إن التشبيه وقع في أصل الصلاة وأفرادها، ولا يغني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه، كما هو مقتضى التشبيه، فلو كان التكرار يجعله كذلك، لكان الاعتذار به نافعاً، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه؟ فظهر ضعف هذا الجواب.

تاسعاً: وقالت طائفة أخرى: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل النبي ﷺ من ذلك ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمدﷺ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره.

وتقرير ذلك: أن يجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد ﷺ وآله، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم، فيبقى قسم النبي ﷺ والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة بهﷺ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم، وهذا أحسن من كل ما تقدمه.

وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم.

الخامسة: قوله «**قال أبو صالح عن الليث**» يعني بالإسناد المذكور قبل.

قوله «**على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم**» يعني أن عبد الله بن يوسف لم يذكر آل إبراهيم عن الليث وذكرها أبو صالح عنه في الحديث المذكور.

قال الحافظ: وهكذا أخرجه أبو نعيم من طريق يحيى بن بكير عن الليث.

قوله: «حدثنا ابن أبي حازم» هو عبد العزيز بن سلمة بن دينار، قوله (والدراوردي) هو عبد العزيز بن محمد.

السادسة: قوله «**عن يزيد**» هو ابن عبد الله بن شداد بن الهاد شيخ الليث فيه، ومراده أنهما روياه بإسناد الليث، فذكر آل إبراهيم كما ذكره أبو صالح عن الليث.

قال الحافظ: وقد روى إسماعيل بن إسحاق في كتاب أحكام القرآن له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب (أما بعد فإن ناساً من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين، ويدعوا ما سوى ذلك) ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح قال (لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار) وذكر أبو ذر أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، وقيل من ليلة الإسراء. ا.هـ من الفتح.

فائدتان

الأولى: في حكم الصلاة عليه ﷺ حكى الحافظ في شرحه لباب الصلاة على النبي ﷺ من كتاب الدعوات من هذا الصحيح عشرة أقوال وهي:

أولها: قول ابن جرير الطبري أنها من المستحبات وادعى الإجماع على ذلك.

ثانيها: مقابله وهو نقل ابن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة.

ثالثها: تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي من الحنفية وابن حزم وغيرهما.

وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، وسبقه ابن عطية.

رابعها: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه.

خامسها: تجب في التشهد وهو قول الشعبي وإسحاق بن راهويه.

سادسها: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل نقل ذلك عن أبي جعفر الباقر.

سابعها: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد قاله أبو بكر بن بكير من المالكية.

ثامنها: كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية، وقال ابن العربي من المالكية أنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري.

تاسعها: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً حكاه الزمخشري.

عاشرها: في كل دعاء حكاه أيضاً.

الثانية: فيما صح عن النبي ﷺ من صيغ الصلاة عليه وهي كثيرة منها:

١ - ما رواه أحمد، والطحاوي في المشكل وغيرهما عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

٢ - ما رواه مسلم عن أبي حميد الساعدي قال ﷺ: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه و ذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) وإن شئت الوقوف على المزيد في هذا الباب فانظر جلاء الأفهام لابن القيم من (ص ٢٩)، وصفة الصلاة للألباني من (ص ١٤٦).

٢٨٣ - [باب قوله ﴿**لا تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه ا لله مما قالوا وكان عند ا لله وجيهاً**﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي ا للهﷺ: يا أيها الذين آمنوا با لله ورسوله لا تؤذوا رسول ا لله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي ا لله، فرموه بعيب كذباً وباطلاً.

واعلم أن أهل العلم اختلفوا في الأذى الذي ناله من قومه وبرأه ا لله منه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه آدر يعني كبير الخصيتين، وبه قال ابن عباس وابن زيد.

ثانيها: أنه أبرص وهو قول سعيد بن جبير.

ثالثها: أنهم ادعوا عليه قتل أخيه هارون، وبه قال علي بن أبي طالب والذي اختاره ابن جرير بعد حكايته هذه الأقوال أن بني إسرائيل آذوا نبي ا لله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه ا لله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك كان ادعاؤهم أنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاؤهم عليه قتل أخيه هارون وجائز أن يكون كل ذلك.

قلت: وأول الأقوال وثانيها من تفسير النبي ﷺ كما سيأتي بعد في شرح حديث الباب وما كان من تفسير النبي ﷺ لكتاب ربه فلا يعدل عنه إلى سواه من الأقوال.

وقوله: ﴿**فبرأه ا لله مما قالوا**﴾ أي فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم.

وقوله: ﴿**وكان عند ا لله وجيهاً**﴾ يقول وكان موسى عند ا لله مشفقاً فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

٣٢٠ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: إن موسى كان رجلاً حيياً، وذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً﴾.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**إن موسى كان رجلاً حيياً**» يعني كثير الحياء وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، زاد في الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام من هذا الوجه (ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحياءً منه).

الثانية: قوله وذلك «قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً**﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد قدمنا شرحه متبوعاً باختلاف أهل العلم فيما نال موسى من آذى قومه وبرأه الله منه وقد ذكر المصنف الحديث في الأنبياء بأتم من هذا ولفظه (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحيا منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما آدر وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله ﴿**يا**

---

(١) هو خلاس بن عمرو الهجري البصري ثقة وكان يرسل من الثانية وكان على شرطة علي وقد صح أنه سمع من عمار، ع.

أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذو موسى فبرأه ا لله مما قـالوا وكـان عنـد ا لله وجيهاً﴾.

من فقه الحديث

١ ـ كمال خلق الأنبياء وخلقهم.

٢ ـ تحريم عيب الأنبياء في شيء من خلقهـم أو خلقهـم وأنـه يخشـى علـى فاعل ذلك من الكفر.

٣ ـ فيه معجزة لموسى وذلك أنه خاطب الحجر ففهم عنه.

٤ ـ سوء معاملة بني إسرائيل لنبيهم موسىﷺ.

٥ ـ نهي المؤمنين عن التشبه بقوم موسى في أذية نبيهم.

آخر تفسير سورة الأحزاب والحمد لله.

سورة سبأ

٢٨٤ - سورة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله ﴿**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية...**﴾ وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [**يقال ﴿معاجزين﴾ مسابقين**].

ش: قاله أبو عبيدة، والكلمة وقعت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٢ - [**﴿بمعجزين﴾ بفائتين**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ويقال أعجز فلان فاتني وغلبني وسبقني، واعجز مني وهما سواء.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الأنعام.

٣ - [**﴿سبقوا﴾ فاتوا**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي الآية التاسعة والخمسون من سورة الأنفال.

٤ - [**﴿لا يعجزون﴾ لا يَفُوتون**].

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - [**﴿يسبقونا﴾ يُعْجِزونا**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة من سورة العنكبوت.

٦ - [**ومعنى ﴿معاجزين﴾ مغالبين يُريدُ كلٌّ واحدٍ منهما أن يُظهِر عَجْز صاحبِه**].

ش: **قلت**: وما بين هذا وما نقله أولاً في تفسير السورة استطراد وأظنه والعلم عند الله أراد به بيان أن ما نقله أولاً خلاف المختار ويوافق ما قاله المصنف ما أخرجه ابن جرير في تفسير الآية الخامسة من هذه السورة عن ابن زيد قال "جاهدين ليحبطوها أو يبطلوها"

والكلمة جاءت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٧ - [﴿معشار﴾ عشر].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي، فكيف كان نكير﴾.

٨ - [الأكل، الثمر].

ش: قال أبو عبيدة في قوله "أكلها" والأكل هو الجني.

والآية المشار إليها ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾.

٩ - [﴿باعد﴾ وبعّد واحد].

ش: قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ على وجه الدعاء والمسألة بالألف، وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة، ﴿بعّد﴾ بتشديد العين على الدعاء أيضاً.

والآية المشار إليها ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾.

١٠ - [وقال مجاهد ﴿لا يعزب﴾ لا يغيب﴾].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.

١١- [﴿العرم﴾: السد، ماء أحمر أرسله الله في السد فشقه وهدمه، وحفر الوادي، فارتفعت على الجنتين، وغاب عنهما الماء فيبستا، ولم يكن الماء الأحمر من السد، ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء].

ش: قوله سيل العرم السد كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، ولأبي ذر عن الحموي الشديد بمعجمة وزن عظيم.

وقوله فشقه كذا للأكثر بمعجمة قبل القاف الثقيلة وذكر عياض أن في رواية أبي ذر فبثقه بموحدة ثم مثلثة قبل القاف الخفيفة قال: وهو الوجه تقول بثقت النهر إذا كسرته لتصرفه عن مجراه.

وقوله «**فارتفعتا عن الجنتين**» كذا للأكثر بفتح الجيم والنون الخفيفة بعدها موحدة ثم مثناه فوقانية، ثم تحتانية ثم نون، ولأبي ذر عن الحموي بتشديد النون بغير موحدة تثنية جنه، واستشكل هذا الترتيب لأن السياق يقتضي أن يقول: ارتفع الماء على الجنتين وارتفعت الجنتان عن الماء، وأجيب بأن المراد من الارتفاع الزوال أي ارتفع اسم الجنة منهما فالتقدير فارتفعت الجنتان عن كونهما جنتين.

وقوله «**ولم يكن الماء الأحمر من السد**» كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، وللمستملي من السيل، وعند الإسماعيلي من السيول، وهذا الأثر عن مجاهد وصله الفريابي أيضاً وقال: السد في الموضعين فقال فشقه بالمعجمة والقاف الثقيلة، وقال على الجنتين تثنية جنه كما للأكثر في المواضع كلها. ا.هـ من الفتح.

١٢ ـ [وقال عمرو بن شرحبيل: ﴿العرم﴾ المسناه[1] بلحن أهل اليمن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أحمد بن عمر البصري ثنا أبو صالح بن زريق أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة فذكره.

قلت وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني كما في التقريب.

---

(١) ـ في المصباح مادة: سنن، والمسناة حائط يبنى في وجه الماء ويسمى السد.

١٣ - [وقال غيره: ﴿العرم﴾ الوادي].

ش: قلت أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

فتحصل بهذا أن في العرم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السد وبه قال مجاهد.

ثانيها: أنه المسناة بضم الميم و فتح السين المهملة بعدها نون مشددة مفتوحة وهو قول أبي ميسرة وهو عمرو بن شرحبيل.

وثالثها: أنه الوادي وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل﴾.**

١٤ - [السابغات الدروع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد واسعة طويلة.

والآية المشار إليها **﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾.**

١٥ -[وقال مجاهد: ﴿يجازي﴾ يعاقب].

ش: حكاه عن مجاهد بهذا اللفظ البغوي، وأخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ نعاقب.

وفي الآية قراءتان:

إحداهما: قراءة عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي ﴿وهل يجازى﴾ بالياء مضمومة، وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله.

ثانيهما: ما قرأه بعض قراء الكوفة "وهل نجازي" بالنون وبكسر الزاي.

والآية المشار إليها **﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾.**

١٦ - [﴿أعظكم بواحدة﴾ بطاعة ا لله].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

١٧ - [﴿مثنى وفرادى﴾ واحد واثنين].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**.

١٨ - [﴿التناوش﴾ الرد من الآخرة إلى الدنيا].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الرد.

وأخرج بالإسناد نفسه عنه في قوله **﴿من مكان بعيد﴾** قال من الآخرة إلى الدنيا.

والآية المشار إليها **﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾**.

١٩ - [﴿وبين ما يشتهون﴾ من مال أو ولد أو زهرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

وأخرج نحوه عن ابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: حيل بينهم وبين الإيمان با لله وهو قول الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعلل ذلك بقوله: لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب ا لله ما عاينوا ما أخبر ا لله عنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال ا لله وأنى لهم التناوش... الخ الآية.

قلت: وهذا اختيار جيد وظاهر السياق يؤيده وذلك بارتباط هذه الآية بالآيتين قبلها فإن الحق جل علاه بدأ السياق بقوله **﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش﴾** وختمه بقوله **﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾**.

٢٠ - [﴿بأشياعهم﴾ بأمثالهم].

ش: يبدو من سياق المصنف أنه تفسير مجاهد و لم أقف عليه بهذا اللفظ وأخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد بلفظ قال الكفار من قبلهم.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل﴾**.

٢١ - **[وقال ابن عباس: ﴿كالجواب﴾ كالجوبة من الأرض]**.

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال ابن جرير: وهي جمع جابية والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الأعشى:

تروح على نادي المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

ثم أخرج في المعنى عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور رآسيات﴾**.

٢٢ - **[الخمط: الأراك]**.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

٢٣ - **[والأثل: الطرفاء]**.

ش:أخرجه ابن جريرعن ابن عباس بالإسناد السابق والآيةالمشارإليها بالكلمتين **﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾**.

٢٤ - **[العرم الشديد]**.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٨٥ - [باب **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**.

قوله **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** أي لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شئ إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال تعالى **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** وقال **﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾** وقال **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾**.

وقوله **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم...الخ الآية﴾** يقول حتى إذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب قالوا ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة الحق وهو العلي على كل شئ الكبير الذي لا شئ دونه.

وقد اختلف المفسرون في من الموصوف بالفزع في هذه الآية وسبب ذلك على أقوال **أربعة**:

أحدها: أنهم الملائكة وسبب ذلك سماعهم الوحي قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد والضحاك وعبد الله بن القاسم وهذا القول يشهد له حديث الباب.

ثانيها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة وبه قال قتادة.

وثالثها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعاً بمرور المعقبات أن يكون حدث أمر الساعة وهو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنهم المشركون إنما يفزع الشياطين عن قلوبهم وبه قال ابن زيد حكى هذه الأقوال الأربعة ابن جرير واختار الأول وإيراد حديث الباب يدل على اختيار البخاري له.

٣٢١ - حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول (إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إذا قضى الله الأمر في السماء**» وعند ابن جرير في تفسير سورة سبأ عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي) وعند أبي داود باب في القران من كتاب السنة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تكلم الله بالوحي).

الثانية: قوله «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً**» بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى خاضعين.

الثالثة: قوله «**كأنه**» أي القول المسموع سلسلة على صفوان هو مثل قوله في بدء الوحي صلصلة كصلصلة الجرس وهو صوت الملك بالوحي وفي حديث النواس (أخذت السموات منه رجفة أوقال رعده شديدة خوف أمر الله، وفي حديث ابن مسعود (سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون)، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه (إذا تكلم الله

بالوحي يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون، ويرون أنه من أمر الساعة، وقرأ: حتى إذا فزع الآية.

قلت فتحصل من هذا شدة ما يقضيه الله من أمره على السماء وأهلها.

الرابعة: قوله «**على صفوان**» وهو الحجر الأملس زاد في سورة الحجر ضمن الباب الثاني والتسعين بعد المائة عن علي بن عبد الله (قال غيره - يعني غير سفيان - ينفذهم ذلك) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردوية من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه (فلا ينزل على أهل سماء إلاصعقوا)، وعند مسلم واللفظ له في كتاب السلام باب تحريم الكهانة من طريق علي بن الحسين بن علي عن ابن عباس عن رجال من الأنصار انهم كانوا عند النبيﷺ، فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات عظيم أو يولد عظيم، فقال: إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ماذا قال ربكم) الحديث، وليس عند الترمذي عن رجال من الأنصار.

الخامسة: قوله «**ومسترقوا السمع**» في رواية علي عند أبي ذر (ومسترق) بالإفراد وهو فصيح، وقوله (هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان) أي ابن عيينة (بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه) أي فرق، وفي رواية علي (ووصف سفيان بيده ففرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردوية (كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون منه الوحي) يعني يلقيها، زاد علي عن سفيان (حتى ينتهي إلى الأرض فيلقى).

السادسة: قوله «**على لسان الساحر أو الكاهن**» في رواية الجرجاني (على لسان الآخر) بدل الساحر وهو تصحيف، وفي رواية علي (الساحر والكاهن) وكذا قال سعيد بن منصور عن سفيان، والمعنى أي: يسمع المسترق الآخر على

من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن، وحينئذ يقع الرجم، والساحر من يعمل السحر والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

السابعة: قوله «**فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها**» الشهاب: هو النجم الذي يرمى به، أي: ربما أدرك المسترق الشهاب إذا رمى به قبل أن يلقي الكلمة إلى من تحته، وربما ألقاها المسترق قبل أن يدركه الشهاب، وهذا يدل على أن الرجم بالنجوم كان قبل المبعث، كما يؤيده حديث ابن عباس المذكور في المسألة الرابعة؛ وفيه قال معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أرأيت (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) قال: غلظت، وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ.

ووقع في رواية سعيد بن منصور عن سفيان في هذا الحديث (فيرمى هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يلقى على فم ساحر أو كاهن.

الثامنة: قوله «**فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» زاد علي بن عبد الله عن سفيان في تفسير الحجر (**فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء فما جاءوا به على وجهه حق ولكنهم يحرفون فيه ويزيدون**) وفي حديث ابن عباس وذكر فيه الحافظ زيادة (فيقول يكون العام كذا وكذا فيسمعه الجن فيخبرون به الكهنة فتخبر الكهنة الناس فيجدونه).

من فقه الحديث

أولاً: شدة خوف الملائكة من الله وشدة خشيتهم له.

ثانياً: أن الكهان والسحرة يستعينون بالشياطين.

ثالثاً: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

رابعاً: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

خامساً: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟.

سادساً: الرد على المنجمين الذين ينسبون الخير والشر والإعطاء والمنع إلى الكواكب بحسب السعود منها والنحوس وعلى حسب كونها في البروج الموافقة أو المنافرة، ونحو ذلك.

٢٨٦ - [**باب قوله ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله «**﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾**» يقول وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، وفرادى فرادى.

وقوله «**﴿ثم تتفكروا﴾**» أي في أمر النبي ﷺ وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ما بصاحبكم من جنة وذلك لأنهم كانوا يقولون إن محمداً مجنون.

وقوله «**﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**» يقول ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها.

وقوله **﴿هو﴾** كناية اسم محمد ﷺ.

فائدة

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئة المجانين في خنقهم واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته، أجل الحركات وهو أكمل الخلق أدباً، وسكينة، وتواضعاً، ووقاراً، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلاً، ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته، التي تملأ القلوب، أمناً وإيماناً، وتزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وتزجر عن مساوئ

الأخلاق ورذائلها إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالاًوتعظيماً فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم ؟

فكل مَن أحواله وقصده استعلامٌ ، هل هو رسول الله ؟ أم لا ؟ سواء تفكر وحده ، أم معه غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصاً المخاطبين وهو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره ». انتهى من تيسير الكريم الرحمن (١٩٩/٤)

٣٢٢ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

ش: سيأتي في تفسير سورة تبت ضمن الباب السادس والستين بعد الأربعمائة.

آخر تفسير سورة سبأ و لله الحمد والمنة.

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨٧ - سورة الملائكة

ش: والمعتمد في المصحف سورة فاطر وشاهد التسمية لكليهما ظاهر في أول آية من السورة.

وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة فاطر بمكة وقال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها خمس وأربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: القطمير لفافة النواة**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد كسحاة البيضة.

والآية المشار إليها ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾.

٢ - [﴿ **مُثْقَلة**﴾ **مثقّلة**].

ش: كذا في تفسير مجاهد برواية عبد الرحمن ثنا إبراهيم ثنا آدم ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿**وإن تدع مثقلة**﴾ أي مثقلة ذنوباً.

والآية المشار إليها ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى**﴾.

٣ - [**وقال غيره ﴿الحرور﴾ بالنهار مع الشمس**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وكان رؤبة يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار.

ونسجت لوامع الحرور برقرقان آلها المسجور

سبائباً كسرق الحرير.

٤ - [**وقال ابن عباس و﴿الحرور﴾ بالليل والسموم بالنهار**].

ش: لم أقف عليه موصولاً بهذا اللفظ وقد حكى البغوي عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس قال: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار.

والآية المشار إليها ﴿**ولا الظل ولا الحرور**﴾.

٥ - [﴿وغرابيب﴾ أشد سواد، الغربيب: الشديد السواد].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ (الغربيب الأسود الشديد السواد) حكاه الحافظ، وقال أبو عبيدة مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غربيب.

والآية المشار إليها **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾**.

آخر تفسير سورة الملائكة والحمد لله.

سورة يس

٢٨٨ – سورة يس

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي : من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيه الدخان أصبح مغفوراً له) إسناده جيد قاله ابن كثير.

قال القرطبي: مكية بالإجماع، وعدد آياتها ثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿فعززنا﴾ شددنا**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن زيد قال التعزز القوة والمعنى واحد.

والآية المشار إليها **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾**.

٢ - [**﴿يا حسرة على العباد﴾ كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة قال: أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله ومعناهما واحد.

والآية المشار إليها **﴿يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾**

٣ - [**﴿أن تدرك القمر﴾ لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي لهما ذلك**].

ش: وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بتمامه، حكاه الحافظ.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي ذلك لهما).

٤ -[**﴿ سابق النهار ﴾ : يتطالبان حثيثين**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد: ينسلخ أحدهما من الآخر.

والآية المشار إليها بالكلمتين: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾.

٥ - [﴿**نسلخ**﴾ **نخرج أحدهما من الآخر، ويجري كل واحد منهما**].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (يخرج أحدهما من الآخر) حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون**﴾

٦ - [﴿**من مثله**﴾ **من الأنعام**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره؛ ضمن القائلين بأن المعنى في الآية الإبل وهم ابن عباس وعكرمة وعبد الله بن شداد والحسن وثمة قول آخر أن المعنى به السفن وهذا قول ابن عباس والحسن في الرواية الأخرى عنهما وبه قال أبو مالك وأبو صالح والضحاك وقتادة وابن زيد، أخرجه أيضاً ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾.

٧ - [﴿**فكهون**﴾ **معجبون**].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ فاكهون معجبون، حكاه الحافظ.

قلت: وكذا حكاه عنه البغوي وحكاه عن الضحاك أيضاً، وأخرج ابن جرير عن مجاهد والحسن أي في نعمة وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**﴾

٨ - [﴿**جند محضرون**﴾ **عند الحساب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وهو أحد

قولين عنده في الآية والقول الآخر وهو الذي رجحه أنهم في الدنيا يقضون عليهم، وهو قول قتادة.

والآية المشار إليها ﴿لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾.

٩ - [**ويذكر عن عكرمة ﴿المشحون﴾ الموقر**].

ش: لم أقف على من أخرجه لكن أخرج ابن جرير من طريق عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وأخرجه أيضاً عن الضحاك.

وقال أبو عبيدة «المملوء» ومعناهما واحد.

والآية المشار إليها **﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾**.

١٠ - [**وقال ابن عباس ﴿طائركم﴾ مصائبكم**].

ش: وصله الفريابي من طريق علي بن أبي طلحة عنه به حكاه الحافظ (٦/٤٦٧)، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وكعب ووهب بن منبه بلفظ: أي أعمالكم معكم.

والآية المشار إليها **﴿قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾**.

١١- [**﴿ينسلون﴾ يخرجون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج مثله عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾**.

١٢ - [**﴿مرقدنا﴾ مخرجنا**].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن أبي بن كعب قال: ناموا نومة قبل البعث وأخرج عن قتادة ما بين النفختين.

والآية المشار إليها ﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾.

١٣ - [﴿**أحصيناه**﴾ **حفظناه**].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن قتادة كل شئ محصى عند الله.

والآية المشار إليها ﴿**وكل شئ أحصيناه في إمام مبين**﴾.

١٤ - [﴿**مكانتهم**﴾ **ومكانهم واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: المكان والمكانة واحد.

والآية المشار إليها ﴿**ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون**﴾.

٢٨٩ - [باب ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها بمعنى إلى موضع قرارها.

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول هذا الذي وضعنا من جري الشمس لمستقرها تقدير العزيز في انتقامه ممن عاداه، العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية.

٣٢٢ - حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾).

٣٢٣ - حدثنا الحميدي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: (سألت النبي عن قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**كنت مع النبي في المسجد**» في التوحيد باب **﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾** من رواية أبي معاوية (دخلت المسجد ورسول الله جالس) والظاهر أنه مسجده بالمدينة إذ لا يتبادر إلى الذهن غيره عند الإطلاق.

الثانية: قوله «**عند غروب الشمس**» في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان برواية سفيان (حين غربت) وفي رواية أبي معاوية (فلما غربت الشمس) والجمع بينهما بحمل الحينية على العندية في رواية الباب فيكون من

التجوز في العبارة أو يقال: أن سؤال النبي عند غروب الشمس وإخباره بذلك كان مرتين مرة عند غروب الشمس ومرة حين الغروب وا لله أعلم.

الثالثة: قوله « **أتدري أين تغرب الشمس**» هذا استفهام والغرض منه تشويق السامع لما يلقى إليه من الكلام وهذا أسلوب بديع من أساليب التعليم ونظائره في كلام النبي كثيرة منها: أتدرون ماذا قال ربكم.

الرابعة: قوله «ا لله ورسوله أعلم» هذا هو غاية الأدب والورع إذ رد أبو ذر هذا الأمر الذي لا سبيل إلى علمه إلا بالوحي إلى ا لله وإلى رسوله وينبغي التنبيه إلى أن هذا القول خاص في حياة النبي أما بعد موته فيقول المسؤل عما لا يعلم ا لله أعلم.

الخامسة: قوله «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى:﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**».

زاد في بدء الخلق (فتستأذن فيوذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله ﴿والشمس تجري... الآية﴾ وعند النسائي في تفسير الآية (ارتفعي فاطلعي من مغربك).

السادسة: قوله «**سألت النبي عن قوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**» وفي رواية أبي نعيم وهي الأولى في الباب أن النبي هو السائل لأبي ذر والجمع بينهما أن أبا ذر سأل النبي عن الآية وأن رسول ا لله أجابه في صورة سؤال بقوله أتدري الخ).

السابعة: قوله «**مستقرها تحت العرش**»: فسره بقوله (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش: وهذا نص صريح في أن السجود يقع من الشمس تحت العرش على الحقيقة فلو كان سجودها بمحاذاته لقال (عند العرش: وإن قلت

يشكل على هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فالجواب أن المـراد بهـا نهايـة مدرك البصر إليها حال الغروب وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

من فقه الحديث

أولاً: الإرشاد إلى الملاطفة في التعليم.

ثانياً: أدب أبي ذر مع النبي وذلك في قوله (ا لله ورسـوله أعلـم) وهـذا ما درج عليه أصحابه معه في حياته.

ثالثاً: أن الشـمس تعقـل ألا تـراه أخـبر عـن سـجودها تحـت العـرش واستئذانها.

رابعاً: في قوله (مسـتقرها تحـت العـرش: رد علـى مـن زعـم أن المـراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول أيام السنة.

آخر تفسير سورة يس و لله الحمد والمنة.

سورة الصافات

٢٩٠ – سورة والصافات بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج النسائي والبيهقي في سننه عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويأمنا بالصافات.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها اثنتان وثمانون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ من كل مكان**].

ش: لم أجده مخرجاً فيما وقفت عليه وهو تفسير الآية الثالثة والخمسين من سورة سبأ وقد ذكره هنا استشهاداً لما بعده.

٢ - [**﴿ويقذفون من كل جانب﴾ يرمون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (ويقذفون) يرمون قال: من كل مكان.

والآية المشار إليها **﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾**.

٣ - [**﴿واصب﴾ دائم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ضمن القائلين بأن معناه دائم وهم ابن عباس وقتادة وعكرمة وابن زيد وهو أحد قولين أخرجهما في الآية والقول الثاني أنه بمعنى موجع وبه قال أبو صالح والسدي واختار ابن جرير الأول.

والآية المشار إليها **﴿دحوراً ولهم عذاب واصب﴾**.

٤ - [**﴿لازب﴾ لازم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وأخرج في المعنى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أمن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾**.

٥ - [**﴿تأتوننا عن اليمين﴾ يعني الحق، الكفار تقوله للشياطين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق بلفظ عن الحق الكفار تقوله للشياطين، واخرج عن قتادة من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه، وأخرج عن ابن زيد (تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمر الله به) **قلت:** وهاتان العبارتان أوضح من عبارة مجاهد.

والآية المشار إليها **﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾**.

٦ - [**﴿غول﴾ وجع بطن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وابن زيد وقتادة وهو **أحد** أقوال خمسة عنده في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس فيها صداع وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: بمعنى لا تغول عقولهم وبه قال السدي.

ورابعها: بمعنى ليس فيها أذى ولا مكروه وهو قول سعيد بن جبير.

وخامسها: بمعنى ليس فيها أثم ولم يخرجه عن أحد وحكاه البغوي عن الكلبي واختار ابن جرير أن ذلك يعم نفي كل معاني الغول عنه وأعم من ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل.

قال مقيده: وهذا الاختيار في غاية الحسن ويشهد له سياق الآيات **﴿يطاف عليهم بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾** ووجه الاستدلال عد الحق تبارك وتعالى هذه الشراب في نعيم الجنة.

٧ - [**﴿ينزفون﴾ لا تذهب عقولهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن عباس والسدي وابن زيد وقتادة.

٨ - [**﴿قرين﴾ شيطان**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهذا أحد القولين عنده.

ثانيهما: أنه شريك كان له من بني آدم أو صاحب وهو قول ابن عباس وفرات بن ثعلبة وليس بينهما عندي مغايرة لأن القرين يكون من شياطين الجن والإنس.

والآية المشار إليها ﴿**قال قائل منهم إني كان لي قرين**﴾.

٩ - [﴿**يهرعون**﴾ **كهيئة الهرولة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى وهو قول قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**فهم على آثارهم يهرعون**﴾.

١٠ - [﴿**يزفون**﴾ **النَّسَلان في المشي**].

أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى دون قوله (في المشي) والنسلان كما في المصباح (نسل في مشيه ينسل نسلاناً أسرع) وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: يجرون وهو قول ابن عباس.

وثالثها: يستعجلون وبه قال زيد بن أسلم وهذه الأقوال ليست بمختلفة في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**فأقبلوا إليه يزفون**﴾.

١١- [﴿**وبين الجِنَّة نسباً**﴾ **قال كفار قريش الملائكة بنات الله، وأمهاتهم بنات سروات الجن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون**﴾.

١٢ - [**وقال الله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ ستحضر للحساب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو **أحد** قولين عنده في الآية.

وثانيهما: معناه أن قائلي هذا القول سيحضرون العذاب في النار وبه قال السدي واختار ابن جرير إنهم لمحضرون العذاب فقال: لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عنى به الإحضار في العذاب فكذلك في هذا الموضع.

١٣ - [**وقال ابن عباس: ﴿لنحن الصافون﴾ الملائكة**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن ابن عباس فذكره وزاد في قوله **﴿إنا لنحن المسبحون﴾** الملائكة صافون تسبح لله عز وجل وهو قول عمر وابن مسعود والضحاك ومجاهد وقتادة.

١٤ - [**﴿صراط الجحيم﴾ سواء الجحيم، ووسط الجحيم**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وكذا أخرجه بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها هي الثالثة والعشرون والخامسة والخمسون من السورة.

١٥ - [**﴿لشوباً﴾ يُخلَط طعامُهم، ويُساط بالحميم**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ والذي أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (**لمزيجاً**)، ومن طريق العوفيين قال شرب الحميم على الزقوم وهو قول قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾**.

١٦ - [**﴿مدحوراً﴾ مطروداً**].

ش: هذه الكلمة في الآية الثامنة عشرة من سورة الأعراف والآية الثامنة عشرة والتاسعة والثلاثين من سورة الإسراء، ولا وجه لذكرها ها هنا وأخشى أن يكون من فعل بعض النساخ.

١٧ - [**﴿بيض مكنون﴾ اللؤلؤ المكنون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو **أحد** ثلاثة أقوال أخرجها في الآية.

وثانيها: أنهن شبهن ببطن البيض في البياض وهو الذي داخل القشر وبه قال سعيد بن جبير والسدي وقتادة.

وثالثها: أنهن شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر وهو قول ابن زيد والذي اختاره ابن جرير أنه بياض البيض الذي هو داخل القشر قال وذلك هو الجلدة الملبسة المخ قبل أن تمسه يدا أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون.

قلت: وهذا هو قول سعيد بن جبير ومن وافقه.

والآية المشار إليها **﴿كأنهن بيض مكنون﴾**.

١٨ - [**﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يذكر بخير**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله وهو قول مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية جاءت في ثلاث مواضع من السورة:

الأول: الثامنة والسبعون.

الثاني: الآية الثامنة بعد المائة.

والثالث: الآية التاسعة والعشرون بعد المائة.

١٩ - [**﴿يستسخرون﴾ يسخرون**].

ش: لم أجده عن ابن عباس وإنما قال أبو عبيدة: يستسخرون: ويسخرون سواء.

والآية المشار إليها **﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾**.

٢٠ - [﴿بعلاً﴾ رباً].

ش: وصله إبراهيم الحربي في غريب الحديث عن ابن عباس كما حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن عكرمة وقتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: اسم لصنم وبه قال الضحاك وابن زيد.

وثالثها: اسم لامرأة كانوا يعبدونها وهو قول ابن إسحاق.

والآية المشار إليها **﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾**.

٢٩١ - [باب ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾]

ش: هذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه أنه عاقبه عقوبة دنيوية أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة قاله ابن سعدي.

قلت: وهذا إيجاز جيد لمضمون ما احتوته هذه العشر الآيات في شأن نبي الله وعبده ورسوله يونس بن متى ﷺ وبه نستغني عن التفصيل.

٣٢٤ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس ابن متى).

٣٢٥ - حدثني إبراهيم بن المنذر ثنا محمد بن فليح ثني أبي عن هلال بن علي من بني عامر بن لؤي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب).

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد المائة.

آخر تفسير سورة الصافات و لله الحمد والمنة.

سورة ص

٢٩٢ - سورة ص بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر، وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي. وآياتها ثمان وثمانون آية.

٣٢٦ - حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن العوام قال: سألت مجاهداً عن السجدة في ص قال: سئل ابن عباس فقال: أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده وكان ابن عباس يسجد فيها.

٣٢٧ - حدثني محمد بن عبد ا لله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ ﴿أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده﴾ فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول ا لله ﷺ.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**سألت مجاهداً عن السجدة في ص**» السائل هو العوام بن حوشب بن يزيد الواسطي، راوية مجاهد، وفي تفسير سورة الأنعام عن سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس ولا تعارض بينهما لجواز أن يكون كلا من الرجلين سأل مجاهداً وأخبره بجواب ابن عباس له,

الثانية: قوله «**سئل ابن عباس**» في رواية محمد بن عبيد قال مجاهد سألت ابن عباس.

الثالثة: قوله «**من أين سجدت**» وفي رواية سليمان الأحول أفي ص سجدة؟ فقال نعم ومراد مجاهد معرفة دليل ابن عباس على سجوده في سورة ص ويظهر أنه لم يرى أحداً سجد فيها قبل ابن عباس.

الرابعة: قوله «**وكان ابن عباس يسجد فيها**» هذا تصريح بسجود ابن عباس في سورة ص وهو الذي حمله على السؤال.

الخامسة: قوله «أو ما تقرأ **﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾**» أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده) في تفسير سورة الأنعام حين قال مجاهد أفي ص سجده

(قال نعم ثم تلا ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب**...إلى قوله: **فبهداهم اقتده**﴾ ثم قال هو منهم) وفي رواية العوام (فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم).

السادسة: قوله «فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدى به، فسجدها داود عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ» وفي باب سجدة ص من سجود القرآن برواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها.

قلت: فاجتمع لابن عباس دليلان:

أحدهما: ما فهمه من أمر الله نبيه بالإقتداء بتلك الصفوة من الأنبياء وداود ﷺ منهم وقد سجد يعني في قوله ﴿**وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب**﴾.

والدليل الآخر ما حفظه في هذه السجدة من السنة الفعلية عن النبي ﷺ.

تنبيهات

الأول: في موضع السجدة في سورة ص هو عند قوله تعالى: ﴿**فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب**﴾ فقد روى النسائي في تفسيره أخبرني إبراهيم بن الحسن ثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في ص وقال (**سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً**) ورواه أيضاً في كتاب الافتتاح من السنن باب السجود في ص من هذا الوجه به وقال ابن كثير حين ساق هذا الحديث في تفسيره: تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات.

الثاني: مذاهب الأئمة في سجدات القرآن:

ذهب أبو حنيفة في إحدى الروايتين والشافعي في أحد القولين وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد إلى أن عزائم سجود القرآن أربع عشرة سجدة ليست

منها سجدة ص، وفي الرواية الثانية عن أحمد وبه قال عقبة بن نافع وإسحاق بن راهوية أنها خمس عشرة سجدة منها سجدة ص.

وذهب مالك في رواية الشافعي إلى أن عزائم السجود إحدى عشرة، وقال ابن عبد البر هذا قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب وابن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس ومالك وطائفة من أهل المدينة.

والراجح عندنا أن سجدة ص مشروعة لما قدمناه قريباً من قوله ﷺ (سجدها داود توبة ونسجدها شكراً) ولما رواه البخاري وقدمناه في المسألة السادسة عن ابن عباس.

الثالث: يسن سجود التلاوة في حق التالي والمستمع القاصد وهذا مما لا خلاف فيه ومن الأدلة على ذلك ما رواه الشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة في غير الصلاة فيسجد ونسجد معه حتى لا يجد أحدنا مكاناً لموضع جبهته.

وأما من سمع غير قاصد فلا يستحب له السجود روي ذلك عن عثمان وابن عباس وعمران وبه قال مالك، وذهب أصحاب الرأي وهو مروي عن ابن عمر والنخعي وابن جبير ونافع وإسحاق أن عليه السجود والله أعلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [﴿عجاب﴾ عجيب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد وقد تحول العرب فعيلا إلى فعال قال عباس بن مرداس:

إنك عين حذلت مضاعه تبكي على جار بني جداعة

أين دريد وهو ذو براعه حتى تروه كاشفاً قناعه

تعدو به سلهبة سراعه

أي سريعة.

والآية المشار إليها ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾.

٢ - [﴿**القط**﴾ **الصحيفة هو هنا صحيفة الحسنات**].

ش: قاله الفراء وزاد المكتوبة وقال أبو عبيدة: القط الكتاب، وفي الآية خمسة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: العذاب وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وثانيها: منازلهم في الجنة وبه قال السدي.

وثالثها: نصيبهم من الجنة وهو قول سعيد بن جبير.

ورابعها: رزقهم وبه قال إسماعيل بن أبي خالد.

وخامسها: كتبهم التي قال الله: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه**﴾ حكاه البغوي عن ابن عباس والكلبي واختار ابن جرير أنهم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر استهزاءاً بوعيد الله.

والآية المشار إليها ﴿**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**﴾.

٣ - [**وقال مجاهد** ﴿**في عزة**﴾ **مُعَازِّين**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**بل الذين كفروا في عزة وشقاق**﴾.

٤ - [﴿**الملة الآخرة**﴾ **ملة قريش**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال قتادة وابن زيد وهو أحد قولين عنده في الآية.

وثانيهما: النصرانية وهو قول ابن عباس والقرضي والسدي.

والراجح عندي هو القول الثاني لأمرين:

الأول: أن دين عيسى هو آخر الأديان السماوية قبل رسالة محمد ﷺ وهذا معروف لدى المشركين كما أنهم يعلمون أن اليهود هم أتباع موسى عليه السلام.

الثاني: أن في قريش بعض معتنقي دين عيسى ﷺ مثل ورقة بن نوفل.

والآية المشار إليها ﴿**ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾.

٥ - [**الاختلاق: الكذب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

٦ - [﴿**الأسباب**﴾ **طرق السماء في أبوابها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿**أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب**﴾.

٧ - [﴿**جند ما هنالك مهزوم**﴾ **يعني قريشاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها ﴿**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**﴾.

٨ - [﴿**أولئك الأحزاب**﴾ **القرون الماضية**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى.

والآية المشار إليها ﴿**وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب**﴾.

٩ - [﴿**فواق**﴾ **رجوع**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو قول ابن عباس وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس لهم إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا وبه قال السدي.

ثالثها: بمعنى العذاب وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**﴾.

١٠ - [﴿**قطنا**﴾ **عذابنا**].

ش: تقدم برقم اثنين.

١١- [﴿**اتخذناهم سخرياً**﴾ **أحطنا بهم**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق قال "أخطأنا هم" فلعله وقع تصحيف من بعض النساخ والله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿**اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار**﴾.

١٢ - [﴿**أتراب**﴾ **أمثال**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي.

والآية المشار إليها ﴿**وعندهم قاصرات الطرف أتراب**﴾.

١٣ - [**وقال ابن عباس** ﴿**الأيد**﴾ **القوة في العبادة**].

ش: أخرجه بهذا اللفظ البغوي وأخرجه ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ (ذا القوة) وكذا أخرجه عن ابن زيد وأخرج نحوه عن قتادة والسدي ومجاهد.

والآية المشار إليها ﴿**اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾.

١٤ - [﴿**الأبصار**﴾ **البصر في أمر الله**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وأخرج ابن جرير ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (الفقه في الدين) وأخرج عن قتادة قال: بصراً في الدين.

والآية المشار إليها ﴿**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار**﴾.

١٥ - [﴿**حب الخير عن ذكر ربي**﴾ **من ذكر**].

ش: لم أجد فيه شيئاً عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن قتادة والسدي في قوله عن ذكر ربي عن صلاة العصر.

والآية المشار إليها ﴿**فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب**﴾.

١٦ - [﴿**طفق مسحاً**﴾ **يمسح أعراف الخيل وعراقيبها**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عقرها وضرب أعناقها وبه قال قتادة والسدي والحسن وحكاه البغوي عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿**ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق**﴾.

١٧ - [﴿**الأصفاد**﴾ **الوَثاق**].

ش: لم أجده عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن السدي تجمع اليدين إلى عنقه، وأخرج عن الضحاك في السلاسل وقال أبو عبيدة: الأغلال واحدها صفد.

والآية المشار إليها ﴿**وآخرين مقرنين في الأصفاد**﴾.

٢٩٣ - [باب قوله ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾]

ش: قلت: الآية **﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾**.

يقول تعالى ذكره قال سليمان راغباً إلى ربه رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك فلا تعاقبني به.

وقوله **﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** قال ابن عطية في تفسيره (٣٤/١٤) «واختلف المتأولون في معنى قوله **﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** فقال جمهور الناس أراد أن يفرده بين البشر لتكون خاصة له وكرامة وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سواري المسجد، قال ثم ذكرت قول أخي سليمان **﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾**فأرسلته» وقال قتادة وعطاء بن أبي رباح إنما أراد سليمان **﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** مدة حياتي أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن... وسليمان عليه السلام مقطوع بأنه إنما قصد بذلك قصداً براً جائزاً، لأن للإنسان أن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أحد، لا سيما بحسب المكانة والنبوة، وانظر أيضاً أن قوله عليه السلام **﴿لا ينبغي﴾** إنما هي لفظة محتملة ليس يقطع في أنه لا يعطى الله نحو ذلك الملك لأحد.

وقوله **﴿إنك أنت الوهاب﴾** يقول إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شئ تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

تنبيه

ما نقله ابن عطية رحمه الله في معنى الآية عن قتادة وعطاء بن أبي رباح أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن جرى عليه كثير من المفسرين

وعمدتهم في ذلك قصة مشهورة معروفة بقصة صخر المارد، رواها ابن جرير وغيره عند قوله تعالى ﴿**وألقينا على كرسيه جسداً**﴾ وفي تلك القصة أن سليمان دخل الحمام يوماً وكان إذا أراد دخول الحمام لا يدخل بخاتمه فأعطاه الشيطان صخراً فألقاه في البحر فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم.

قال مقيده: هذا ملخص لفظها والنكارة فيه ظاهرة وأما إسنادها فإنها من قول قتادة وليست من خبر النبي ﷺ وعلى هذا فإنها من الإسرائيليات وأمثالها لا يقبل في الإخبار عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

٣٢٨ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قال روح فرده خاسئاً.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «إن عفريتاً من الجن» والعفريت هو من كل جن وإنس أو شيطان الفائق المبالغ الرئيس، يقال عفريت نفريت وعفاريت وهما مثل عفريت قال جرير:

قرنت الظالمين بمرمريس ... يذل له العفارية المريد

المرمريس: الداهية الشديدة، قال ذو الرمة.

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب ا.هـ

قاله أبو عبيدة: عند تفسير الآية التاسعة والثلاثين من سورة النمل.

وقال الزمخشري العفر والعفرية، والعفارية القوي المتشيطن الذي يعفر قرنه.

قلت: الثاني هو المراد في الحديث ويؤيده ما وقع عند المصنف في العمل في الصلاة من رواية شبابه (إن الشيطان) بدل إن عفريتاً.

الثانية: قوله «**تفلت علي البارحة**» وفي العمل في الصلاة (عرض لي فشد علي) وفي رواية النضر عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان: (جعل يفتك علي) والفتك هو الأخذ في غفلة وخديعة، وعند النسائي في تفسير الآية (انفلت البارحة) والبارحة هي الليلة الماضية.

الثالثة: قوله «**ليقطع علي الصلاة**» وعند النسائي من هذا الوجه (ليقطع علي صلاتي).

الرابعة: قوله «**فأمكنني الله منه**» وعند مسلم (وإن الله أمكنني منه فذعته) يعني خنقته كما يوضحه ما عند النسائي في تفسير سورة ص من حديث عائشة (فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ حتى وجدت برد لسانه على يدي).

الخامسة: قوله «**وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد**» وعند مسلم (فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد) وعند النسائي (فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد).

السادسة: قوله «**حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم**» وعند مسلم (حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم) وعند النسائي (حتى تنظرون إليه).

السابعة: قوله (فذكرت قول أخي سليمان) وعند النسائي (دعوة أخي سليمان) وفي حديث أبي الدرداء عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان (والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة) وفيه دليل على أن نبي الله سليمان سأل ربه ملكاً خاصاً به يكون له فيه معجزه

وكرامة وفيه رد على من قال أن معنى قوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد بعدي﴾ أي مدة حياتي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني.

الثامنة: قوله «**﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾**» هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى تفسيره أول الباب.

تنبيه

ليس حديث الباب وحديثا أبي الدرداء وعائشة في قصة واحدة بل الظاهر أن كلاً منها في قصة وما صنعناه من ضم روايات الأخيرين إلى حديث الباب في بعض المسائل فلتوضيح المعنى.

من فقه الحديث

أولاً: أن الشياطين قد تعرض للأنبياء ولكن يردهم الله مخذولين كما رد كيدهم عن النبيﷺ.

ثانياً: أن دفع المار بين يدي المصلي لا يبطل الصلاة وإن كان بقوة.

٢٩٤ - [باب قوله ﴿وما أنا من المتكلفين﴾]

ش: قلت: الآية **﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾.**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجراً، يعني ثواباً وجزاءً.

﴿وما أنا من المتكلفين﴾ يقول وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه فتقولون **﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾** و**﴿إن هذا إلا اختلاق﴾**.

٣٢٩ - حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: (دخلنا على عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين﴾ وسأحدثكم عن الدخان، إن رسول الله ﷺ دعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة فحصت كل شئ، حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع. قال الله عز وجل ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ قال فدعوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون. إنا كاشفو العذاب قليلاً. إنكم عائدون﴾ أفيكشف العذاب يوم القيامة قال فكشف، ثم عادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر. قال الله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى، إنا منتقمون﴾.

ش: يأتي في تفسير سورة الدخان ضمن الباب الحادي عشر بعد الثلاثمائة.

آخر تفسير سورة ص والحمد لله.

سورة الزمر

٢٩٥ - سورة الزمر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً...الآية**﴾

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد، وآياتها خمس وسبعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ يجر على وجهه في النار وهو قوله تعالى ﴿أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي أمناً يوم القيامة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة، وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾**.

٢ - [﴿ذي عوج﴾ لَبْس].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها **﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾**.

٣ - [﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ مَثَلٌ لألهتهم الباطل والإله الحق].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ضرب ا لله مثلاً رجلً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً... الآية﴾**.

٤ - [﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ بالأوثان].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد قاله الحافظ، وأخرج ابن جرير نحوه عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿أليس ا لله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾** الآية.

٥ - [﴿خَوّلْنا﴾ أعطينا].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾**.

٦ - [**﴿والذي جاء بالصدق﴾ القرآن، ﴿وصدق به﴾ المؤمن يجيء يوم القيامة يقول هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فذكر نحوه، وأخرجه أيضاً عن حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد، وهو أحد خمسة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: الرسول ﷺ والذي جاء به لا إله إلا الله والذي صدق به أيضاً الرسول ﷺ

وهو قول ابن عباس.

وثالثها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والذي صدق به أبو بكر وبه قال علي رضي الله عنه.

ورابعها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والصدق القرآن والمصدقون به هم المؤمنون وهو قول قتادة وابن زيد.

خامسها: الذي جاء بالصدق جبريل والصدق القرآن وصدق به رسول الله ﷺ وبه قال السدي.

والذي اختاره ابن جرير أن الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله والمصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه.

قلت: وهذا اختيار حسن وبه تجتمع الأقوال.

والآية المشار إليها **﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾**.

٧ - [**﴿متشاكسون﴾ الشَّكِس: العَسِر لا يرضى بالإنصاف**].

ش: قال الحافظ: سقط "وقال غيره" لأبي ذر فصار كأنــه مـن بقايـا كـلام مجاهد، وللنسفي "وقال" بغير ذكر الفاعل والصواب ما عنــد الأكـثر وهـو كـلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الشـكس العسـر لا يرضـى بالإنصـاف أخرجـه الطبري. ا.هـ

قلت: والذي وقفت عليه عند الطبري عن ابن زيد قال متشاكسون كلهــم سـيئ الخلـق، ليـس منهـم واحـد إلا تلقـاه آخـذاً بطـرف مـن مـال لإســتخدامه اسواؤهـم.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٨ - [**﴿ورجلاً سلماً﴾ ويقال سالماً: صالحاً**].

ش: قال أبو عبيدة: خالصاً وسلماً لرجل أي صالحاً.

٩ - [**﴿اشمأزت﴾ نفرت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن السدي وقتادة وأخرج عن مجاهد قال انقبضت.

والآية المشار إليها ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلـوب الذيـن لا يؤمنـون بالآخرة﴾.

١٠ - [**﴿بمفازتهم﴾ من الفوز**].

ش: قال أبو عبيدة: بنجاتهم من الفوز، وأخرج ابن جرير عن السدي قــال بفضائلهم وعن ابن زيد قال بأعمالهم وهذه المعاني متقاربة.

والآية المشار إليها ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسـهم السـوء ولا هم يحزنون﴾.

١١- [**﴿حافين﴾ أطافوا به، مطيفين بحفافيه، بجوانبه**].

ش: قال أبو عبيدة: طافوا به بحفافيه، وأخرج ابن جرير عن قتادة والســدي قالا: محدقين حول العرش.

والآية المشار إليها ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾.

١٢ - [﴿متشابهاً﴾ ليس من الاشتباه، ولكن يشبه بعضه بعضاً في التصديق].

ش: قال أبو عبيدة: يصدق بعضه بعضاً ويشبه بعضه بعضاً.

وأخرج ابن جرير هذا المعنى عن قتادة والسدي وسعيد بن جبير.

قلت: وهذا هو التشابه العام.

والآية المشار إليها ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**﴾الآية.

٢٩٦ - [باب ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾]

ش: قلت: الآية **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...الخ﴾**الآية.

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر.

قوله **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً... الخ الآية﴾** لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرخاء مكان القنوط.

فائدة: روى الطبراني من طريق الشعبي عن بشير بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول: إن أعظم آية في كتاب الله **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾** وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر، **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** وإن أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الزمر **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** وإن أشد آية في كتاب الله تفويضاً **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.ابن كثير (٤/٦٤).

وأعلم أن هذه الآية أرجأ آية في كتاب الله سبحانه لا شتمالها على أعظم بشارة فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال **﴿إن الله يغفر الذنوب﴾** فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله

﴿**جميعاً**﴾ فيالها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه هذا الكلام قائلاً إنه هو الغفور الرحيم أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فمن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنيط عباد الله وتيئيسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه من قوله (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)اهـ. من تفسير الشوكاني.

تنبيه

لا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**﴾ وذلك أن كل ذنب كائناً ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له.

من فقه الآية

أولاً: سعة رحمة الله عز وجل وعظيم لطفه.

ثانياً: قبول الله التوبة من جميع الذنوب.

ثالثاً: تحريم القنوط من رحمة الله.

رابعاً: إثبات الغفور والرحيم اسمين لله عز وجل.

٣٣٠ - حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم: قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا

كفارة، فنزل ﴿والذين لا يدعون مع ا لله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم ا لله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا لله﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى قوله **(أن ناساً من أهل الشرك)** وعند النسائي في تحريم الدم من رواية عبد الأعلى الثعلبي (إن قوماً) ولم نقف على تعين هؤلاء.

الثانية: قوله **(لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة)** روى الطبراني في الكبير (١١/١٩٧) من طريق أبين بن سفيان عن عطاء عن ابن عباس (بعث رسول ا لله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وأنا قد صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل ا لله عز وجل **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات وكان ا لله غفوراً رحيماً﴾** فقال وحشي يا محمد هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل ا لله عز وجل **﴿إن ا لله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾** قال وحشي هذا، فجاء فأسلم فقال الناس يا رسول ا لله إذا أصبنا ما أصاب وحشي قال: (هي للمسلمين عامة).

قلت: ولكن أبين وهو أبين بن سفيان المقدسي ضعف الذهبي في الميزان روايته عن التابعين وهذه الرواية كما ترى منها، وفي سيرة ابن هشام في ذكر حرم المدينة (١/٤٧٤) قال ابن إسحاق فحدثني نافع مولى عبد ا لله بن عمر عن عبد ا لله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ان نهاجر إلى المدينة... إلى أن قال وحدثني نافع عن عبدا لله بن عمر عن عمر في حديثه قال: فكنا نقول ما ا لله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا

عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... إلى قوله وانتم لا تشعرون﴾**.

قلت: وهذه الرواية صحيحة ولا تعارض بينها وبين حديث الباب لإمكان أن يكون كلاً من الحادثتين سبب لنزول الآية ونظائر هذا كثير جداً.

الثالثة: قوله فأنزل **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾** وفي تفسير سورة الفرقان ضمن باب يضاعف له العذاب يوم القيامة من رواية ابن أبزى **﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق... حتى بلغ إلا من تاب﴾** فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة، فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وآتينا الفواحش فأنزل الله **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً إلى قوله غفوراً رحيماً﴾**.

الرابعة: قوله (وأنزل **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾**.

قلت: هذا هو محل الشاهد وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٩٧ - [باب ﴿وما قدروا ا لله حق قدره﴾]

ش: تمامها: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

يقول تبارك وتعالى﴿وما قدروا ا لله حق قدره﴾ أي ما قدر المشركون ا لله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شئ المالك لكل شئ وكل شئ تحت قهره وقدرته.

وقوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه.

وقوله «﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾» يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة لله وعلوا وارتفاعاً عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك أعبد الأوثان من دون ا لله، واسجد لآلهتنا.

فائدة

قال ابن القيم: «هذا رد على المشركين والمعطلين الجاحدين لتوحيده ولصفاته كما كان ذلك رداً على منكري كتبه ورسله، وهذان اصلا الإسلام شهادة أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله وهذا الذي وصف به نفسه ها هنا يتضمن من اقتداره على تغيير العالم وتبديله ما يبطل قول أعدائه من الملاحدة المكذبين بالمبدأ والمعاد أئمة هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل والرأي».

٣٣١ - حدثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد ا لله رضي ا لله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول ا لله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن ا لله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم

قرأ رسول ا لله ﷺ ﴿وما قـدروا ا لله حق قـدره، والأرض جميعاً قبضتـه يـوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**جاء حبر من الأحبار إلى رسول ا لله ﷺ**» في روايـة سفيان في التوحيد باب قوله تعالى ﴿**لما خلقت بيدي**﴾، (أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ) وفيه من رواية علقمة (جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب).

الثانية: قوله «**يا محمد**» وفي رواية علقمة (يـا أبـا القاسـم) وعنـد مسـلم في صفات المنافقين من رواية فضيل (يا محمد أو يا أبا القاسم) بالشك.

الثالثة: قولـه «**إنـا نجـد ان ا لله يجعـل السـموات علـى إصبـع**» وفي روايـة سفيان (إن ا لله يمسك السموات على إصبع) وكذا في رواية علقمة وفضيـل، وفي رواية جرير عند النسائي في تفسير سورة الزمـر (إذا كـان يـوم القيامـة جعـل ا لله السماوات على إصبع).

الرابعة: قوله «**والأرضين على إصبع والشجر على إصبـع والمـاء والـثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع**» زاد في رواية سفيان (والجبال على إصبع) وعند المصنف في التوحيد من رواية الأعمش (والشجر والأنهار على إصبع).

وفيه دليل على إثبـات عظمـة ا لله وعظيـم قدرتـه وأنـه جـل وعـلا لـه يـد وأصابع وهي من الصفات اللائقة به ويجب إثباتها له إثباتاً بلا تمثيـل وتنزيهـاً بـلا تعطيل ومن غير تحريف ولا تأويل نؤمن بمعناها مع العلم به، ونفوض كيفيتهـا إلى ا لله عز وجل شأنها شأن الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة الصحيحة.

الخامسة: قوله «**فيقول أنا الملك**» في رواية جرير (ثم يهزهن ثـم يقـول أنـا الملك أنا الملك) وفي رواية الأعمش ثم يقول (بيده أنا الملك) وزاد ابن خزيمة عـن محمد بن خلاد عن يحيى بن سعيد القطان عن الأعمش فذكر الحديث قـال محمـد عدها علينا يحيى بإصبعه وقال عبد ا لله بن الإمام أحمد رحمهما ا لله كما في السـنة

(٢٦٤/١) قال أبي رحمه الله جعل يشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعه يضع أصبعاً أصبعاً حتى أتي على آخرها، ورواه أبو بكر الخلال من كتاب السنة عن أبي بكر المروزي عن أحمد وقال رأيت أبا عبد الله يشير بأصبع أصبع.

واخرج الترمذي وصححه في تفسير سورة الزمر عن ابن عباس وفيه (إذا وضع الله السموات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولاً ثم تابع حتى بلغ الإبهام).

قلت: أخذ السلف الصالح بهذه الأحاديث وأمثالها من نصوص الصفات وأجروها على ظاهرها واتبعوا ما دلت عليه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل و لم يحرفوا و لم يكيفوا قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص٧٤٠) معلقاً على جملة أحاديث أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومنها حديث الباب: «وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، و لم يقل النبي ﷺ في شئ منها إن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه امته فإن الله كمل به الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين.. وتلقى أصحابه رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا... وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ و لم يجحدوا شيئاً من الصفات.. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت

الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بـالجهل، ونثبـت هـذه الصفـات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه **فقال ﴿ليـس كمثلـه شئ وهـو السـميع البصير﴾**»اهـ.

السادسة: قوله «**فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر**» في رواية الأعمش (فرأيت النبي ﷺ يضحـك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله) وفي رواية فضيل عند مسلم (فضحك رسول الله ﷺ تعجبـاً مما قال الحبر تصديقاً له).

قلت: فيه الرد على من زعم أن رسول الله ﷺ ضحك إسـتنكاراً لما قالـه اليهودي فإن الصحابي المشاهد للتنزيل أعلم الناس بمراد النبي ﷺ فإن قلـت لم لا يكون قول ابن مسعود (تصديقاً لقول الحبر) ظناً منه ذلك فالجواب أنـه لـو كـان الأمر على ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي ﷺ علـى البـاطل وسـكوته عن الإنكار وحاشاه ﷺ من ذلك.

السابعة: قوله **(ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قـدره... الخ الآية﴾**.

هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح الآية كاملـة أول البـاب، والظاهر والعلم عند الله أن النبي ﷺ قـرأ هـذه الآيـة تصديقـاً للحـبر فيمـا قـال وتعريضاً باليهود إذ لم يؤمنوا بالله وبرسوله وهذا العلم عندهم.

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليدين لله وإثبات الأصابع وذلك على الحقيقـة وإيـاك أن تغـتر بقول الخطابي: (لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديـث مقطـوع بـه، وقـد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع بل هـو توقيـف اطلقه الشارع فلا يكيف ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليـط اليهـود) ا.هـ فإنه بعيد كل البعد عن الصواب فقد ثبتت اليدان بما يفـوق الحصـر مـن نصـوص

الكتاب والسنة الصحيحة وخرج حديث الباب في أصح الكتب بعد كتاب الله وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم وكذا أخرجه الأئمة المشهود لهم بالفضل وجلالة القدر مثل ابن خزيمة.

وروى مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله يقول (ان قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله ﷺ (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك).

وقال الإمام أبو بكر عمرو بن أبي عاصم في كتابه السنة باب: (إن القلوب بن أصبعين من أصابع الرحمن ماشاء أقامه منها وماشاء أن يزيغه أزاغه) وضمنه أحد عشر حديثاً مختلفة الطرق برواية عدد من أصحاب النبي ﷺ. وكلها صحيحة صريحة الدلالة على ثبوت الأصابع للرب جل وعلا وهاك خمسة من تلك الأحاديث:

١ ـ عن النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه).

٢ ـ عن سبرة بن فاكه قال: قال رسول الله ﷺ: (قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه).

٣ ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة ما من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ما شاء أقامه وما شاء أزاغه).

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فإذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه).

٥ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن).

فصار حديث الأصبع مقطوعاً به. ولله الحمد والمنة. وقد قدمت في المسألة الخامسة من شرح حديث الباب موقف السلف من نصوص الصفات فالزمه ولا تحد عنه يمنة ولا يسرة.

ثانياً: قبول الحق ممن جاء به وإن كان من أشد أعداء الدين ألا تراه لما سمع قول الحبر ضحك حتى بدت نواجذه.

ثالثاً: عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

٢٩٨ - [باب قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾].

ش: تقدم شرحه أول الباب الذي قبله.

٣٣٢ - حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول، أنا الملك، أين ملوك الأرض).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه**» في حديث ابن عمر باب قول الله تعالى ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ من كتاب التوحيد (إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه) وفي رواية عمر بن حمزة التي وصلها مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، وأبو داود في باب الرد على الجهمية من السنة كلاهما من طريق أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن صالح عن ابن عمر (يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ويطوي الأرض ثم يأخذهن بشماله) وعند أبي داود بدل قوله بشماله بيده الأخرى قال الحافظ وزاد في رواية ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع وأبي حازم عن ابن عمر (فيجعلهما في كفه ثم يرمي بهما كما يرمي الغلام بالكرة).

الثانية: قوله (أنا الملك، أين ملوك الأرض) زاد في رواية عمر بن حمزة (أين الجبارون أين المتكبرون).

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليدين لله عز وجل وهما يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله ومن تأولهما بالنعمة أو القدرة فقد جانب الصواب.

ثانياً: ما في هذا الحديث من القبض والطي لا يعارض ما تضمنه حديث ابن مسعود في الباب قبله من الإمساك والوضع فكل ذلك حق على حقيقته.

ثالثاً: عظيم قدرة ا لله عز وجل.

رابعاً: فيه إثبات اسم الملك لله.

خامساً: فيه إنفراد الرب بالآخريه الـتي ليـس بعدهـا شـئ كمـا أنـه منفـرد بالأولية التي ليس قبلها شئ.

٢٩٩ - [باب ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾].

ش: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالى **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** هذه هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض.

وقوله «**إلا من شاء الله**» إختلف أهل العلم فيه على أربعة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: انه عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، قاله السدي.

وثانيها: أنه عنى به الشهداء وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: أنه عنى بالإستثناء في الفزع الشهداء وفي الصعق جبريل وملك الموت، وحملة العرش ولم يذكر قائله هنا ولا عند قوله تعالى من سورة النمل **﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** ولم أقف عليه.

ورابعها: أنه يستثنى الله وما يدع أحداً من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت وهو قول الحسن.

وقوله «**ثم نفخ فيه أخرى... الخ**» هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور وهي التي يجمع الله بها الأولين والأخرين للجزاء والحساب ومن نظائرها قوله تعالى **﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾** وقوله **﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾** وقوله **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾**.

فائدة

أخرج الحاكم في التفسير من المستدرك (٤٣٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله ﴿ونفخ

في الصور﴾ قال النبي ﷺ **(هو قرن ينفخ فيه)**، قال مقيده: فهذا نص صريح في بيان الصور الذي ذكره الله تعالى في كثير من آي كتابه ومنها هذه الآية.

٣٣٣ - ثني الحسن ثنا إسماعيل بن خليل[1]: أخبرنا عبد الرحيم[2]، عن زكريا ابن أبي زائدة[3]، عن عامر، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري، أكذلك كان، أم بعد النفخة).

٣٣٤ - ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش سمعت أبا صالح: سمعت أباهريرة عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون)،قالوا يا أبا هريرة، أربعون يوماً، قال أبيت قال أربعون سنة؟ قال أبيت قال أربعون شهراً؟ قال أبيت (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق.

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخرة**» في باب ما يذكر في الأشخاص من كتاب الخصومات برواية أبي سلمة والأعرج (فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق) وكذا في باب وفاة موسى من أحاديث الأنبياء برواية أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه.

وللحديث قصة أخرجها المصنف في الموضعين وغيرهما وأخرجها مسلم في باب من فضائل موسى عليه السلام من كتاب الفضائل واللفظ له برواية الأعرج

---

(١) هو أبو عبد الله، إسماعيل بن الخليل الخزاز، الكوفي، ثقة من العاشرة مات سنة خمس وعشرين ومائتين، خ، م، مد.

(٢) هو أبو علي، عبد الرحيم بن سليمان الكناني أو الطائي الأشل المروزي، نزيل الكوفة، ثقة له تصانيف، من صغار الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، ع.

(٣) هو أبو يحيى، زكريا بن أبي زائدة خالد ويقال هبيرة بن ميمون بن فيروز الهمداني، الوادعي، الكوفي، ثقة وكان يدلس وسماعه من أبي إسحاق بأخرة من السادسة مات سنة سبع، أو ثمان أو تسع واربعين ومائة، ع.

عن أبي هريرة قال بينما يهودي يعـرض سلعة لـه أعطي بهـا شيئاً كرهـه أو لم يرضه ـ شك عبد العزيـز ـ قـال: لا والـذي اصطفـى موسـى عليـه السـلام علـى البشر، قال فسمعه رجل من الأنصار فلطـم وجهـه، قـال تقـول والـذي اصطفـى موسى عليه السـلام علـى البشـر، ورسـول ا لله ﷺ بـين أظهرنـا، قـال فذهـب اليهودي إلى رسول ا لله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمـة وعهـداً، وقـال فـلان لطم وجهي فقال رسول ا للهﷺ : (لم لطمـت وجهـه؟قـال: قـال يـا رسـول ا لله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشـر وأنـت بـين أظهرنـا قـال فغضـب رسول ا لله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: لا تفضلـوا بـين أنبيـاء ا لله فإنه ينفخ في الصور فيصعـق مـن في السـموات ومـن في الأرض إلا مـن شـاء ا لله قال: ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث...الحديث).

الثانية: قوله «**فإذا أنـا بموسـى متعلـق بـالعرش**»: في الأنبيـاء (فـإذا موسـى باطش بجانب العرش: وعند مسلم في فضائل موسـى (فـإذا موسـى عليـه السـلام آخذ بالعرش): وفي حديث أبي سعيد (آخذ بقائمة مـن قوائـم العـرش): أخرجـه المصنف في باب ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ من أحاديث الأنبيـاء وهـو كـذا عند الترمذي في تفسير سورة الزمر برواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبـي هريرة، والجمع بين هذه الروايـات أن إمسـاك موسـى ﷺ بـالعرش كـان بشـدة وقوة.

الثالثة: قوله «**فلا أدري أكذلـك كـان، أم بعـد النفخـة**» في الأنبيـاء (فـلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى ا لله) ووقع في حديـث أبـي سعيد (فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى) وفي رواية عبد ا لله بن الفضل (فـلا أدري أحوسـب بصعقتـه يـوم الطـور، أم بعـث قبلـي) أخرجهـا المصنف في باب ﴿**إن يونس لمن المرسلين**﴾ من أحـاديث الأنبيـاء، قـال الحـافظ: ووقع في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عند ابن مردويه (أنا اول مـن تنشـق

عنه الأرض يوم القيامة فأنفض التراب عن رأسي، فآتي قائمة العرش فأجد موسى قائماً عندها فلا أدري انفض التراب عن رأسة قبلي أو كان ممن استثنى ا لله).

الرابعة: قوله «**بين النفختين**» وفي باب ﴿**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**﴾ من سورة النبأ،(ما بين النفختين) وكذا عند مسلم في باب ما بين النفختين من الفتن وأشراط الساعة.

قلت: فيه دليل على ان النفخ في الصور نفختان وهاتان النفختان هما نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والحساب، فإن سأل سائل: كيف تصنع بآية النمل المتضمنة الفزع مع النفخ، وآية الزمر التي تضمنت نفختين وهما نفخة الصعق ونفخة القيام فإذا أنضم الآيتان إلى بعضهما ظهر أن النفخ ثلاث مرات كما هو ظاهر.

فالجواب أنه لا تعارض بين الآيتين فنفخة الصعق هي التي يصحبها الفزع، يوضحه ما رواه مسلم من حديث عبد ا لله بن عمرو الطويل وفيه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا اصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس معه) انتهى محل الشاهد فقد نص الحديث كما ترى، على أن الفزع والصعق بنفخة واحدة.

الخامسة: قوله «**قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً**» لم يعرف السائل واللفظ يشعر أنه ممن سمع أبا هريرة يحدث به.

السادسة: قوله «**أبيت**» بموحدة والمعنى امتنعت عن القول في ذلك لأنه ليس عندي فيه خبر عن النبيﷺ، قال الحافظ: ولإبن مردوية من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش في هذا الحديث فقال اعييت من الإعياء وهو التعب وكأنه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبيين ذلك فلا يجيبه وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود له، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد (اربعون سنة) وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة) ذكره في آواخر سورة ص.

السابعة: قوله «**ويبلى كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه**» وعند مسلم (وليس من الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب) وفي تفسير النبأ (ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شئ إلا يبلى... الحديث) وعند مسلم برواية همام بن منبه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة) قالوا أي عظم هو يا رسول الله قال: عجب الذنب) وفي حديث أبي سعيد عند الحاكم وأبي يعلى قيل يا رسول الله ما عجب الذنب؟ قال: مثل حبة خردل)، والعجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة تحتية ويقال له عجم بالميم أيضاً عوضاً عن الباء وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

قال مقيده: واعلم أن الحكمة في بقاء عجب الذنب مما استأثر الله بعلمه ولا سبيل إلى معرفته إلا بخبر المعصوم ﷺ ولا نص في ذلك.

تنبيه

واعلم أن قوله ﷺ في حديث أبي هريرة هذا (ويبلى كل شئ من الإنسان...الخ) ليس على عمومه بل خص منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن أجسادهم محرمة على الأرض كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك.

من فقه الحديثين

أولاً: ثناء النبي ﷺ على أخيه موسى ﷺ.

ثانياً: وجوب الإيمان برسالة موسى عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: فضيلة نبينا ﷺ وتشريفه بأنه أول من يبعث.

رابعاً: وجوب الإيمان بالنفخ في الصور.

آخر تفسير سورة الزمر والحمد لله.

سورة حم المؤمن

٣٠٠ - سورة حم المؤمن بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رب ا لله...﴾.

والمعتمد في المصحف غافر وشاهد التسمية ظاهر.

أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن.

واخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن عباس قال: إن لكل شئ لباباً وإن لباب القرآن أل حم.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وآياتها خمس وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال مجاهد ﴿حم﴾ مجازها مجاز أوائل السور، ويقال بل هو اسم لقول شريح بن أبي أوفى العبسي:**

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم]

ش: **قلت:** لم أجده عن مجاهد بل وجدته لأبي عبيدة وزاد وقال الكميت بن زيد الأسدي وجدنا لكم في ال حاميم آية... تأولها منا تقي ومعرب.

وقوله «**ويقال بل هو اسم...الخ**» إعلم أن أهل العلم مختلفون في معنى حاميم على خمسة أقوال حكاها ابن جرير وهي:

الأول: أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم وهو الحاء والميم منه وبه قال ابن عباس.

الثاني: أنه قسم اقسمه الله وهو اسم من أسماء الله وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه وبه قال مجاهد.

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن قاله قتادة.

الرابع : أنه حروف هجاء، ولم يذكر قائله.

الخامس: أنه اسم واحتج أصحاب هذا القول بقول أبي شريح المتقدم، ولم يذكر ابن جرير قائله، وقد قدمت الخلاف في هذه الحروف في أول تفسير سورة طه عند كلامنا على الأثر الأول ضمن الباب السابع والعشرين بعد المائتين.

٢ - [**﴿الطَّوْلِ﴾ التفضل**].

ش: قاله ابو عبيدة وزاد تقول العرب للرجل إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم وفيه قولان آخران أخرجهما ابن جرير:

أحدهما: ذو السعة والغنى والنعم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وثانيهما: ذو القدرة وهو قول ابن زيد.

وليس عندي اختلاف في المعنى بين هذه الأقوال فإنه جل وعلا ذو تفضل وغنى وقدرة.

والآية المشار إليها ﴿**غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول**﴾.

٣ - [﴿**داخرين**﴾ **خاضعين**].

ش: قال أبو عبيدة في الجزء الثاني (ص٩٦) عند الآية السابعة والثمانين من سورة النمل: أي صاغرين خاضعين.

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: صاغرين.

والآية المشار إليها ﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾.

٤ - [**وقال مجاهد:** ﴿**إلى النجاة**﴾ **الإيمان**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (**الإيمان با لله**).

والآية المشار إليها ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾.

٥ - [﴿**ليس له دعوة**﴾ **يعني الوثن**].

ش: أخرجه أبن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد "ليس شئ"

والآية المشار إليها ﴿**لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مردنا إلى ا لله**﴾.

٦ - [﴿**يُسْجَرون**﴾ **توقد بهم النار**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ولفظه (يوقد بهم النار) ولا تغاير في المعنى، وأخرج عن السدي وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**في الحميم ثم في النار يسجرون**﴾.

٧ - [﴿تمرحون﴾ تبطرون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وزاد "وتأشرون" وهو قول السدي.

والآية المشار إليها :﴿ **ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** ﴾

٨ - [**وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل لم تقنط الناس؟ قال وأنا أقدر أن أقنط الناس والله عز وجل يقول ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ ويقول : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمداً ﷺ مبشراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار من عصاه**].

ش: قوله «**وكان العلاء بن زياد**» هو أبو نصر العلاء بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة من الرابعة مات سنة أربع وتسعين ومائة ولم أقف عليه موصولاً.

قوله «**يذكر الناس النار**» بتشديد الكاف مكسورة أي يخوفهم منها ويعظهم بها.

قوله «**فقال رجل**» لم يوقف له على تسمية.

وقوله «**لم تقنط الناس**» هذا سؤال استنكار والتقنيط هو التيئيس من رحمة الله والمعنى أنك بصنيعك هذا وهو التخويف بالنار فقط، تبعث في نفوس الناس الخوف دون رجاء.

قوله «**وأنا أقدر أن أقنط الناس...إلى قوله أصحاب النار**» هذا مقول العلاء رداً على من أنكر صنيعه والمعنى أنه ليس لي تقنيط الناس من رحمة الله وقد استدل على ذلك بآيتين إحداهما ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾، والأخرى ﴿**وأن المسرفين هم أصحاب النار**﴾.

وقوله «**ولكنكم تحبون أن تبشروا على مساوئ أعمالكم**» وهذا جواب آخر من أجوبة إنكار العلاء على من استنكر عليه الإقتصار في الوعظ على التخويف.

وقوله «**وإنما بعث ا لله محمداًﷺ...إلى قوله من عصاه**» هذا تعليل لما قبله من الأجوبة.

تنبيه

واعلم أن الطريقة المثلى في الوعظ الجمع بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب والمجادلة بالتي هي أحسن إن احتيج إليها مع تعليم الناس أصول الدين وفروعه، قال ابن القيم في زاد المعاد (٤٢٣/١): «وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان با لله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد ا لله لأوليائه واهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بـا لله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لايحصل في القلب إيماناً با لله، ولاتوحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلى التراب أجسامهم، فياليت شعري أي إيمان حصل بهذا، وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟!».

٣٣٥ - حدثنا علي بن عبد ا لله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي ثني يحيى بن أبي كثير ثني محمد بن إبراهيم التيمي ثني عروة بن الزبير قلت: لعبد ا لله بن عمرو بن العاص[1] أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول ا لله ﷺ

---

(١) هو أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير ابن سعد السهمي، أحدالسابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادله الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح، ع.

قال: بينا رسول ا لله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول ا لله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول ا لله ﷺ وقال: ﴿اتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**أشد ما صنع المشركون...الخ الجواب**».

هذا الجواب يخالف في الظاهر ما أخرجه المصنف في باب إذا قال أحدكم آمين من بدء الخلق عن عائشة رضي ا لله عنها أنها قالت: للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب... الحديث) فالجمع بينهما أن عبد ا لله بن عمرو استند إلى ما رآه من صنيع عقبة مع النبي ﷺ ولم يكن يعلم تلك القصة التي أخبرت بها عائشة.

الثانية: قوله «**بينا رسول ا لله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط...إلى قوله فخنقه خنقاً شديداً**» في مناقب الأنصار برواية عياش بن الوليد (بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة.

الثالثة: قوله «**فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه**» وفي فضائل الصحابة برواية محمد بن يزيد فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه.

الرابعة: قوله «**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**».

وفي حديث عمرو بن العاص عند النسائي في تفسير سورة حم المؤمن أنه سئل ما أشد شئ رأيت قريشاً بلغوا من رسول ا لله ﷺ قال: مر بهم ذات يوم

فقالوا له أنت الذي تنهانـا أن نعبـد مـا يعبـد أباؤنـا؟ قـال: أنـا فقـاموا إليـه فأخذوه بمجامع ثيابه فقال فرأيت أبـا بكـر محتضنـه مـن وراءه يصـرخ وإن عينيـه تنفحان وهو يقول (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله)

قلت: وهذا وإن كان ظاهره مخالفة ما قبله إلا أنه محمول على تعدد القصـة وا لله أعلم.

من فقه الحديث

أولاً: شدة ما لقيه النبي ﷺ من المشركين وصبره عليهم.

ثانياً: في دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ منقبة له.

ثالثاً: جواز الأنتزاع من القرآن والاستشهاد به في المواقف المتشابهة وهو ما يفيده قول أبي بكر ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله**﴾.

آخرتفسيرسورة غافر و لله الحمد والمنة.

سورة حم السجدة

٣٠١ - سورة حم السجدة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**﴾

والمعتمد في المصحف فصلت وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿**كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون**﴾.

وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال طاوس عن ابن عباس ﴿أئتيا طوعاً﴾ أعطيا**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس فذكره.

٢ - [**﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أعطينا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن طاوس عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾**.

٣٣٦ - **وقال المنهال[1]، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؟**

قال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾. ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾. ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾. ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾: فقد كتموا في هذه الآية؟

وقال: ﴿أم السماء بناها ـ إلى قوله ـ دحاها﴾: فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ـ إلى قوله ـ طائعين﴾: فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء؟

وقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾. ﴿عزيزاً حكيماً﴾. ﴿سميعاً بصيراً﴾: فكأنه كان ثم مضى؟

فقال: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: ﴿فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾: فلا أنساب

---

(١) هو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي صدوق ربما وهم من الخامسة خ، ٤، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿أقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾.

وأما قوله: ﴿ما كنا مشركين﴾. ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾: فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده: ﴿يود الذين كفروا﴾.

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دحاها﴾. وقوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾. فجعلت الأرض وما فيها من شئ في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين.

﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله.

قال أبو عبد الله: حدثنيه يوسف بن عدي[١]: حدثنا عبيد الله بن عمرو[٢]، عن زيد بن أبي أنيسة[٣] عن المنهال بهذا.

ش: فيه ثلاث مسائل:

---

(١) هو يوسف بن عدي بن رزق التيمي مولاهم الكوفي، نزيل مصر، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك، خ،س، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

(٢) هو أبو وهب عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الرقي، أبو وهب الأسدي ثقة فقيه ربما وهم من الثامنة، مات سنة ثمانين ومائة عن ثمانين سنة.

(٣) هو أبو أسامة زيد بن أبي أنيسة الجزري أصله من الكوفة ثم سكن الرها ثقة له أفراد من السادسة، مات سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة أربع وعشرين وله ست وثلاثون سنة، ع.

الأولى: قوله «**وقال المنهال عن سعيد بن جبير... الخ**» ظاهره أنه معلق ولكن ليس كذلك بل ساق المصنف الأسناد بعد الفراغ من الخبر كما مر بك.

الثانية: قوله «**إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي**» بيانه من قوله قال: ﴿**فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسألون**﴾ إلى قوله ﴿**سميعاً بصيراً**﴾ فكأنه كان ثم مضى.

الثالثة: من قوله «**فقال ﴿فلا أنساب بينهم﴾**» **في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتسألون إلى قوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله**» هو جواب ابن عباس أزال به عن ذلك الرجل ما عن له من الشبه.

من فقه الحديث

أولاً: يجب على من أشكل عليه أمر في القرآن أو غيره أن يعرضه على الراسخين في العلم.

ثانياً: فقه ابن عباس رضي الله عنه ورسوخه في العلم وهذا يظهر من استعراضه شبه الرجل وإزالتها شبهة شبهة.

ثالثاً: أن القرآن كله حق وليس فيه اشتباه بل يصدق بعضه بعضاً.

شرح جملة من الكلمات

١ - [**وقال مجاهد: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ محسوب**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس والسدي غير منقوص.

والآية المشار إليها **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾**.

٢ - [**﴿أقواتها﴾ أرزاقها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد الذي قبله بلفظ **﴿أقواتها﴾** من المطر، وأخرج مثل ما حكاه المصنف عنه عن الحسن، وأخرج نحوه عن ابن زيد والسدي.

والآية المشار إليها **﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾**.

٣ - [**﴿في كل سماء أمرها﴾ مما أمر به**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد وأراده، وأخرج نحوه عن السدي وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾**.

٤ - [**﴿نحسات﴾ مشائيم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة والسدي نحوه.

والآية المشار إليها **﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات... الآية﴾**

٥ - [**﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ قرناهم بهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (قرناء) شياطين، وأخرجه أيضاً عن السدي.

والآية المشار إليها **﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾**.

٦ - [﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ **عند الموت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله كما اخرجه عن السدي.

والآية المشار إليها ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا**﴾.

٧ - [﴿**اهتزت**﴾ **بالنبات**، [﴿**وربت**﴾ **ارتفعت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت**﴾.

٨ - [**وقال غيره**: ﴿**من أكمامها**﴾ **حين تطلع**].

ش: **قلت**: كذا في رواية أبي ذر والأصيلي، وقد أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**إليه يرد علم الساعة، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾.

٩ - [﴿**ليقولن هذا لي**﴾ **أي بعملي أنا محقوق بهذا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة... الآية**﴾.

١٠ - [﴿**سواءً للسائلين**﴾ **قدَّرَها سواء**].

ش: لم أقف فيها لمجاهد على قول لكن قال أبو عبيدة: نصبها عاصم وحمزة وخففها الحسن فجعلها من نعت الأيام، وإن شئت من نعت الأربعة، ومن نصبها جعلها متصلة الأقوات، وقد ترفع كأنه قال (ذلك سواء للسائلين، يقوله لمن أراد علمه)ا.هـ

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثاني.

١١- [﴿فهديناهم﴾ دللناهم على الخير والشر، كقوله ﴿وهديناه النجدين﴾، وكقوله ﴿هديناه السبيل﴾، والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصعدناه، ومن ذلك قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾].

ش: قال الفراء: يقول دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر كقوله ﴿وهديناه النجدين﴾ الخير والشر.ا.هـ

ثم ساق بإسناده عن علي أنه قال في قوله ﴿وهديناه النجدين﴾ الخير والشر.

قال أبو زكريا وكذلك قوله ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ والهدي على وجه آخر هو الإرشاد بمنزلة قولك أسعدناه، من ذلك قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ في كثير من القرآن.ا.هـ

قلت: وقول البخاري «والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصعدناه...» قال السهيلي: هو بالصاد أقرب إلى تفسير أرشدناه من أسعدناه بالسين المهملة، لأنه إذا كان السين كان من السعد والسعادة، وأرشدت الرجل إلى الطريق وهديته السبيل بعيد من هذا التفسير، فإذا قلت أصعدناهم بالصاد خرج اللفظ إلى معنى الصعدات في قوله إياكم والقعود على الصعدات وهي الطرق، وكذلك أصعد في الأرض إذا سار فيها على قصد، حكاه الحافظ في الفتح (٨ / ٥٦٠).

والآية المشار إليها ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾.

١٢ - [﴿يوزعون﴾ يكفون].

ش: قال الفراء: هي ما وزعت، ومعنى وزعته حبسته وكففته.ا.هـ

وقال السدي: يحبس أولهم على آخرهم. وقال قتادة: عليهم وزعة ترد أولهم على آخرهم. أخرجه عنهما ابن جرير.

قلت: وهذه العبارات الأربع متقاربة.

والآية المشار إليها ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾.

١٣ - [**﴿من أكمامها﴾ قشر الكفرى هي الكم**].

ش: قال الفراء: قشر الكفراه كم. وقال أبو عبيدة: أي أوعيتها واحدها كمه وهو ما كانت فيه وكم وكمه واحد وجمعها أكمام وأكمه.ا.هـ

وهاتان العبارتان قريبتان من قول المصنف إلا أن قول الفراء أشبه.

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثامن.

١٤ - [**وقال غيره: ويقال للعنب إذا اخرج أيضاً كافور وكفرى**].

ش: قوله «**وقال غيره**» قال ابن فارس: في المجمل مادة كفر والكافور كم العنب قبل أن ينوّر يسمى كافوراً لأنه كفر الوليع أي غطاه ويقال له الكفرى.ا.هـ

١٥ - [**﴿ولي حميم﴾ قريب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**.

١٦ - [**﴿من محيص﴾ حاص حاد**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما هم من محيص﴾**.

١٧ - [**﴿مِرْيَه﴾ ومُرْية واحدٌ أي امتراء**].

ش: قاله أبو عبيدة، واخرج ابن جرير عن السدي شك.

والآية المشار إليها **﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيئ محيط﴾**.

١٨ - [وقال مجاهد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ هي وعيد].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن: ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ "هذا وعيد" وقال أبو عبيدة: لم يأمرهم بعمل الكفر إنما هو توعد.

والآية المشار إليها **﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾**.

١٩ - [وقال ابن عباس: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم ا لله، وخضع لهم عدوهم ﴿كأنه ولي حميم﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبوصالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (أمر ا لله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم ا لله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، وهو **أحد** قولين عنده في الاية.

وثانيهما: بمعنى أدفع بالسلام على من أساء إليك إساءته وبه قال عطاء ومجاهد، و قول ابن عباس أظهر عندي وأوفق للآية وا لله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

٣٠٢ - [باب قوله ﴿وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾].

ش: أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم، ما كنتم تكتمون الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم.ا.هـ من ابن كثير.

٣٣٧ - حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم﴾ الآية، كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض أترون أن الله يسمع حديثنا: قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ الآية.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش**»: وفي التوحيد من رواية سفيان (اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي) هذا الشك من أبي معمر وهو عبد الله بن سخبرة راوية ابن مسعود، وقد أخرج هذه القصة عبد الرزاق (ج ٣) عند تفسيره هذه الآية عن وهب بن ربيعة عن ابن مسعود ولفظه قال (إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: ثقفي وختناه قرشيان) وعند الترمذي في باب ومن سورة حم السجدة من التفسير برواية عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر) ولم ينسبهم، قال البغوي في تفسير

سورة فصلت عند هذه الآية: وقيل الثقفي عبدياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية.

قلت: وفي الباب بعد هذا وصفهم فقال: كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم كذا للأكثر بإضافة بطون لشحم وإضافة قلوب لفقه وتنوين كثيرة وقليلة، وعند الترمذي (كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم وذكره بعض الشراح بلفظ إضافة شحم إلى كثيرة وبطونهم بالرفع على أنه المبتدأ أي بطونهم كثيرة الشحم والآخر مثله وهو محتمل قال الحافظ: وقد أخرج ابن مردوية من أوجه أخر بلفظ (عظيمة بطونهم قليل فقههم).

الثانية: قوله «فقال بعضهم لبعض أترون أن الله يسمع حديثنا» وفي الباب بعده من رواية سفيان (فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟) وعندعبد الرزاق (فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا).

الثالثة: قوله «**قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله**» وعند عبد الرزاق فقال الأخر: (أراه يسمع إذا رفعنا ولايسمع إذا خفضنا، فقال الأخر: لئن كان يسمع شيئاً منه إنه ليسمعه كله) وفي الباب بعده وكذا عند مسلم والترمذي (فقال الأخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا)

قال مقيده: هذا القول الأخير وما في معناه على ما فيه من السخرية با لله إلا أن صاحبه أفطن القوم قال الحافظ: وأخلق به أن يكون الأخنس بن شريق لأنه أسلم بعد ذلك وكذا صفوان بن أمية.

الرابعة: قوله: «فأنزلت ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم**﴾».

وعند عبد الرزاق: (فذكرت ذلك لرسول الله قال: فأنزل الله ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم... إلى قوله الخاسرين**﴾.

قلت: وهذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تحصل من مجموع الروايات كما ترى أن تلك الحادثة هي سبب نزول الآيتين.

٣٠٣ - [باب قوله ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾]

ش: يقول تعالى ذكره:وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم يعني أهلككم يقال منه أردى فلاناً كذا وكذا إذا أهلكه.

وقوله **﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾** يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.ا.هـ من ابن جرير.

٣٣٨ - ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية.

وكان سفيان يحدثنا بهذا فيقول حدثنا منصور أو ابن أبي نجيح أو حميد أحدهم أو اثنان منهم ثم ثبت على منصور وترك ذلك مراراً غير واحدة.

٣٣٩ - حدثنا عمر بن علي حدثنا يحيى ثنا سفيان الثوري قال حدثني منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بنحوه.

ش: الشاهد منه يظهر من رواية عبد الرزاق (فأنزل الله **﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم... إلى... الخاسرين﴾** وقد تقدم شرح الحديث ضمن الباب الذي قبله.

وقوله: «كان سفيان يحدثنا بهذا إلى قوله مراراً غير واحدة» هذا كلام الحميدي شيخ البخاري عنه وقد أخرجه عنه في كتاب التوحيد باب قوله **﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾** قال حدثنا منصور عن مجاهد فذكره مختصراً ولم يذكر مع منصور أحداً وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة عن منصور وحده به.

آخر تفسير سورة فصلت والحمد لله.

سورة حم عسق

٣٠٤ – سورة حم عسق بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة والمعتمد في المصحف الشورى وشاهده قوله تعالى ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾ وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي وآياتها ثلاث وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**ويذكر عن ابن عباس ﴿عقيماً﴾ لاتلد**].

ش: قال الحافظ: «وذكره باللفظ المعلق بلفظ جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وفيه ضعف وانقطاع فكأنه لم يجزم به لذلك» **قلت:** وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبوصالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (لا يلقح).

وأخرجه عن ابن زيد قال: لايلد واحداً ولا إثنين.

والآية المشار إليها ﴿**أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً**﴾.

٢ - [**﴿روحاً من أمرنا﴾ القرآن**].

ش: قلت: لم أقف فيه عن ابن عباس على شئ وحكى البغوي في تفسير هذه الآية من سورة الشورى عن مالك بن دينار قال:يعني القرآن.

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: رحمة من أمرنا.

وأخرج عن السدي وحياً من أمرنا.

والآية المشار إليها ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.

٣ - [**وقال مجاهد ﴿يذرؤكم فيه﴾ نسل بعد نسل**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (من الناس والأنعام).

وأخرج عن السدي ومنصور نحوه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يعيشكم فيه وهو قول ابن عباس وقتادة.

وجمع ابن جرير بين القولين فقال: وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحيكم يعيشكم به كما يحيى من لم يخلق بتكوينه إياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حياً.

والآيـة المشـار إليهـا **﴿فـاطر السـموات والأرض جعـل لكـم مـن أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه﴾**.

٤ - [**﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ لا خصومة بيننا وبينكم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ا لله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكـم أعمـالكم لاحجـة بيننا وبينكم ا لله يجمع بيننا وإليه المصير﴾**.

٥ - [**﴿من طرف خفي﴾ ذليل**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال ابن عباس وهـو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يسارقون النظر وهو قول قتادة والسدي ثم قال ابن جرير رحمه ا لله: والصواب مـن القـول في ذلـك القـول الـذي ذكرنـاه عـن ابـن عبـاس ومجاهد وهو ان معناه أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل.

والآية المشار إليها **﴿وتراهم يعرضون عليها خاشـعين مـن الـذل ينظـرون من طرف خفي﴾**.

٦ - [**وقال غيره: ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ يتحركن ولا يجريـن في البحر**].

ش: اخرج ابن جرير عن قتادة قال: سـفن هـذا البحـر تجـري بـالريح فـإذا امسكن عنها الريح ركدت.

وأخرج عن السدي قال: لاتجري، وعن ابن عباس وقوفاً.

وقال أبو عبيدة: سواكن. وهذه الأقوال لا اختـلاف بينهـا في المعنـى وهـي موافقة لظاهر الآية.

والآية المشار إليها **﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾**.

٧ - [**﴿شرعوا﴾ ابتدعوا**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهـم مـن الديـن مـا لم يـأذن بـه ا لله﴾**.

٣٠٥ - [باب قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾].

ش: **قلت:** الآية **﴿ذلك الذي يبشر ا لله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن ا لله غفور شكور﴾**.

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الذي يبشر ا لله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة ا لله تعالى لهم به.

وقوله «**﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**» أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

قلت: وفي قوله **﴿إلا المودة في القربى﴾** أربعة أقوال اخرجها ابن جرير:

أحدها: معناه إلا أن تودوني في قرابتي لكم وتصلوا رحمي بيني وبينكم وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وابي مالك وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وعطاء.

ثانيها: أي لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي وبه قال علي بن الحسين وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

ثالثها: بمعنى إلا أن تودوا إلى ا لله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة وهو قول ابن عباس وقتادة في الرواية الثانية عنهما وبه قال الحسن.

رابعها: بمعنى إلا أن تصلوا قرابتكم قاله عبد ا لله بن القاسم.

قلت: وأجود هذه الأقوال عندي الأول والثالث لأنه لا اختلاف بينهما في المعنى لموافقتهما ظاهر الآية وا لله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسناً يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشراً إلى ما شئنا من الجزاء والثواب.

وقوله ﴿إن الله غفور شكور﴾ أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين، والجملة تعليل لما قبلها.

من فقه الآية

أولاً: أن القرآن كلام الله وهذا مستفاد من قوله ﴿**قل**﴾.

ثانياً: في أمر الله له ﷺ بقوله ﴿**قل لاأسئلكم عليه أجراً** ...الخ﴾ الحث على الصبر في تبليغ الدعوة بالأساليب الجميلة المحببة إلى النفوس مع الحكمة والموعظة الحسنة وفق ما جاء في الشرع.

ثالثاً: تبشير المحسنين بزيادة الأجر.

رابعاً: إثبات الغفور والشكور اسمين لله.

٣٤٠ - حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن قوله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿**عجلت**﴾ أي تسرعت في تفسير الآية و لم تتريث حتى تعلم المراد.

الثانية: قوله «**ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة**».

قلت: هذه الجملة تعليل لما قبلها والمعنى أن النبي ﷺ لم يكن قبيلة من قريش وأنما هو فرد من أفرادهم له فيهم قرابة ومن المعلوم أنه ﷺ هاشمي وبنو هاشم أحد بطون قريش.

الثالثة: قوله «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**»

قلت: هذا تفسير ابن عباس للآية وهو أول الأقوال الأربعة في الآية كما مر بك.

تنبيه

قال الحافظ (٨ /٥٦٤): «وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم، الحديث وإسناده ضعيف وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح».

قلت: «ولم أجده عند ابن جرير في تفسير هذه الآية فلعله أخرجه في موضع آخر، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن الحسين ثنا رجل سماه ثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال: فاطمة وولدها رضي الله عنهم حكاه ابن كثير وقال عقبه: وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لايعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل»ا.هـ

قال محققه في (١٨٩/٧): في المخطوطة مخترق والتخرق اختلاق الكذب.

آخر تفسير سورة الشورى والحمد لله.

سورة حم الزخرف

٣٠٦ - سورة حم الزخرف بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً﴾.

وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت سورة حم الزخرف بمكة، قال القرطبي: هي مكية بالإجماع. وآياتها تسع وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد:﴿على أمة﴾ على إمام**].

ش: حكاه البغوي وأخرج ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (ملة) وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها **﴿بل قالوا إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على أثارهم مهتدون﴾**.

٢ - [**﴿وقيله يارب﴾ تفسيره: أيحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيلهم**].

ش: قال ابن التين: هذا التفسير أنكره بعضهم وإنما يصح لو كانت التلاوة (وقيلهم) حكاه الحافظ.

وقال أبو عبيدة: نصبه في قول أبي عمرو على **﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾** وقيله ونسمع قيله.

وقال غيره: هي في موضع الفعل: ويقول.اهـ

وقال الفراء: خفضها عاصم والسلمي وحمزة وبعض أصحاب عبد الله، ونصبها أهل المدينة والحسن فيما أعلم فمن خفضها قال **﴿عنده علم الساعة﴾** وعلم **﴿قيله يا رب﴾** ومن نصبها أضمر معها قولاً كأنه قال: وقال قوله، وشكا شكواه إلى ربه وهي في أحدى القراءتين قال الفراء لا أعلمها إلا في قراءة أبي، لأني رأيتها في بعض مصاحف عبد الله على وقيله، ونصبها أيضاً يجوز من قوله **﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾**ونسمع قيله، ولو قال قائل: وقيله رفعاً كان جائزاً كما تقول ونداؤه هذه الكلمة يارب.ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾**.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ لولا أن يجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار ﴿سقفاً من فضة ومعارج﴾ من فضة وهي درج وسرر فضة].

ش: وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاويه عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه أيضاً عن الحسن وقتادة والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة وبه قال ابن زيد وأول القولين عندي أظهر لقوله بعده **﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ الآية.**

والآية المشار إليها ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة...﴾.

٤ - [﴿مقرنين﴾ مطيقين].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين﴾.**

٥ - [﴿آسفونا﴾ اسخطونا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾.**

٦ - [﴿يعش﴾ يعمى].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق شبيب عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس فذكره،حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾**.

٧ - [**وقال مجاهد: ﴿افنضرب عنكم الذكر﴾ أي تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه؟**]

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن أبي صالح والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوماً مسرفين، وبه قال قتادة ورجح ابن جرير أولهما.

والآية المشار إليها **﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾**

٨ - [**﴿ومضى مثل الأولين﴾ سنة الأولين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وأخرج عن قتادة نحوه وسيأتي.

والآية المشارإليها **﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾**.

٩ - [**﴿وماكنا له مقرنين﴾ يعني الإبل والخيل والبغال والحمير**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وتقدمت الآية المشار إليها في الأثر الرابع.

١٠ - [**﴿ينشأ في الحلية﴾ الجواري: يقول: جعلتموهن للرحمن ولداً فكيف تحكمون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عنى بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها وهو قول ابن زيد ورجح ابن جرير أولهما وهو الموافق لظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿ **أومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين**﴾.

١١- [﴿**لو شاء الرحمن ما عبدناهم**﴾ **يعنون الأوثان،يقول ا لله تعالى** ﴿**ما هم بذلك من علم**﴾ **أي الأوثان إنهم لا يعلمون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدنا هم ما لهم بذلك من علم**﴾.

١٢ - [﴿**في عقبه**﴾ **ولده**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس والسدي وغيرهما.

والآية المشار إليها ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾.

١٣ - [﴿**مقترنين**﴾ **يمشون معاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى متتابعين،وبه قال قتادة.

وثالثها: بمعنى يقارن بعضهم بعضاً وهو قول السدي.

قال ابن جرير في معنى الآية: مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم.

والآية المشار إليها ﴿**فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين**﴾.

١٤ - [﴿سلفاً﴾ قوم فرعون سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة ومعمر.

١٥ - [﴿ومثلاً﴾ عبرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن السدي ونحوه عن قتادة وسيأتي.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾**.

١٦ - [﴿يصدون﴾ يضجون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها **﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾**.

١٧ - [﴿مبرمون﴾ مجمعون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وزاد إن كادوا شيئاً كدنا مثله، واخرج مثله عن قتادة وعن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿ أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون﴾**.

١٨ - [﴿أول العابدين﴾ أول المؤمنين].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه ﴿ قل إن كان للرحمن ولدٌ ﴾ كما تقولون ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ المؤمنين با لله ،فقولوا ما شئتم.

وأخرج عن ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور : عن ابن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ قال: قل : إن كان لله ولد في قولكم ، فأنا أول من عبد ا لله ووحده وكذبكم .

وهو أحد أقوال خمسة حكاها ابن جرير في الآية:

وثانيها: بمعنى قل ما كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين له بذلك وهو قول ابن عباس.

وثالثها: بمعنى ما كان ذلك ولا ينبغي أن يكون، وبه قال قتادة وابن زيد وغيرهما.

ورابعها: بمعنى لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك وهو قول السدي.

وخامسها: بمعنى فأنا أول الأنفين ذلك و لم ينسبه إلى أحد.

واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول السدي وهو رابعها.

والآية المشار إليها ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾.

١٩ - [**وقال غيره: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ العرب تقول نحن منك البراء والخلاء والواحد والإثنان والجميع، من المذكر والمؤنث، يقال فيه براء لأنه مصدر، ولو قال برئ، لقيل في الإثنين بريئان والجميع بريئون، وقرأ عبد الله ﴿إنني بريء﴾ بالياء**].

ش: قاله الفراء وزاد: ولو قرأها قارئ، كان صواباً موافقاً لقراءتنا لأن العرب تكتب يستهزي يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها، يكتبون شيئ شيئاً ومثله كثير في مصاحف عبدا لله وفي مصحفنا ويهيئ لكم ويهيأ الألف.ا.هـ

والاية المشار إليها ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**﴾.

٢٠ - [**الزخرف: الذهب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والسدي وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿**وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين**﴾.

٢١ - [**﴿ملائكة يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وأخرج نحوه عن مجاهد والسدي.

والآية المشار إليها **﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾**.

٣٠٧ - [باب قوله ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نا لهم مالكاً وهو خازن جهنم.

يا ما لك ليقض علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من إما تتنا فلا يجيبهم على مقالتهم تلك إلا بقوله ﴿إنكم ماكثون﴾: أي باقون في العذاب على الدوام.

٣٤١ - حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلى[1] عن أبيه[2] قال سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾.

ش: زاد الشيخ رحمه الله في بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين وباب صفة النار وأنها مخلوقة، قال سفيان: في قراءة عبد الله **﴿ونادوا يا مال﴾** بالترخيم على لغة من ينتظر، وعند عبد الرزاق قال سفيان الثوري وفي حرف ابن مسعود **﴿ونادوا يا مال ليقض علينا ربك﴾**، وقراءة الجمهور بغير ترخيم وأخشى أن تكون هذه القراءة أعني قراءة الترخيم شاذة بل لم أجدها عند مكي ولا الجزري.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال قتادة: ﴿مثلاً للآخرين﴾ عظة لمن بعدهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشير ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

والآية المشار إليها مضت في الباب قبله برقم ١٥.

٢ - [وقال غيره ﴿مقرنين﴾ ضابطين يقال فلان مقرن لفلان ضابط له].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال الكميت:

---

(١) هو صفوان بن يعلى بن أمية التميمي المكي ثقة من الثالثة، ع.

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي حليف قريش وهو يعلى بن منية بضم الميم وهي أمه صحابي مشهور مات سنة بضع وأربعين، ع.

ركبتم صعبتي أشراً وحينا ولستم للصعاب بمقرنينا

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الباب قبله برقم تسعة.

٣ - [**والأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها**].

ش: قاله أبو عبيدة وقال ابن جرير الأكواب جمع كوب والكوب الإبريق المستدير الرأس الذي لا أذن له ولا خرطوم.

٤ - [**﴿أول العابدين﴾ أي ما كان فأنا أول الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد**].

ش: قال أبو عبيدة: وقال آخرون مجازها إن كان في قولكم للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم وهي من عبد يعبد عبداً.

وفي المجموع المغيث مادة عبد في كلام علي رضي الله عنه عبدت فصمت أي انفت.

وقد تقدم الخلاف في الآية في الباب قبله ضمن الأثر الثامن عشر.

٥ - [**وقرأ عبد الله ﴿وقال الرسول يا رب﴾**].

ش: قال بعض أهل العلم هي قراءة شاذة، وفي الآية قرأتان:

إحداهما: قراءة عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب وإذاقرئ كذلك كان له **وجهان** في التأويل:

١- العطف على قوله **﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم﴾** ونسمع قيله يا رب.

٢ - أن يضمر له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكا محمد شكواه إلى ربه.

وثانيهما: قرأة عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله.

وقد سبقت الإشارة إلى الآية في شرح الأثر برقم ٢ من الباب قبله.

٦ - [**ويقال ﴿أول العابدين﴾ الجاحدين من عبد يعبد**].

ش: تقدم ضمن الأثر الثامن عشر في الباب قبله وأنه قول قتادة وابن زيد.

٧ - [**وقال قتادة: ﴿في أم الكتاب﴾ جملة الكتاب أصل الكتاب**].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

وأخرج عن السدي وعطية بن سعد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾**.

٨ - [**﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مشركين، وا لله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة هلكوا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وقد تقدم الخلاف في الآية ضمن شرح الأثر السابع من الباب قبله.

٩ - [**﴿فأهلكنا اشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ عقوبة الأولين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله.

وقد مضت الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الثامن من الباب قبله.

١٠ - [**﴿جزءاً﴾ عدلاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: قولهم للملائكة هم بنات ا لله وهو قول مجاهد والسدي واختار ابن جرير ثانيهما قال لأن ا لله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله **﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾** توبيخاً لهم على قولهم ذلك.

والآية المشار إليها : **﴿ وجعلوا له من عباده جزأ إن الإنسان لكفور مبين﴾**

آخر تفسير سورة الزخرف و لله الحمد والمنة.

سورة الدخان

٣٠٨ - سورة حم الدخان بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾.

وفي مسند البزار عن زيد بن حارثة أن رسول ا للهﷺ قال لابن صياد (إني قد خبأت خبأ فما هو، وخبأ له رسول ا للهﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ فقال: اخسأ ماشاء ا لله ثم انصرف).

قال القرطبي: مكية باتفاق إلا قوله ﴿**إنا كاشفوا العذاب...**﴾.

وآياتها تسع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد:﴿رهواً﴾ طريقاً يابساً**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وبه قال قتادة وهو **أحد** أقوال ثلاثه حكاها في الآية:

وثانيها: بمعنى اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها وهو قول ابن عباس وكعب الأحبار.

وثالثها: بمعنى اتركه سهلاً، وبه قال الربيع والضحاك وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

واختار ابن جرير الثاني من هذه الأقوال.

٢ - [**ويقال: رهواً ساكناً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد يقال: أره على نفسك أي أرفق بها ولا تغرق يقال عيش راه.

قال بشر بن أبي حازم:

فإن أهلك عمير قرب زحف   يشبه نقعه رهواً ضباباً

والآية المشار إليها **﴿واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون﴾**.

٣ - [**﴿على علم على العالمين﴾ على مَن بين ظَهْرَيْهِ**].

ش: اخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (على من هم بين ظهرانيه).

وأخرج نحوه عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾**.

٤ - [**﴿فاعتِلوه﴾ ادفعوه**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿**خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**﴾.

٥ - [﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾ **أنكحناهم حوراً عيناً يحار فيها الطرف**].

ش: حكاه البغوي عن مجاهد وزاد: من بياضهن وصفاء لونهن.

والآية المشار إليها ﴿**كذلك وزوجناهم بحور عين**﴾.

٦ - [﴿**ترجمون**﴾ **القتل**].

ش: حكاه ابن جرير ولم يذكر له قائل وحكى في الآية قولين آخرين:

أحدهما: أنه الشتم باللسان وهو قول ابن عباس وأبي صالح.

وثانيهما: أنه الرجم بالحجارة وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها ﴿**وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون**﴾.

٧ - [﴿**وقال ابن عباس** ﴿**كالمهل**﴾ **أسود كمهل الزيت**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن سهل ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره

وأخرج عن ابن مسعود وسعيد بن جبير نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**كالمهل يغلي في البطون**﴾.

٨ - [**وقال غيره:** ﴿**تبع**﴾ **ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمى تبعاً، لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعاً، لأنه يتبع الشمس**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام وهم ملوك العرب الأعاظم».اهـ

وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً، وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه.

والآية المشار إليها ﴿**أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم**﴾.

٣٠٩ - [باب ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾]

ش: يعني تعالى ذكره بقوله ﴿**فارتقب**﴾ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون وإنما هو افتعل، من رقبته إذا انتظرته وحرسته.

وقوله ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين أي يوم هو؟ ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، وذلك على قولين:

أحدهما: أن ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف فأخذوا بالمجاعة قالوا وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان وبه قال ابن مسعود وأبو العالية، ومجاهد وقتادة والضحاك.

وثانيهما: أن الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجئ الساعة فيدخل في اسماع أهل الكفر به، ويعترى أهل الإيمان به كهيئة الزكام قالوا ولم يأت بعد وهو آت وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وأبي سعيد وحذيفة وأبي مالك الأشعري.

حكاهما ابن جرير واختار ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهر بدعائه ﷺ عليهم على ما وصف ابن مسعود من ذلك.

قوله : [قال قتادة: فارتقب فانتظر].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

٣٤٢ - حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشه، واللزام.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**مضى خمس**» وفي تفسير سورة الفرقان برواية حفص بن غياث (خمس قد مضين) والمعنى واحد.

الثانية: قوله «**الدخان**» في رواية منصور في الإستسقاء (وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع)، وفي تفسيرسورة يوسف برواية سفيان (حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان)، وفي تفسير سورة الروم برواية سفيان (ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان)، وفي تفسير سورة ص برواية جرير حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع).

الثالثة: قوله «**الروم**» في الإستسقاء (وآية الروم)، وفي تفسير سورة الروم ﴿الم غلبت الروم... إلى... سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

الرابعة: قوله «**والقمر**» فسره في باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية من المناقب عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ اشهدوا) وعند الترمذي في تفسير سورة القمر من رواية إبراهيم (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. الحديث) وفي حديث أنس عند المصنف في المناقب وعند الترمذي في تفسير سورة القمر (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر).

الخامسة: قوله «**والبطشة**» يأتي في الباب الرابع عشر بعد الثلاثمائة.

السادسة: قوله «**واللزام**» تقدم شرحه في تفسير سورة الفرقان ضمن الباب السابع والخمسين بعد المائتين.

٣١٠ - [باب ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾].

ش: يقول تعالى: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم.

﴿**هذا عذاب أليم**﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجع وترك من الكلام ﴿**يقولون**﴾ استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

٣٤٣ - حدثنا يحيى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: (لمضر؟ إنك لجريء). فاستسقى فسقوا. فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال: يعني يوم بدر.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف**» وفي الإستسقاء من رواية منصور كنا عند عبدالله فقال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال (اللهم سبع كسبع يوسف) وفي تفسير سورة يوسف برواية الأعمش (ان قريشاً لما أبطئوا على النبي ﷺ بالإسلام، قال (اللهم اكفنيهم بسبعٍ كسبع يوسف) وفي سورة الروم برواية منصور والأعمش (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف).

الثانية: قوله «**فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام**» وفي الإستسقاء (فأخذتهم سنة حصت كل شئ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف) ومعنى حصت كل شئ أي استأصلته، وفي الباب بعد هذا (فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد) وفي باب ﴿**أنى لهم الذكرى**﴾ (فأصابتهم سنة حصت يعني كل شئ حتى كانوا يأكلون الميتة).

الثالثة: قوله «**فأنزل الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾**» تقدم شرحهما.

الرابعة: قوله «**فأتي رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت**» وفي الإستسقاء (فأتاه ابو سفيان فقال يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم) والجمع بين هذه الرواية وحديث الباب أن سؤال النبي ﷺ الإستسقاء لقومه وقع مرتين:

إحداهما: من بعض المسلمين ولهذا قال يا رسول الله.

والآخرى: من أبي سفيان وكان مشركاً ولهذا قال يا محمد) وإن قلت إنما دعى رسول النبي ﷺ على قريش وهم قومه فالجواب لعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم بجرمهم فقال لمضر ليندرجوا فيهم ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الآخرة (وإن قومك هلكوا) ولا منافاة بينهما لأن مضر ايضاً قومه قاله الحافظ في شرحه لهذا الحديث.

الخامسة: قوله «**لمضر؟ إنك لجريء**» هذا سؤال استنكار وتوبيخ والمعنى أي أتامرني أن استسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك با لله.

السادسة: قوله «**فنزلت ﴿إنكم عائدون﴾ في الإستسقاء (قال الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين... إلى قوله.. عائدون﴾**»

قلت: وما بينهما ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾.

السابعة: قوله «فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية» أي التوسع والراحة يعني ما نالهم من خصب ورخاء ببركة دعاء النبي لهم.

الثامنة: قوله: «فأنزل الله عز وجل ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال يعني يوم بدر».

قلت: وسيأتي شرح ذلك في آخر باب من تفسير هذه السورة إن شاء الله.

٣١١ - [باب ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾]

ش: يعني ان الك ين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود . اك كما أخبر عنهم جل ثناؤه **﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾**.

قلت: وهذا هو دأب المشركين الذين بعث إليهم ﷺ يخلصون لله الدعاء في الشدائد فما حال المشركين هذا الزمن قال الشيخ محمد رحمه الله في كشف الشبهات ج١ ص١٦٩ مجموعة مؤلفات الشيخ: (فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر، أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾**.

وقوله **﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾**.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس.

٣٤٤ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. إن قريشاً لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: (اللهم أعني

عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾. فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله جل ذكره ـ إنا منتقمون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله **(دخلت على عبد الله فقال)**

قلت: ولهذا القول سبب أخرجه المصنف في تفسير سورة الروم برواية منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجئ دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال... الحديث.

وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان من رواية منصور (كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضجع بيننا فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً... الحديث.

قال بعض أهل العلم: وكندة موضع بالكوفة ولاية عبدا لله بن مسعود، ولا منافاة بين الروايتين لجواز أن يكون خبر ذلك القاص بلغ ابن مسعود مرتين إحداهما من مسروق والأخرى بحضرته.

قال مقيده: فماذا يقول ابن مسعود وإخوانه خريجوا مدرسة محمد لو سمعوا قصاص اليوم الذين عمدتهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات

والأساطير وليس عندهم ما يبصرون به الناس من دين ا لله إلا ذلك وإذا قيل لهم ليس عملكم هذا بسديد قالوا: إنما ذلك من أجل الدين وإن كان ليس من الدين.

الثانية: قوله «**إن من العلم أن تقول لما لا تعلم ا لله أعلم**» وفي تفسير سورة الروم (من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل ا لله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا اعلم) وعند مسلم (فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به ا لله اعلم) وعند الترمذي في تفسير سورة الدخان (فإن من علم الرجل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول ا لله أعلم).

الثالثة: قوله «فإن ا لله قال لنبيه ﷺ **﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾** قلت هذه الجملة أعني فإن ا لله قال لنبيه الخ تعليل لقوله إن من العلم أن تقول لما لا تعلم ا لله أعلم، وقد سبق شرح الآية التي تضمنتها هذه الجملة في تفسير سورة ص حيث بوب عليها البخاري هناك.

الرابعة: قوله **﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾** هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه أول الباب.

الخامسة: قوله«**فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا**» ظاهره أنه وحي من ا لله نزل به إليه الملك وفي تفسير الروم (أفيكشف عنهم عذاب الأخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم).

السادسة: قوله «**فعادوا فانتقم ا لله منهم يوم بدر**» في الروم (فذلك قوله تعالى **﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾**) يوم بدر، وعند مسلم **﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾** قال يعني يوم بدر.

السابعة: قوله «**فذلك قوله تعالى ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله جل ذكره ـ إنا منتقمون﴾**» هذا تفسير لقوله قبل (فعادوا فانتقم ا لله منهم يوم بدر) وقد مضى بعض الآيات المشار إليها وسيأتي شرح قوله **﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾** الخ.

من فقه الحديث

أولاً: جواز الغضب في الموعظة والعلم للزجر والتغليظ.

ثانياً: إن إخبار السلطان بما يجري في ولايته من المخالفات ليس من الغيبة بل هو من النصيحة الواجبة.

ثالثاً: ليس حسن النية كافياً في تسويغ العمل بل لابد فيه من إصابة السنة.

رابعاً: شدة النكير على من خالف السنة وإن كان قصده الخير.

خامساً: النهي عن القول بلا علم.

سادساً: لا عيب على من أمسك عن القول عما لا يعلم وأنه من الفقه.

سابعاً: يجب على من دعى إلى الله على بصيرة أن يفقه الناس في دين الله بالكتاب والسنة.

٣١٢ - [باب ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾]

ش: يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بين الرسالة والنذارة وهذا كقوله جلت عظمته ﴿**يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى**﴾ الآية وكقوله عز وجل ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾ إلى آخر السورة.

قوله :[**الذِّكْر والذِّكْرى واحد**].

ش: قال الجوهري والذكر والذكرى بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة.

٣٤٥ - حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا جرير بن حازم، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأصابتهم سنة حصت - يعني - كل شئ، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم - حتى بلغ - إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾. قال عبد الله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر.

ش: مضى شرحه مفرقاً ضمن الأبواب قبله.

٣١٣ - [باب ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾]

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لايتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ويقولون إنما هو مجنون علم هذا الكلام.

٣٤٦ - حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد، عن شعبة، عن سليمان ومنصور، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: قال عبد الله: إن الله بعث محمداً ﷺ وقال: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. فإن رسول الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم السنة حتى حصت كل شئ، حتى أكلوا العظام والجلود، فقال أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: (تعودون بعد هذا). في حديث منصور: ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ــ إلى ــ عائدون﴾. أيكشف عذاب الآخرة؟ فقد مضى: الدخان، والبطشة، واللزام. وقال أحدهم: القمر. وقال الآخر: الروم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**فقال أحدهم**» يعني أحد الرجلين منصور أو الأعمش وهو سليمان بن مهران والمتبادر إلى الذهن أن يقول أحدهما بالتثنيه لكنه صحيح وليس مخالفاً للقياس ونظيره قوله تعالى ﴿**فإن كان له إخوة**﴾ والمراد إثنان فصاعدا وعليه فقول الشيخ ها هنا مخرج على أقل الجمع وهو إثنان.

الثانية: قوله «**ثم قال: تعودون بعد هذا**» هو من قول النبي ﷺ بدليل قوله قبله (فدعا ثم قال...) ومراده بذلك التخويف والتهديد والمعنى هل تعودون إلى العناد والعصيان بعد كشف ما ألم بكم؟.

الثالثة: قوله «في حديث منصور ثم قرأ ﴿فارتقب... الآية﴾» مراد الشيخ رحمه الله أن منصور وهو ابن المعتمر تفرد عن رفيقه وهو سليمان الأعمش بقوله ثم قرأ الخ.

الرابعة: قوله «**وقال أحدهم القمر وقال الآخر الروم**» يعني أن أحد راويي أبي الضحى وهما منصور والأعمش قالا القمر وقال الآخر الروم.

٣١٤ - [باب ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم فكشف الله عنهم فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا فأهلكهم قتلاً بالسيف.

وفي البطشة الكبرى قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أنها بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر وهو قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وأبي العالية والضحاك وابن زيد ويؤيده حديث الباب.

وثانيهما: أنها بطشة الله بأعدائه يوم القيامة وبه قال ابن مسعود في رواية ابن عباس عنه وعكرمة وقتادة.

٣٤٧ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان.

ش: مضى شرحه في الأبواب قبله.

آخر تفسير سورة الدخان و لله الحمد والمنة.

سورة الجاثيـــة

٣١٥ - **سورة حم الجاثية بسم ا لله الرحمن الرّحيم**

ش: شاهد التسمية للأول ظاهر وأما الثاني فقوله تعـالى **﴿وتـرى كـل أمـة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾**.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة، وأخرج ابـن مردويـه عـن ابـن عبـاس وابن الزبير أنها نزلت بمكة، وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا إلا آية منهـا، وهي قوله **﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذيـن لا يرجـون أيـام ا لله﴾** فأنهـا نزلـت بالمدينة في عمر بن الخطاب.

وآياتها سبع وثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿جاثية﴾ مستوفزين على الركب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بهذا اللفظ وأخرجه عن الضحاك وابن زيد دون قوله (مستوفزين).

والآية المشار إليها **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾**.

٢ - [**وقال مجاهد: ﴿نستنسخ﴾ نكتب**].

ش: لم أقف في الآية على شيء عن مجاهد وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية: الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم.

وأخرج عن علي قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

والآية المشار إليها **﴿هذا كتبنا ينطق عليكم بالحق إناكنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**.

٣ - [**﴿ننساكم﴾ نتركم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها **﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾**.

٣١٦ - [باب ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾]

ش: قلت الآية: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وماهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾**.

يخبر جل ثناؤه أن هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث أنهم يقولون ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها.

وقوله **﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾** أي ما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

وقوله **﴿وما هم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾** أي وما لهؤلاء المشركين من ذلك من علم يعني من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصاً بغير خبر أتاهم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته.

﴿إن هم إلا يظنون﴾ أي ماهم إلا في ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم.

من فقه الآية

أولاً: وجوب الإيمان بالبعث وكفر منكره.

ثانياً: الرد على من زعم أن الدهر من أسماء الله وهذا مستفاد من قوله **﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾** ووجه الدلالة أنه لو كان الدهر من أسماء الله لم يعب الله المشركين على هذه المقولة لأن المعنى وما يهلكنا إلا الله وهو صحيح.

٣٤٨ - حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**يؤذيني ابن آدم**» آذي الرجل أذى وصل إليه المكروه فهو أذٍ مثل عمٍ ويعدى بالهمزة فيقال آذيته إيذاءً والأذية اسم منه فتأذى هو) قاله في المصباح مادة أذى.

قلت: هذا معناه في اللغة وأما المراد من الحديث فقد فسره بقوله بعد (يسب الدهر) وفيه نص على أن الرب جل ثناؤه يؤذيه عباده بسبهم الدهر فنؤمن بذلك ولا نكيفه ونكل علم القول في ذلك إلى من قاله.

الثانية: قوله «**يسب الدهر**» في رواية أبي سلمة باب لا تسبوا الدهر من الأدب يسب بنو آدم الدهر، وعند مسلم كتاب الألفاظ باب النهي عن سب الدهر من رواية معمر (يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر).

الثالثة: قوله «**وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**» في الأدب (وأنا الدهر بيدي الليل والنهار» وعند مسلم (أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما) وعند المصنف في الأدب ومسلم (فإن الله هو الدهر) وعند النسائي في تفسير الآية (بيدي الخير، أقلب الليل والنهار).

وأما معنى الحديث إجمالاً فقال الشافعي: «إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ ((لاتسبوا الدهر))على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الأشياء»انتهى.

وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد بعد نقله هذا الكلام **قلت**: والظاهر أن المشركين نوعان:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.

والثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيئ إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل ذلك.

وقال الخطابي: «معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لموقع الأمور».

من فقه الحديث

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل بدليل قوله قال الله عز وجل.

ثانياً: تحريم سب الدهر لأنه يترتب عليه ثلاثة مفاسد:

«**إحداها**: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره مذلل لتسخيره فسابه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر وأعطى من لا يستحق العطاء ورفع من لا يستحق الرفعة وحرم من لا يستحق الحرمان وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وقعت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل والدهر ليس له من الأمر شيئ فمسبتهم للدهر مسبة لله عزوجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى». انتهى من زاد المعاد (٣/٣٥٤).

آخر تفسيرسورة الجاثية والحمد لله.

سورة الأحقاف

٣١٧ - سورة حم الأحقاف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وشاهد التسمية للأول ظاهر والثاني قوله تعالى ﴿**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف..**﴾.

وعن ابن مسعود قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها آخر فخالف قراءته، فقلت: من أقرأكها؟ قال رسول الله ﷺ فقلت: والله لقد أقرأني رسول الله ﷺ غير ذا فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ألم تقرئني كذا وكذا؟

قال: بلى وقال الآخر ألم تقرئني كذا وكذا قال: بلى، فتمعر وجه النبي ﷺ فقال: ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فإنما أهلك من كان قبلكم الإختلاف) أخرجه ابن الضريس والحاكم وصححه.

وهي مكية في قول الجميع كما قال القرطبي، وآياتها خمس وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿تفيضون﴾ تقولون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿أم يقولون إفتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه﴾**.

٢ - [**وقال بعضهم: أَثَرَة وأُثْرَة وأَثَارَة : بقية**].

ش: لم أقف على من قاله بهذا اللفظ ولكن قال أبو عبيدة: أي بقية وقال راعي الإبل: **وذات أثارة أكلت عليه نبات في أكمة قفارا**

أي بقية من شحم أكلت عليه، ومن قال أثرة فهو مصدر أثره يأثره يذكره.ا.هـ

وقال الفراء: «قرأها العوام أثارة وقرأها بعضهم قال قرأ أبو عبد الرحمن فيما أعلم وأثرة خفيفة وقد ذكر عن بعض القراء أثره والمعنى فيهن كلهن بقية من علم أو شئ مأثور من كتب الأولين فمن قرأ أثارة فهو كالمصدر مثل قولك السماحه والشجاعة ومن قرأ أثرة فإنه بناه على الأثر كما قيل قتره ومن قرأ أثره كأنه أراد مثل قوله إلا من خطف الخطفة والرجفة». اهـ

والآية المشار إليها **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾**.

٣ - [**وقال ابن عباس: ﴿بدْعاً من الرُّسُل﴾ لستُ بأول الرسل**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها **﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم...﴾**.

٤ - [وقال غيره: ﴿أرأيتم﴾ هذه الألف إنما هي توعد، إن صح ما تدعون لا يستحق أن يعبد، وليس قوله ﴿أرأيتم﴾ برؤية العين، إنما هو أتعلمون أَبَلَغَكُم أن ما تدعون من دون الله خلقوا شيئاً].

ش: لم أقف على قائله وهذا كله ليس في رواية أبي ذر وأشار به إلى قوله تعالى **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به﴾**.

وقوله «**هذه الألف**» أشار به إلى أن الهمزة التي في أول أرأيتم إنما هي توعد لكفار مكة حيث ادعوا صحة ما عبدوه من دون الله، وإن صح ما يدعون في زعمهم فلا يستحق أن يعبد لأنه مخلوق فلا يستحق أن يعبد إلا الله الذي خلق كل شئ.

وقوله «**وليس**» في قوله أراد به أن الرؤية في قوله أرأيتم ليست من رؤية العين التى هي الإبصار وإنما معناه ما قاله من قوله (أتعلمون أبلغكم...الخ) انتهى مختصراً من عمدة القاري (١٦/١٠).

٣١٨ - [باب ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾]

ش: هذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتواً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله يقول الله جل ثناؤه **﴿والذي قال لوالديه﴾** أن دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ومجازاته إياهم بأعمالهم **﴿أف لكما﴾** يقول: قذر لكما ونتناً أتعدانني أن أخرج، يقول أتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حياً.

وقوله «**وقد خلت القرون من قبلي**» يقول اتعدانني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلي فهلكوا فلم يبعث منهم أحدا، ولو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقولان لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون **﴿وهما يستغيثان الله﴾** يقول تعالى ذكره ووالداه يستغيثان الله عليه أن يؤمن بالله ويقر بالبعث ويقولان له **﴿ويلك آمن﴾** أي صدق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه إنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه فيقول عدو الله مجيباً لوالديه، ورداً عليهما نصيحتهما، وتكذيباً بوعد الله ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري إلا ما سطره الأولون، من الناس من الأباطيل فكتبوه فاصبتماه أنتما فصدقتما.ا.هـ من ابن جرير.

٣٤٩ - حدثنا موسى بن إسماعيل: ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك[1] قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب

(١) هو يوسف بن ماهك بن بهزاد الفارسي المكي ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة وقيل قبل ذلك.ع.

فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان: إن هذا الذي أنزل ا لله فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة من وراء حجاب: ما أنزل ا لله فينا شيئاً من القرآن إلا أن ا لله أنزل عذري.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**كان مروان على الحجاز**» يعني أميراً لمعاوية على المدينة وتوابعها.

وأخرج الإسماعيلي والنسائي من طريق محمد بن زياد هو الجمحي قال: (كان مروان عاملاً على المدينة حكاه الحافظ هنا.

الثانية: قوله «**استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له**» في رواية الإسماعيلي من الطريق المذكورة (فأراد معاوية ان يستخلف يزيد يعنى إبنه ـ فكتب إلى مروان بذلك، فجمع مروان الناس فخطبهم فذكر يزيد ودعا إلى بيعته وقال إن ا لله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمرَ) حكاه الحافظ هنا.

الثالثة: قوله «**فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً**» **قلت:** أخرج ابن أبي حاتم وأسناده كما ساقه ابن كثير في تفسير هذه الآية: ثنا علي بن الحسين: ثنا محمد بن العلاء: ثنا يحيى بن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد: أخبرني عبد ا لله بن المديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن ا لله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر رضي ا لله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي ا لله عنهما أهرقلية؟ إن أبا بكر رضي ا لله عنه وا لله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده الخ.

قلت: وعزاه الحافظ أيضاً إلى ابن أبي يعلى.

الرابعة: قوله «**فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا**» أي امتنعوا من الدخول خلفه في بيت عائشة توقيراً وإجلالاً لها لمكانتها وحق لهم ذلك إذ هي أم المؤمنين زوج النبي

الخامسة: قوله «**فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني**» وفي خبر ابن المديني المذكور (فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما).

السادسة: قوله «**فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري**» وفي خبر بن المديني فقالت يا مروان إنت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف).

قلت: وتعني بقولها «إلا أن الله أنزل عذري» الآيات من سورة النور من قوله ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ـ إلى قوله تعالى ـ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، اولئك مبرؤون مما يقولون، هم مغفرة ورزق كريم**﴾.

تنبيه

قد يستدل بهذا الخبر بعض أهل الأهواء والفرق والجماعات الضالة على مجاهرة الحكام بالنصيحة وعلى الملأ، فجواب أولئك ما رواه ابن أبي عاصم وأحمد عن عياض بن غنم قال: قال رسول الله : من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده فليخلوا به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى الذي عليه) فالحديث دليل على ثلاثة أمور:

أولاً: السرية التامة في المناصحة للحاكم حتى عن أقرب الناس إليه إن أمكن.

ثانياً: براءة الذمة بمجرد النصيحة على هذا الوجه الذي تضمنه الحديث.

ثالثاً: أنه لا تبعة على من لا يقدر على النصيحة للحاكم سراً لأنه لا تكلف نفس إلا وسعها ولأن هذا الطريق هو ما جاء عن الله على لسان رسوله فلو رضي الله للعباد والبلاد غيره لجاء بيانه في الكتاب أو في صحيح السنة، فكان لزاماً على كل طالب للحق والهدى الوقوف على هذا النص.

٣١٩ - باب قوله ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾

ش: يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء **﴿مستقبل أوديتهم﴾** والعرب تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشياً ثم يصبح من الغد قد استوى، وحباً بعضه إلى بعض عارضاً، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين ينشأ.

وقوله **﴿بل هو ما استعجلتم به﴾** يقول تعالى ذكره: مخبراً عن قيل نبيه ﷺ هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم **﴿بل هو ما استعجلتم به﴾** أي هو العذاب الذي استعجلتم به فقلتم أئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ والريح مكررة على ما في قوله **﴿هو ما استعجلتم به﴾** كأنه قيل بل هو ريح فيها عذاب أليم.

[قال ابن عباس: ﴿عارض﴾ السحاب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه، حكاه الحافظ هنا.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال: هي الريح إذا أثارت سحاباً.

٣٥٠ - حدثنا أحمد: حدثنا ابن وهب: أخبرنا عمرو: أن أبا النضر[(١)] حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم قالت:

(١) هو سالم بن أبي أمية مولى عمر بن عبيد الله التيمي المدني ثقة ثبت وكان يرسل من الخامسة، مات سنة تسع وعشرين [ومائة] ع.

وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول ا لله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**ما رأيت رسول ا لله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته**» وعند مسلم في الإستسقاء برواية هارون بن معروف وأبي الطاهر (ما رأيت رسول ا لله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته) واللهاوة بالتحريك جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك، ويجمع أيضاً على لهى بفتح اللام مقصوراً.

الثانية: قوله «**إنما كان يتبسم**» وهذا لا ينافي ما جاء في ضحكه أنه أحياناً يضحك حتى تبدو نواجذه لأن ظهور النواجذ وهي الأسنان التي في مقدم الفم أو الأنياب لا يستلزم ظهور اللهاة.

الثالثة: قوله «**وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه**» عند المصنف في بدء الخلق باب ما جاء في قوله ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته**﴾ عن عائشة (كان النبي ﷺ إذا رأى مخيله في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا مطرت سري عنه) وعند مسلم في صلاة الإستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم من رواية عطاء (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال "اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشرما أرسلت به"قالت وإذا تخيلت السماء....الحديث)، وعند النسائي في تفسير هذه الآية (كان رسول ا لله ﷺ إذا رأى ريحاً قام وقعد وأقبل وأدبر.

الرابعة: قوله «**يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية**» في بدء الخلق فعرفته عائشة ذلك، وعند مسلم (فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة فسألته).

الخامسة: قوله «**يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب...الخ**» وعند مسلم فقال: (لعله يا عائشه كما قال قوم عاد، فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا).

قال النووي: «فيه الإستعداد بالمراقبة لله والإلتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه وكان خوفهﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة وسروره لزوال سبب الخوف»).

وقال ابن العربي: «فإن قيل كيف يخشى النبيﷺ أن يعذب القوم وهو فيهم مع قوله تعالى ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ والجواب أن الآية نزلت بعد هذه القصة ويتعين الحمل على ذلك لأن الآية دلت على كرامة النبيﷺ ورفعه فلا يتخيل إنحطاط درجته أصلاً». حكاه الحافظ هنا ثم تعقبه بقوله قلت: ويعكر عليه أن آية الأنفال كانت في المشركين من أهل بدر، وفي حديث عائشة إشعار بأنه كان يواظب على ذلك من صنيعه كان إذا رأى فعل كذا والأولى في الجواب أن يقال أن في آية الأنفال احتمال التخصيص بالمذكور به أو يوقف دون وقت أو مقام خوف يقتضي عليه عدم الأمن من مكر الله، وأولى من الجميع أن يقال: خشي على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب أما المؤمن فشفقة عليه لإيمانه، وأما الكافر فلرجاء إسلامه، وهو بعث رحمة للعالمين.ا.هـ

آخر تفسير سورة الأحقاف و لله الحمد والمنة.

سورة محمد

٣٢٠ - ﴿الذين كفروا﴾ سورة محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: كذا لأبي ذر ولغيره ﴿الذين كفروا﴾ قاله الحافظ.

قلت: وشاهد التسمية للثاني قوله تعالى **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ بهم في المغرب: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ **قلت**: وهو شاهد للأول.

وهي مدنية في قول الجميع قاله الماوردي وقال الثعلبي أنها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول ويدل على أنها مدنية ما أخرجه ابن الضريس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القتال بالمدينة، وآياتها ثمان وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿أوزارها﴾ آثامها حتى لايبقى مسلم].

ش: قاله الفراء في تفسير هذه السـورة مـن معـاني القـرآن وزاد: أو مسـلم والهاء التي في أوزارها تكون للحرب.

والآية المشار إليها **﴿فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾**.

٢ - [﴿عرّفها﴾ بينها].

ش: قاله أبو عبيدة: وزاد لهم وعرفهم منازلهم.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: يدخـل أهـل الجنـة الجنـة ولهـم أعـرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا.

وقال محمد بن كعب: «يعرفون بيوتهـم إذا دخلـوا الجنـة كمـا تعرفـون إذا انصرفتم من الجمعة». حكاه ابن كثير، ومعنى هذا الأثر: أن أهل الجنـة يستدلون على بيوتهم فيها ومنازلهم منها كما يستدلون على ذلك في الدنيا. ويشهد لصحة ما قاله ما رواه البخـاري مـن حديـث أبـي سـعيد الخـدري رضـي الله عنـه عـن النبي ﷺ (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقـاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا)

والآية المشار إليها **﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾**.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿مولى الذين آمنوا﴾ وليهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمـد بـن عمـرو: ثنـا أبـو عـاصم: ثنـا عيسـى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿ذلـك بـأن الله مـولى الذيـن آمنـوا وأن الكـافرين لا مولى لهم﴾**.

٤ - [﴿عزم الأمر﴾ جد الأمر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول الحسن.

والآية المشار إليها ﴿ **فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم**﴾.

٥ - [﴿**فلا تهنوا**﴾ **لا تضعفوا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون...**﴾.

٦ - [**وقال ابن عباس** ﴿**أضغانهم**﴾ **حسدهم**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: أعمالهم، خبثهم والحسد. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم**﴾.

٧ - [﴿**آسن**﴾ **متغير**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرج عن قتادة قال: غير منتن.

والآية المشار إليها ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن**﴾.

٣٢١ - [باب ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾]

ش: قلت الآية: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.

يقول تعالى ذكره: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به **﴿أن تفسدوا في الأرض﴾** يقول أن تعصوا الله في الأرض فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء وتقطعوا أرحامكم وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم.

وقوله **﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم يقول فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله.

﴿وأعمى أبصارهم﴾ يقول وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته.

من فقه الآيتين

أولاً: وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

ثانياً: أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب ولهذا توعد عليها باللعن.

١٣٥ - حدثنا خالد بن مخلد: حدثنا سليمان: حدثني معاوية بن أبي مزرد[١] عن سعيد بن يسار[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن فقال له: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألاترضين أن أصل من

(١) هو معاوية بن أبي مُزَرِّد عبد الرحمن بن يسار مولى بني هاشم المدني ليس به بأس من السادسة خ، م، س.

(٢) هو أبو الحباب سعيد بن يسار، ثقة متقن من الثالثة مات سنة سبع عشرة [ومائة]وقيل قبلها بسنة، ع.

وصلك وأقطع من قطعِك ، قالت : بلى، قال: فذاك)) قال أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

حدثنا إبراهيم بن حمزة[١] حدثنا حاتم[٢] عن معاوية قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة بهذا ثم قال رسول الله ﷺ: (اقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾).

حدثنا بشر بن محمد[٣]: أخبرنا عبد الله أخبرنا معاوية ابن أبي المزرد بهذا قال رسول الله ﷺ: واقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**خلق الله الخلق فلما فرغ منه**» في الأدب باب من وصل وصله الله من رواية عبد الله (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه) وعند مسلم في البر والصله باب صلة الرحم (حتى إذا فرغ منهم)، والمعنى قضاه وأتمه على ما أراد وفق مشيئته.

الثانية: قوله «**قامت الرحم**» فيه دليل على أن الرب جل ثناؤه قادر على تحويل المعاني إلى أجسام وهذه حقيقة ولا إشكال فيها فإن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ﴿**وما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾ وحمل القيام ها هنا على أنه من ملك غير سديد بل هو صرف للنص عن ظاهره بغير مسوغ والأصل في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير الزبيري المدني، صدوق من العاشرة، مات سنة ثلاثين [ومائتين] خ، م، مد، ت،س.

(٢) هو أبو إسماعيل حاتم بن إسماعيل المدني الحارثي مولاهم أصله من الكوفة صحيح الكتاب صدوق يهم، من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين [ومائة] ع.

(٣) هو أبو محمد بشر بن محمد السختياني المروزي، صدوق رمي بالإرجاء من العاشرة مات سنة أربع وعشرين [ومائتين]،خ.

في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

الثالثة: قوله «**فأخذت بحقو الرحمن**» الحقو: معقد الإزار وهو الموضع الذي يستجار به ويحتزم به على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع، كما قالوا نمنعه مما نمنع منه إزرنا.اهـ قاله القاضي عياض.

قال مقيده: ما قاله هو معناه من جهة اللغة وأما حقو ربنا فإنا لا نكيفه بل نؤمن به كما ورد في صحيح النص وصريحه.

الرابعة: «**فقال له:مه**» هو اسم فعل معناه الزجر أي أكفف، وقال ابن مالك، هي هنا ما الإستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت والشائع أن لا يفعل ذلك إلا وهي مجرورة، لكن قد سمع مثل ذلك فجاء عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج فقلت مه؟ فقالوا قبض رسول الله ﷺ انتهى من الفتح كما أورده هنا.

وهاهنا إن كان على الزجر فبين وإن كان على الإستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الإستعلام فإنه يعلم السر وأخفى. انتهى من عمدة القاري.

الخامسة: قوله «**هذا مقام العائذ بك من القطيعة**» وفي رواية ابن جرير (هذا مقام عائذ من القطيعة) والمعنى: إن قيامي متعلقة بحقوك هو مكان المستعيذ بك من القطيعة.

السادسة: قوله «**ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**» دل صراحة على أن الله عز وجل خاطب الرحم ففهمت عنه وأجابته وهذا على الحقيقة ويجب صونه عن التأويلات الباطلة، والظنون الكاذبة والتخيلات التي ليس وراءها إلا صرف نصوص الشارع الصحيحة الصريحة عن ظاهرها.

السابعة: قوله «**فذاك**» وعند المصنف في الأدب (فهو لك) وفيه من رواية أبي صالح (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته)وعند مسلم في باب صلة الرحم من كتاب البر والصلة عن عائشة (من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله).

الثامنة: قوله «**قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم**» ظاهره أنه موقوف على أبي هريرة لكن صرح في رواية حاتم بن إسماعيل وعبد الله بن المبارك كلاهما عن معاوية عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة يرفعه فقال: (ثم قال رسول الله إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾) وبهذا يتبين لك أن الرفع أرجح.

فائدة

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية (١٦/٢٤٧): «وبالجملة فالرحم على وجهين عامة وخاصة:

فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى أو حقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرآبة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فألأقرب وقال بعض أهل العلم إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال وقيل بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام في المواريث، محرماً كان أو غير محرم، فيخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم

سورة الفتح

٢٢١ - سورة الفتح بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

أخرج أحمد والشيخان عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في سيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته.

وهي مدنية قال القرطبي: بالإجماع، وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿سيماهم في وجوههم﴾ السحنة**[1]].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثنى: ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس.

٢- **[وقال منصور عن مجاهد: التواضع].**

قلت: وصله ابن جرير قال ثنا ابن حميد: ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ (هو الخشوع)، وأخرجه من طريق حميد الأعرج عن مجاهد بلفظ المصنف وزاد والخشوع.

وهاتان الروايتان ضمن القائلين أن ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى حكاها ابن جرير أيضاً.

أحدها: أن ذلك علامة يجعلها ا لله في وجوه المؤمنين يوم القيامة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وخالد الحنفى وعطية العوفي ومقاتل ابن حيان والحسن.

وثانيها: أن ذلك أثر يكون في وجوه المصلين مثل أثر السهر وهو قول الحسن في الرواية الثانية عنه وسليمان التيمي وشمر بن عطية.

وثالثها: أن ذلك آثار ترى في الوجه من ثرى الأرض، وبه قال سعيد بن جبير وعكرمة.

والذي اختاره ابن جرير هو قول مجاهد وابن عباس.

٣ - **[﴿شطأه﴾ فراخه].**

ش: قاله بهذا اللفظ أبو عبيدة وزاد يقال قد شطأ الزرع فهو مشطئ إذا فرخ.

---

(١) ـ وفي اللسان: مادة: سحن، السحَنَة والسحْنة والسَّحناء والسّحْناء، لين البشرة والنعمة، وقيل: الهيئة واللون والحال.

وأخرج ابن جرير عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما يخرج بجنب الحقلة فيتم وينمو.

٤ - [**﴿فاستغلظ﴾ غلظ**].

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - [**﴿سوقه﴾ الساق حاملة الشجرة**].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: أصوله.

والآية المشار إليها بهذه الكلمات **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** الآية.

٦ - [**ويقال: ﴿دائرة السوء﴾ كقولك رجل السوء، ودائرة السوء العذاب**].

ش: قاله الفراء وزاد: والسوء أفشى في اللغة وأكثر وقلما تقول العرب دائرة السوء.

والأية المشار إليها **﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم﴾**.

٧ - [**﴿تعزروه﴾ تنصروه**].

ش: قاله الفراء وزاد: بالسيف كذلك ذكره الكلبي.

والآية المشار إليها **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾**.

٨ - [**﴿شطأه﴾ شَطْءُ السنبلِ، تُنبتُ الحبة عشرا أو ثمانياً وسبعاً فيقوى بعضه ببعض فذاك قوله تعالى: ﴿فآزره﴾ قواه ولو كانت واحدة لم تقع على ساق وهو مثل ضربه الله للنبي ﷺ إذ خرج وحده، ثم قواه بأصحابه كما قوى الحبه بما ينبت منها**].

ش: قاله الفراء وزاد: آزرت أؤازره مؤازرة قويته، وعاونته وهي المؤازرة.

٣٢٢ - باب ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾

ش: يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ يقول إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه وبلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر.

وقوله ﴿فتحاً مبيناً﴾ أي بيناً ظاهراً والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان.

٣٥٢ - ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه[1] أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال : لقد أُنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

٣٥٣ - حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر: حدثنا شعبة، سمعت قتادة عن أنس رضي الله عنه ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: الحديبية.

٣٥٤ - حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة حدثنا معاوية بن قرة[2] عن عبد الله بن مغفل[3] قال قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت.

---

(١) هو أسلم العدوي، مولى عمر ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنه، ع.

(٢) هو أبو إياس معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري ثقة من الثالثة، مات سنة

ش: فيها أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إن رسول الله ﷺ كان يسير**» هذا السياق صورته الإرسال لأن أسلم لم يدرك زمان هذه القصة، لكنه محمول على أنه سمعه من عمر بدليل قوله في أثنائه قال عمر: فحركت بعيري...الخ) وعلى ذلك أشار الفاسي وقد جاء من طريق أخرى سمعت عمر، أخرجه البزار من طريق محمد بن خالد بن عثمة عن مالك ثم قال: (لا نعلم رواه عن مالك هكذا إلا ابن عثمة وابن غزوان.انتهى، ورواية ابن غزوان وهو عبد الرحمن أبو نوح المعروف بقراد قد أخرجها أحمد عنه، واستدركها مغلطاي على البزار ظاناً أنه غير ابن غزوان وأورده الدار قطني في غرائب مالك من طريق هذين، ومن طريق يزيد بن أبي حكيم ومحمد بن حرب وإسحاق الحنيني أيضاً.

فهؤلاء الخمسة رووه عن مالك بصريح الإتصال، قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**في بعض أسفاره**» بيانه فيما رواه جامع ابن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول (لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت) الحديث وفيه (فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ وروى قتادة عن أنس قال: (لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا) الحديث، وفيه (فأنزل الله عز وجل ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾..الخ) أخرجهما ابن جرير عند تفسير هذه الآية، وعزاهما الحافظ إلى الطبراني.

الثالثة: قوله «**فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه**» عند الترمذي في تفسير هذه الآية من رواية محمد بن خالد (فكلمت رسول الله ﷺ فسكت ثم كلمته فسكت ثم كلمته فسكت ولم أقف على بيان لمسألة عمر) قال ابن عبد

ثلاث عشرة وهو ابن ست وسبعين سنة، ع.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مغفل بن عبد نهم المزني صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك، ع.

البر في التمهيد(٢٦٣/٣): «حديث رابع لزيد بن أسلم (وفيه أن العالم إذا سئل عن شئ لا يجب الجواب فيه أن يسكت ولا يجيب بنعم ولا بلا، ورب كلام جوابه السكوت، وفيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه)».

الرابعة: قوله «**ثكلت أم عمر**» عند المصنف في المغازي باب غزوة الحديبية برواية عبد الله بن يوسف (ثكلتك أمك يا عمر)وعند الترمذي (فحركت راحلتي فتنحيت وقلت ثكلتك أمك يا ابن الخطاب) والثكل هو فقدان المرأة ولدها، دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح على رسول الله في المسألة، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسة حقيقة وإنما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

الخامسة: قوله (**نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك**) وعند الترمذي (نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يكلمك ما أخلقك أن ينزل فيك قرآن) ومعنى نزرت بزاي ثم راء وفيها لغتان التخفيف والتثقيل والتخفيف أشهر أي الحجت عليه، وفيه لوم التلميذ نفسه وندمه على الإلحاح على شيخه خوف غضبه وحرمان فائدته فيما يستأنف كما قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لو رفقت بابن عباس لا ستخرجت منه علماً.

السادسة: قوله «**فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس**» في المغازي أمام المسلمين.

السابعة: قوله «**وخشيت أن ينزل في القرآن**» فيه ماكان عمر عليه من التقوى والوجل لأنه خشي أن يكون عاصياً بسؤاله رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه.

الثامنة: قوله (**فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي**) يقال (لم ينشب أن فعل كذا، أي لم يلبث وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره، ولا اشتغل بسواه.

وقوله «**سمعت صارخاً يصرخ بي**» فيه دليل على سرعة استدعاء النبي ﷺ صاحبه عمر لملاطفته والتسرية عنه بما يزيل وجله، وينبغي أن يتأسى المعلمون برسول الله ﷺ في ذلك.

التاسعة: قوله «**فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه**» فيه دليل على ما يتحلى به عمر من الأدب والتمسك بالسنة فلم يشغله ما هو فيه من الوجل عن السلام على رسول الله ﷺ وفيه التنبيه إلى أن المدعو ينبغي له البدء بالسلام قبل مخاطبة داعيه.

العاشرة: قوله «**لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»

قال ابن العربي: «أطلق المفاضلة بين المنزلة التي أعطيها وبين ما طلعت عليه الشمس، ومن شرط المفاضلة استواء الشيئين في أصل المعنى ثم يزيد أحدهما على الآخر، ولا استواء بين تلك المنزلة والدنيا بأسرها».

حكاه الحافظ هنا ثم قال: يحتمل أن يراد المفاضلة بين ما دلت عليه وبين ما دل عليه غيرها من الآيات المتعلقة به فرجحها، وجميع الآيات وإن لم تكن من أمور الدنيا لكنها أنزلت لأهل الدنيا فدخلت كلها فيما طلعت عليه الشمس.

قلت: فهذا توجيه حسن يزول به الإشكال ويندفع به التعارض بين هذا الحديث وبين ما ورد في تفضيل بعض السور و الآيات.

الحادية عشرة: قوله «**﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾**» قال الحديبية. هكذا أورده الشيخ هاهنا مختصراً وأورده في المغازي بهذا اللفظ وزاد: قال أصحابه هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله **﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**.

الثانية عشرة: قوله «**قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح**» في رواية أبي الوليد في المغازي (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته) وفيه دليل

على أن دخول النبي ﷺ مكة منتصراً على أهلها عام ثمانية من الهجرة من الفتح المبين الذي وعده الله إياه ولهذا يسمى في السيرة بالفتح الأعظم.

الثالثة عشرة: قوله «**فرجع فيها**» أي ردد صوته بالقراءة وقد أخرجه في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه برواية شبابة ولفظه (ثم قرأ معاوية يحكي قراءة بن مغفل وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي ﷺ فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال آآآثلاث مرات.

الرابعة عشرة: قوله «**قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت**» القائل هو شعبة بن الحجاج راوية معاوية وقد أسلفنا كيف قرأ النبي ﷺ السورة في المسألة قبلها.

فائدة

قال القاضي: «أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، قال أبو عبيد والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه».

قلت: قال الشافعي في موضع أكره القراءة بالألحان وقال في موضع لا أكرهها قال أصحابنا ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود وإدغام مالا يجوز إدغامه ونحو ذلك وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام والله أعلم.ا.هـ حكاه النووي في شرحه على صحيح مسلم ج٦ص٨٠.

من فقه الأحاديث

أولاً: فضيلة عمر وعظم مكانته عند النبيﷺ ألا تراه أسرع في دعوته وإخباره بإنزال هذه السورة عليه.

ثانياً: فضل سورة الفتح وشرف مكانتها عند رسول اللهﷺ.

ثالثاً: مشروعية تحسين الصوت بالقرآن مع اجتناب التكلف والتمطيط كما نقل عن الشافعي رحمه الله.

٣٢٤ - [باب قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾]

ش: **قلت:** وما بعدها ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

قوله «**﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾**» أي في الدنيا والآخرة ويهديك صراطاً مستقيماً أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك.

فائدة

قال ابن القيم: «ما جمع الله سبحانه لرسوله في آية الفتح من أنواع العطايا وذلك خمسة أشياء:

أحدها: الفتح المبين.

والثاني: مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

والثالث: هدايته الصراط المستقيم.

والرابع: إتمام نعمته عليه.

والخامس: إعطاء النصر العزيز وجمع سبحانه له بين الهدى والنصر لأن هذين الأصلين بهما كمال السعاده والفلاح فإن الهدى هو العلم بالله ودينه والعمل بمرضاته وطاعته فهو العلم النافع والعمل الصالح والنصر والقدرة التامة على تنفيذ دينه فالحجة والبيان والسيف والسنان فهو النصر بالحجة واليد وقهر قلوب المخالفين له بالحجة، وقهر أبدانهم باليد، وهو سبحانه كثيراً ما يجمع بين هذين الأصلين إذ بهما تمام الدعوة وظهور دينه على الدين كله كقوله تعالى **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله..﴾** إلى أن قال بل الصراط المستقيم ما جعله الله عليه من الهدى ودين الحق الذي أمره أن

يخبر بأن الله تعالى هداه إليه في قوله ﴿**قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**﴾ ثم فسره بقوله تعالى ﴿**ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**﴾» انتهى مختصراً من بدائع الفوائد (٤/١٧٠).

٣٥٥ – حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة حدثنا زياد هو ابن علاقة أنه سمع المغيرة يقول قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ماتقدم من ذنبك و ما تأخر قال (افلا أكون عبداً شكوراً).

٣٥٦ – حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى أخبرنا حيوة عن أبي الأسود سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله؟، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع، قام فقرأ ثم ركع.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى:قوله «**قام النبي ﷺ** » في التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل من رواية مسعر (إن كان ليقوم أو ليصلي) وفي حديث عائشة بعده (أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل) وعند النسائي في تفسير الآية برواية أبي عوانة (أن النبي ﷺ صلى)

الثانية: قوله «**حتى تورمت قدماه**» في رواية مسعر (حتى ترم قدماه أو ساقاه) وفي حديث عائشة (حتى تتفطر قدماه) وعند النسائي (حتى انتفخت قدماه) وليس بين هذه الروايات اختلاف فإنه إذا حصل الورم والإنتفاخ حصل التفطر.

الثالثة: قوله «**فقيل له غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر**» في التهجد (فيقال له) وفي حديث عائشة (فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله

وقد غفر ا لله لك ما تقدم من ذنبك وما تـأخر) وعنـد النسـائي (فقيـل: أتتكلـف هذا وقد غفر ا لله لك...الخ)

قال الحافظ: «وفي حديث أبي هريرة عند البزار (فقيـل لـه تفعـل هـذا وقـد جاءك من ا لله أن قد غفر لك)».اهـ.

و لم أقف على السائل في حديث المغيرة فيحتمل أنـه هـو ويحتمـل أنه غـيره ومرادهم الإشارة إلى قوله تعالى ﴿**ليغفر لك ا لله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾.

قال ابن كثير(١٩٨/٤): «هـذا مـن خصائصـه ﷺ الـتي لا يشـاركه فيهـا غيره...وهذا فيه تشـريف عظيـم لرسـول ا للهﷺ وهـوﷺ في جميـع أمـوره علـى الطاعة والبر والإستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا مـن الأولـين ولا مـن الأخريـن وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والأخرة ولما كـان أطـوع خلق ا لله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل».اهـ محل الغرض مع الإختصار.

الرابعة: قوله «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» في حديث عائشة (أفـلا أحـب أن أكون..) والفاء في قوله (أفلا أكون) للسببية وهـي عـن محـذوف تقديـره: أأتـرك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً) والمعنى أن المغفرة سـبب لكـون التهجـد شـكراً فكيف أتركه.

قال ابن بطال: «في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبـادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بمـا سـبق لـه فكيـف بمـن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار انتهـى حكـاه الحـافظ في التهجـد ج٣ص١٥ ثـم تعقبـه بقولـه: ومحـل ذلـك مـا إذا لم يفـض إلى المـلال، لأن حـال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنـه، بل صح أنه قال (وجعلت قرة عيني في الصلاة) كما أخرجه النسائي مـن حديـث أنس،فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه».اهـ

قال مقيده: وعليه يحمل حديث عائشة أن النبيﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه فقالت: له هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: مه عليكم بما تطيقون فوا لله لا يمل ا لله حتى تملوا)وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه) متفق عليه.

الخامسة: قوله «**فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع**» وعند المصنف في باب إذا صلى قاعداً ثم صح من كتاب تقصير الصلاة برواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (أنها لم تر رسول ا للهﷺ يصلي صلاة الليل قاعداً قط حتى أسن فكان يقرأ قاعداً حتى إذا أراد أن يركع قام فقرأ نحواً من ثلاثين آية أو أربعين آية ثم ركع) ودل حديث عائشة على جواز القعود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين. حكاه الحافظ في شرحه لباب إذا صلى قاعداً.

وقال ابن قدامة (٨١٢/١): «لا نعلم خلافاً في إباحة التطوع جالساً وأنه في القيام أفضل وقد قال النبيﷺ: (من صلى قائماً فهو أفضل ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم) متفق عليه، وفي لفظ لمسلم (صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة)... ولأن كثيراً من الناس يشق عليه طول القيام فلو وجب في التطوع لترك أكثره فسامح الشارع في ترك القيام فيه ترغيباً في تكثيره كما سامح في فعله على الراحلة في السفر وسامح في نية صوم التطوع من النهار».اهـ

٣٢٥ - [باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ **﴿إنا أرسلناك﴾** يامحمد **﴿شاهداً﴾** على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، **﴿ومبشراً﴾** لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيم، **﴿ونذيراً﴾** لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك.

٣٥٧ - حدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ قال: في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً).

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**إن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد شرح أول الباب وقد وقع سبب تحديث عبدالله بن عمرو بهذا الحديث في البيوع باب كراهية السخب في السوق برواية فليح عن هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي...الخ فذكره.

الثانية: قوله «**حرزاً للأميين**» بكسر المهملة أي حافظاً وأصل الحرز الموضع الحصين والأميون هم العرب قلت وفي الكتاب الكريم **﴿هو الذي بعث في**

الأمين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

قال ابن كثير: «وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أي نزراً يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**، وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم. والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضى الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم وفاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع».اهـ

قلت: فأعظم به من حرز يبصر به هؤلاء بعد العمى ويخرجون به من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ومن الكفر والشرك بالله إلى الإيمان والتوحيد فصاروا أقوياء بعد ضعف وأعزة بعد ذل فلله الحمد على ماأسبغ من نعمه.

الثالثة: قوله «**أنت عبدي ورسولي**» أخرج الدارمي في باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه من المقدمة عن ذكوان عن كعب قال في السطر الأول: (محمد رسول الله عبدي المختار).

قلت: فيه الرد على أهل الجفاء والغلو فيه وبيان ما أنزله الله عليه وأنه العبودية والرساله فهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب بل يطاع ويتبع.

الرابعة: قوله «**سميتك المتوكل**» يعني متوكل على الله في جلب النفع وكشف الضر وهذه حقيقة التوكل فإن معناه لغة التفويض وشرعاً: اعتماد القلب على الله في جلب النفع وكشف الضر ولا ينافي الأخذ بالأسباب المشروعة وكان هذا دأبه ﷺ فمما صح عنه أنه إذا أراد غزوة ورى بغيرها ليعمي على الأعداء وكان يعزل نفقة أهله السنة والسنتين مما أفاء الله عليه وفي ذلك أسوة حسنة للمستبصرين وفي مرسل جبير بن نفير الحضرمي (ليس بوهن ولا كسل) أخرجه الدارمي في المقدمة وصححه الحافظ.

الخامسة: قوله «**ليس بفظ ولا غليظ**» وهذا موافق لقوله تعالى من سورة آل عمران ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك**﴾ فالشاهد منها ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك**﴾ قال ابن كثير: «والفظ الغليظ المراد به ها هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿**غليظ القلب**﴾ أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم».ا.هـ

فإن قلت كيف التوفيق بين هذا وبين ما أمره الله به من الإغلاظ مثل قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾ قلنا ليس بينهما تعارض و لله الحمد لأن النفي في حديث الباب وآية آل عمران محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر بالإغلاظ في هذه الآية ونحوها محمول على المعالجة والنفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو ظاهر آية التحريم.

تنبيه

قال (ليس بفظ ولا غليظ) فلو كان على النسق الأول لقال لست قال أهل العلم هذا إلتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو تعبير سائغ فصيح.

السادسة: قوله «**ليس بسخاب في الأسواق**» في البيوع (ولا سخاب) وعند الدارمي (ولا صخاب) وفي المصباح: «صخب صخباً من باب تعب ورجل صخب وصاخب وصخاب وصخبان أي كثير اللغَط والجلبه والمرأة صخبى وبالهاء في الثاني وإبدال الصاد سيناً لغة وسمعت اصطخاب الطير أي أصواتها»ا.هـ

وفيه الدليل على أنه يجوز للإمام الأعظم دخول الأسواق إذا تجنب الصخب.

السابعة: قوله «**ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح**» في البيوع (ولكن يعفو ويغفر) وفي حديث ابن سلام عند الدارمي (ولكن يعفو ويتجاوز) وعنده من حديث ابن عباس (ولا يكافئ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر) قلت وقد ظهر هذا جلياً منه ﷺ غداة الفتح حين اجتمع له قريش منتظرين صنيعه فيهم وقد أظهره ا لله عليهم فقال لهم عليه الصلاة والسلام حين ذاك ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فكافئهم بالعفو عنهم مع قدرته على عقوبتهم وهذا هو غاية الصفح والمغفرة ودفع السيئة بالحسنة.

الثامنة: قوله «**ولن يقبضه ا لله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا ا لله**» وعند الدارمي في حديث ابن سلام (ولن أقبضه حتى نقيم الملة المتعوجة بأن تشهد أن لا إله إلا ا لله) والمعنى ولن يقبضه أي يميته حتى يقيم به أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد والملة العوجاء ملة الكفرومعنى لا إله إلا ا لله اختصاراً لا معبود بحق إلا ا لله وبسطاً لا إله نافياً ما يعبد من دون ا لله وإلا ا لله مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

التاسعة: قوله «**فيفتح بها أعيناً عمياً**» وفي حديث ابن سلام (فيفتح به أعيناً عمياً) والمعنى على رواية الباب يعني بكلمة التوحيد فمرجع الضمير إليها والمعنى على حديث ابن سلام فالمعني به الرسول ﷺ ولا منا فاة بين المعنيين فإن فيه تحقيق الشهادتين فهما متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى فشهادة أن لا إله إلا الله بها تجريد الإخلاص لله وحده وشهادة أن محمد رسول الله بها تجريد المتابعة للنبي ﷺ.

العاشرة: قوله «**وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً**» وفي رواية جبير بن نفير (ليختن قلوباً غلفاً ويفتح أعيناً عمياً ويسمع آذاناً صماً، ويقيم السنة عوجاء حتى يقال لا إله وحده).

فائدة

زاد الدارمي في آخره من حديث كعب برواية ذكوان (مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السطر الثاني محمد رسول الله، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزلة.

قال مقيده: وما أفادته زيادة حديث ابن سلام أعني قوله (وملكه في الشام هو بعض ما وعد به رسول الله ﷺ من اتساع رقعة الإسلام ومصداق ذلك فيما رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..الحديث).

قال القرطبي: «يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد دل على ذلك قوله عليه السلام حين أخبر عن هلاكهما (والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان

الفتوح في إمارة عمر رضي الله عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده» .اهـ

قلت: فملك قيصر كان في الشام.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: فيه أكبر الحجج وأعظمها بالزام اليهود بالإيمان بمحمدﷺ وذلك لوجود صفته في كتابهم.

ثانياً: أن أصل الدين وأساسه التوحيد.

ثالثاً: عموم رسالة النبيﷺ.

٣٢٦ - [باب ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾]

ش: تمامها: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، و لله جنود السموات والأرض، وكان ا لله عليماً حكيماً﴾

يقول تعالى ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي ا لله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي ا لله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم ا لله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم، وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لا نتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى ﴿و لله جنود السموات والأرض﴾ أي ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة.

وقوله «وكان ا لله عليماً حكيماً» يعني و لم يزل ا لله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، و ما خلقه عاملوه حكيماً في تدبيره.

٣٥٨ - حدثنا عبيد ا لله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي ا لله عنه قال: بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ وفرس له مربوط في الدار، فجعل ينفر، فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر فلما أصبح ذكرذلك للنبي ﷺ فقال (السكينة تنزلت بالقرآن).

ش: **فيه ست مسائل:**

الأولى: قوله «**بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ**» في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، برواية زهير (كان رجل يقرأ سورة الكهف) وعند المصنف في باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن من الفضائل عن أسيد قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة) وعند مسلم في باب نزول السكينة

لقراءة القرآن من كتاب صلاة المسافرين عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده) وعند أبي داود من طريق مرسلة قال قيل للنبي ﷺ ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح، قال فلعله قرأ سورة البقرة فسئل قال قرأت سورة البقرة) فلا تعارض لجواز تعدد القصة.

الثانية: قوله «**وفرس له مربوط في الدار**» في المناقب (وفي الدار الدابة) وفي الفضائل (وإلى جنبه حصان مربوط بشطنين) وفي حديث أسيد عند المصنف (وفرسه مربوط عنده) قلت والشطنين مفرده شطن وهو الحبل وكأنه كان شديد الصعوبة.

الثالثة: قوله «**فجعل ينفر**» في المناقب (فجعلت تنفر) وفي الفضائل (فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر) وفي حديث أسيد (إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف).

الرابعة: قوله «**فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر**» وفي المناقب (فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته **قلت**: فكأن التقدير خرج فنظر فسلم فلم ير شيئاً.

الخامسة: قوله «**فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ**» في الفضائل فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له) وفي حديث أسيد (فلما أصبح حدث النبي ﷺ).

السادسة: قوله «**السكينة تنزلت بالقرآن**» في المناقب (فقال اقرأ فلان، فإنه السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن) وفي الفضائل (تلك السكينة تنزلت بالقرآن) وفي حديث أسيد (اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير) وعند مسلم (فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير فانصرفت وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما

أراها فقال رسول ا لله ﷺ تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم).

تنبيه

إختلف أهل العلم في معنى السكينة على ثمانية أقوال:

احدها: أنها ريح هفافه لها وجه كوجه الإنسان وهو قول علي بن أبي طالب.

ثانيها: أن لها رأس كرأس الهرة وجناحان وبه قال مجاهد.

ثالثها: أنه رأس هرة ميتة وهو قول وهب بن منبه.

رابعها: أنه طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وبه قال ابن عباس والسدي.

خامسها: أنه روح من ا لله يتكلم وهو قول وهب بن منبه في الرواية الثانية عنه.

سادسها: أنها ما يعرفون من الأيات فيسكنون إليه وبه قال عطاء بن أبي رباح.

سابعها: أنها الرحمة وهو قول الربيع.

ثامنها: أنها الوقار وهو قول قتادة.

أخرجها جميعها ابن جرير في (٦١٣/٢) عند قوله تعالى ﴿**إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم**﴾ وإختار قول عطاء.

وقال الحافظ (٥٨/٩): والذي يظهر أنها مقوله بالإشتراك على هذه المعاني فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به.

قلت: والمراد بها في حديث الباب الملائكة كما صرح به في حديث اسيد.

من فقه الحديث

أولاً: فضيلة ذلك القارئ سواء كان أسيداً أو غيره.

ثانياً: الرجوع إلى أهل العلم والفضل عند حصول الأمور المستغربة للإستئناس برأيهم.

ثالثاً: في الحديث دليل على ثبوت الكرامة وهي ما يجريه الله سبحانه وتعالى على أيدي أهل التقوى والصلاح من خوارق العادات، قال الطحاوي: ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) **قلت**:وهذا يعني أنها لا تثبت إلا بشرطين:

أحدهما: صحة الرواية عمن جرت له الكرامة.

ثانيهما: أنه من أهل التقوى والصلاح.

وهذا ثابت عند أهل السنة والجماعة واعلم أن مذاهب الناس في الكرامة ثلاثة:

أحدها: من ينفيها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة وشبهتهم أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء للتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي خرق العادة.

ثانيها: من يغلو في إثباتها من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الثعابين وغير ذلك.

وثالثها: من يثبتها بشروطها كما تقدم وهم أهل السنة والجماعة.

٣٢٧ - [باب ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾]

ش: قلت الآية: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**.

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد كانوا ألفاً وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية.

وقوله تعالى **﴿فعلم ما في قلوبهم﴾** أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة **﴿فأنزل السكينة﴾** وهي الطمأنينة **﴿عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾** وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم و ما حصل بذلك من الخير العام والمستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والأخرة.

٣٥٩ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة.

٣٦٠ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت عقبةبن صهبان[1] عن عبد الله بن مغفل المزني : إني ممن شهد الشجرة نهى النبي ﷺ عن الخذف.

وعن عقبة بن صهبان قال سمعت عبد الله بن المغفل المزني في البول في المغتسل.

٣٦١ - ثني محمد بن الوليد[2] حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك[3] رضي الله عنه وكان من أصحاب الشجرة.

---

(١) عقبة بن صهبان بضم المهملةالأزدي بصري ثقة من الثالثة مات بعد السبعين خ، م، د،ق.

(٢) محمد بن الوليد بن عبد الحميد القرشي البسري البصري يلقب حمدان ثقة من العاشرة مات سنة خمسين [ومائتين] أو بعدها خ، م، س، ق.

٣٦٢ - ثناأحمد بن إسحاق السلمي[1] ثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه[2] عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله : كنا بصفّين ، فقال رجلٌ : ﴿ ألم تر إلى الذين يُدعَون إلى كتاب الله ﴾ فقال علي: نعم فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً) فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح).

ش: فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة**» في المغازي باب غزوة الحديبية عن البراء قال: «كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة..الحديث».

قلت: وبه قال سعيد بن المسيب وهو أحد أقوال ثلاثة حكاها ابن جرير في تفسير الآية.

ثانيها: أنهم ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون وهو قول ابن عباس وقتادة ويؤيده ما رواه البخاري في المغازي وله قصة برواية سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس

---

(٣) ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة مات سنة أربع وستين، ع.

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر السلمي السرماري صدوق من الحادية عشرة مات سنة إثنتين وأربعين [ومائتين] خ.

(٢) هو عبد العزيز بن سياه بكسر المهملة الأسدي الكوفي صدوق يتشيع من السابعة خ، م، ت، س، ق.

نحوه فقال: مالكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا **قلت:** كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.

وثالثها: أنهم ألف وثلاثمائة وبه قال عبدا لله بن أبي أوفى وحديث الباب شاهد للأول وبه جاءت أكثر الروايات عن جابر فيما وقفت عليه.

الثانية: قوله «**إني ممن شهد الشجرة**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة.

الثالثة: قوله «**نهى النبي ﷺ عن الخذف**» والخذف هو الرمي بالحصى بالأصابع، **قلت:** لهذا قصة أخرجها المصنف في باب الخذف والبندقة من كتاب الذبائح والصيد ومسلم في باب إباحة ما يستعان به على الإصطياد وكراهة الخذف في كتاب الصيد والذبائح كلاهما عن عبد الله بن بريدة واللفظ لمسلم قال رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف فقال له لا تخذف فإن رسول الله ﷺ كان يكره أو قال نهى عن الخذف فإنه لا يصطاد به الصيد ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف ثم أراك تخذف لا أكلمك كلمة كذا وكذا) وأخرج مسلم نحو هذه برواية سعيد بن جبير عن ابن المغفل إلا أنه قال قريباً لعبد الله بن المغفل بدل رجلاً من أصحابه.

قال مقيده: فيه التعنيف على من أظهر مخالفة السنة وإن كان من الأقربين والرد على من زعم أن الإنكار للبدعة لا على المبتدع إلا إذا كانت البدعة مكفرة **قلت:** وهذا الصنيع من عبد الله بن مغفل رضي الله عنه لم يكن متفرداً به بل هو متواتر عن أصحاب النبيﷺ، ففي الصحيحين عن معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: قلت لعائشة ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقالت: عائشة أحرورية أنت قالت لست حرورية ولكن أسأل) وسر استنكار عائشة

على معاذة هذا السؤال لأن مذهب الخوارج أمر الحائض بقضاء الصلاة كالصيام وفيهما عن جابر رضي الله عنه أنه كان عنده قوم فسألوه عن الغسل فقال يكفيك صاع فقال رجل ما يكفيني فقال جابر كان يكفي من هو أوفى منك شعراً وخيراً منك... الحديث) والمقصود دحض هذه الشبهه وبيان مخالفتها منهج السلف الصالح.

الرابعة: قوله «**في البول في المغتسل**» كذا للأكثر وزاد في رواية الأصيلي وكذا لأبي ذر عن السرخسي (يأخذ منه الوسواس) وهذان الحديثان المرفوع والموقوف الذي عقبه به لا تعلق لهما بتفسير هذه الآية بل ولا هذه السورة، وإنما أورد الأول لقول الراوي فيه(ممن شهد الشجرة) فهذا القدر هو المتعلق بالترجمة، ومثله ما ذكره بعده عن ثابت بن الضحاك وذكر المتن بطريق التبع لا القصد وأما الحديث الثاني فأورده لبيان التصريح بسماع عقبة بن صهبان من عبد الله بن مغفل وهذا من صنيعه في غاية الدقة وحسن التصرف).

وذكره الحافظ في شرحه هنا: فلله دره ما أبدع هذه النكته.

قلت: وقول المصنف «**في البول في المغتسل**» يشير به إلى ما رواه الحاكم في كتاب الطهارة من مستدركه من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبةعن قتادة عن عقبة بن صهبان عن عبد الله بن المغفل قال: (نهى أو زجر أن يبال في المغتسل) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في المستخرج من الطريق كما قال الحافظ.

الخامسة: قوله «**عن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة**» هكذا ذكرالقدر الذي يحتاج إليه من هذا الحديث ولم يسع المتن، ويستفاد من ذلك أنه لم يجر على نسق واحد في إيراد الأشياء التبعية بل تارة يقتصر على موضع الحاجة من الحديث وتارة يسوقه بتمامه، فكأنه يقصد التفنن بذلك.قاله الحافظ.

وحديثه في المغازي من طريق يحيى عــن أبـي قلابـة أن ثـابت بـن الضحـاك أخبره أنه بايع النبي ﷺ تحت الشجرة.

السادسة: قوله «**أتيت أبا وائل أسأله**» القائل هو حبيب بن أبي ثابت وأبو وائل هو شقيق بن سلمة وقد تقدم ترجمة كل منهما و لم يبين هنا المسؤل عنـه ولا مكان السؤال وبينه أحمد في المسند (٤٨٥/٣) في روايته عن يعلى بن عبيد ولفظه (أتيت أباوائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علـي بـالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه وفيما استحل قتالهم قال: كنا بصفين...الحديث).

السابعة: قوله«**فقال رجـل ألم تـر إلى الذيـن يدعـوه إلى كتـاب ا لله فقـال علي نعم**» وعند أحمد (فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتـل فقـال عمـرو بن العاص لمعاوية أرسل إلى علي بمصحـف وادعـه إلى كتـاب ا لله فإنـه لـن يـأبى عليك فجاء به رجل فقال بيننا وبينكم كتاب ا لله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب ا لله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهـم معرضـون فقال علي نعم أنـا أولى بذلـك بيننـا وبينكـم كتـاب ا لله فجاءتـه الخـوارج ونحـن ندعوهم يؤمئذ القراء وسيوفهم على عواتقهــم فقـالوا يـا أمـير المؤمنـين مـا ننتظـر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم ا لله بيننـا وبينهـم فتكلم سهل بن حنيف...الحديث).

تنبيه

اعلم هديت صواب الأقوال وسددت في الأعمال أن كلاً من علي ومعاويـة رضي ا لله عنهما له من رفيع المنزلة وشريف الصحبة وجـم الفضـائل مـا يوجـب على أهل الإيمان المنصفين حفظ كرامتـه وصيانـة عرضـه لكـن أهـل الأهـواء مـن الروافض والنواصب قد استغلو ما شجر بينهما وأمثالهما من الفتن فجعلـوه سيفاً مسلولاً على هذيــن الرجليين وأمثالهمـا مـن أصحـاب النبي ﷺ فلاتغـتر بنهـج النواصـب فتقـع في علـي وآل البيـت ولا تغـتر بمسلـك الروافـض فتقـع في سـائر

أصحاب النبي ﷺ مثل معاوية وإليك خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وما شجر بينهم.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى لإبن قاسم (٣/١٥٤):

«ويتبرءون من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه ألآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ولأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ (أنهم خير القرون) (وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم) ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن اصابوا فلهم أجران وإن أخطأو فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى». اهـ

الثامنة: قوله «**فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية**» يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا يشير بقوله اتهمو أنفسكم أي في هذا الرأي لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاوعة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم بالمصلحة وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شرع النبي ﷺ فيه.

التاسعة: قوله «**فجاء عمر فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة... إلى قوله ولن يضيعني ا لله أبداً**» وعند المصنف في باب الشروط في الجهاد من كتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة أن عمر قال: ألست نبي ا لله حقاً قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، **قلت**: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول ا لله ولست أعصيه وهو ناصري، **قلت**: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به) وأخرج البزار من حديث عمر نفسه مختصراً ولفظه فقال عمر: اتهموا الرأي على الدين فقد رأيتني أرد أمر رسول ا لله ﷺ برأي وما ألوت عن الحق) وفيه فقال فرضي رسول ا لله ﷺ وأبيت حتى قال لي: يا عمر تراني رضيت وتأبى).

العاشرة: قوله «**يا ابن الخطاب إنه رسول ا لله ﷺ ولن يضيعه أبداً**» وفي حديث المسور (قال: أيها الرجل إنه لرسول ا لله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوا لله إنه على الحق) قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي ا لله عنه وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف من خلقه رضي ا لله عنه وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين وأما جواب أبي بكر رضي ا لله عنه لعمر بمثل جواب

النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه في كل ذلك وزيادته فيه كله على غيره رضي الله عنه حكاه النووي (١٤١/١٢).

الحادية عشرة: قوله **(فنزلت سورة الفتح)** ظاهره يخالف ما قدمناه في المسألة الثانية من الحديث الثاني والخمسين بعد الثلاثمائة من حديث ابن مسعود وأنس أن نزول هذه السورة بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية والحق أنه لا منافاة بين الحديثين لإمكان نزول السورة مرتين:

أحدهما: في الحديبية.

والآخرى: بعد منصرفه ﷺ منها ونظائر هذا كثير.

من فقه الأحاديث

اولاً: فضيلة جابر رضي الله عنه.

ثانياً: فضيلة عبدالله بن مغفل المزني.

ثالثاً: فضيلة ثابت بن الضحاك.

رابعاً: يسوغ للإمام قبول الصلح من خصمه ولو كان ظاهراً عليهم.

خامساً: حرص السلف على تذكير الناس بالسنة في الأمور المشكلة كما صنع سهل بن حنيف.

سادساً: يستفاد من صنيع أبي بكر مع عمر الحرص على معاونة الإمام والوقوف معه لجمع الكلمة.

سابعاً: جواز الصلح مع الكفار ولو كانت الغلبة لأهل الإسلام كما يفيده صنيع النبي ﷺ مع قريش يوم الحديبية.

آخر تفسير سورة الفتح والحمد لله وبه تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله تفسير سورة الحجرات.

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج